الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران السانيا

كليــة العلـوم الاجتماعية
تخصص:علم الإجتماع الحضري

قســم علــم الإجتمــاع
مشروع:مدن ثقافات و مجتمع

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الإجتماع

دور الزاوية في المدينة
مقاربــة سوسيوأنتروبولوجيــة
لزاويــة سيدي الجازولــي بولمانــة
• ولايــة عيــن تمــوشنت•

من إعداد الطالبة :

*بن حدو فاطمة الزهرة

تحت إشراف الأستاذين :

* المشرف : بن عمر سواريت
* المشرف المساعد: عبد القادر لقجع

أعضاء لجنة المناقشة :

* مولاي الحاج مراد – جامعة وهران - رئيسا
* بن عمر سواريت – جامعة وهران - مقررا
* عبد القادر لقجع – جامعة وهران - مقررا مساعدا
* مبارك نجاح – جامعة وهران - مناقشا
* مذكور مصطف – جامعة وهران - مناقشا

السنة الجامعية : 2012/2011

كلمة شكر

الشكر أولا و أخيرا لله القدير الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع كما نشكر الأستاذين المشرفين على هذا الإنجاز الأستاذ بن عمر سواريت و الأستاذ عبد القادر لقجع .

وكذلك الأساتذة الذين ساهموا في تكويننا خلال السنة النظرية لمشروع الماجستير كل من الأستاذ حجيج الجنيد ، الأستاذة حلومة شريف ، الأستاذة بوكريريس ، الأستاذ مداني ، الأستاذ جرادي والأستاذ العايدي عبد الكريم .

كما أننا نقدم شكرنا الخالص إلى لجنة مناقشة هذه المذكرة الأستاذ مولاي الحاج مراد، الأستاذ نجاح مبارك و الأستاذ مذكور مصطفى

و كافة أسرة معهد علم الإجتماع .

و شكر خاص للأستاذ عبد الجليل الآزدي من جامعة القاضي عياض بمراكش (المغرب).

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الشيخ عبد الكريم الجازولي على تفهمه إنشغالاتي، وكل من ساعدني في مذكرتي.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى كل من يهمه أمر البحث

و الإجتهاد العلمي .

إلى أفراد عائلتي اللذين دائما هم معي واقفين و بدعواتهم

نحن مستمرون من صغار و كبار.

أهدي خلاصة بحثي إلى زملائي في مشروع الماجستير

مدن، ثقافات و مجتمع، و كذلك زملائي في العمل.

إلى كل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة و لو بحرف.

إلى كل من كان له الفضل بعد الله عز وجل في نجاحي.

إلى كل من ساعدني فائق الإعتزاز و التقدير و الإحترام.

الفهرس

المقدمة العامة 05

الإطار المنهجي للدراسة.....08

الفصل الأول: تاريخ الزوايا في الجزائر

المبحث الأول : شبكة مفاهيم ومصطلحات الفصل.....16

1- تعريف مصطلح الزاوية 17

2- تعريف مصطلح الشيخ.....20

3- تعريف مصطلح المريد.....22

4- تعريف مصطلح الحضرة.....24

المبحث الثاني : الزوايا وتاريخ ظهورها بالجزائر

1-لمحة تاريخية عن نشأة الزوايا بالجزائر.....29

2-وضع الزوايا بالجزائر 30

أ- قبل الإستعمار 31

ب-أثناء الإستعمار.....32

ج- بعد الإستقلال 40

3-أنواع الزوايا بالجزائر.....44

أ- زوايا المشايخ.....44

ب-زوايا المرابطين 45

ج- زوايا الطلبة 46

4-وظائف الزوايا 47

أ- الوظائف الدينية.....48

ب-الوظائف التربوية و التعليمية.....48

ج – الوظائف الإجتماعية.....49

د – الوظائف الثقافية.....50

هـ-الوظائف الإقتصادية و السياسية 51

ي – الوظائف الأمنية و القضائية.....51

و - الوظائف العلاجية.....52
المبحث الثالث : الوصف الإثنوغرافي لزاوية الجازولي
1- تاريخ تأسيس زاوية الجازولي.....55
1- موقعها ومنشآتها العمرانية.....56
2- نشاطاتها.....58
3- الطريقة التي تنتهجها.....62
أ- الطريقة الشاذلية.....62
ب- الطريقة الجازولية.....64
ج-الطريقة العيساوية.....67
المبحث الرابع : ثقافة زوار زاوية سيدي الجازولي بالمنطقة
1-زاوية سيدي الجازولي و نسبة التعرف عليها.....70
2-أشكال و قنوات التعرف على الزاوية.....71
3-ثقافة زوار زاوية سيدي الجازولي.....72
الفصـــــل الثانـــي: المدينة في الجزائر
المبحث الأول : شبكة مفاهيم ومصطلحات الفصل
1-تعريف مصطلح المدينة.....76
- من الناحية الفلسفية.....77
- من الناحية السوسيولوجية.....78
- من الناحية الأنتروبولوجية.....79
2- تعريف مصطلح الممارسات الثقافية 82
المبحث الثاني : خصائص المدينة في الجزائر
1-نشأة المدينة : عوامل و مراحل تطورها 89
أ- المدينة القديمة.....90
ب- المدينة في العصور الوسطى.....91
ج- المدينة الحديثة.....92
د- عوامل نشأة المدن.....93

و- مراحل تطور المدينة.....94
2-المدينة و عملية التحضر 96
أ- مفهوم التحضر 96
ب- مظاهر وخصائص التحضر.....98
3-الممارسات الثقافية داخل المدينة 100
1-زيارة الزوايا و المرابطين 102
2-المعتقدات الشعبية:العين- السحر-الطب الشعبي.....103
3-العادات الإجتماعية في المدينة.....106
المبحث الثالث : المدينة و الممارسات الثقافية بالجزائر
1-علاقة زاوية سيدي الجازولي بالمدن المجاورة.....109
أ- أشكال العلاقات.....110
ب-أهمية الزاوية داخل وخارج الولاية.....111
ج- دورها في المدينة و المجتمع.....114
2-ثقافة الزوايا لدى سكان المدن.....120
3-الزوايا و مؤسسات المجتمع.....127
أ-الزوايا والمجال السياسي.....128
ب-الزوايا و القضاء.....132
ج-الزوايا و وسائل الإعلام 133
الفصـــل الثـــــالث: الزوايا و الممارسات الثقافية
المبحث الأول :المواضيع و الدوافع المؤدية لزيارة الزوايا.....138
1-الدوافع الدينية 139
2-الدوافع النفسية.....139
3-الدوافع الإجتماعية و الثقافية.....141
4-الدوافع السياسية.....142

المبحث الثاني : الممارسات الثقافية و الزيارات
1-زيارة الزوايا و الطقوس المتعلقة بها 144
أ- الطقوس الفردية.....145
ب-الطقوس الجماعية.....150
ج- الحضرة العيساوية.....156
2-إختلاف الزيارة بين الجنسين من حيث :
1.2 – طقوس الزيارة.....159
2.2 – غرض الزيارة.....161
3.2- اليوم المفضل للزيارة.....162
4.2 – وقت الزيارة.....163
5.2 – مدة البقاء في الزاوية.....164
6.2- الأشياء التي تؤخذ للزيارة.....166
3-الزوايا و علاقتها بـــ" البدع و الخرافات".....167
المبحث الثالث : مكانة زاوية سيدي الجازولي عند الزوار
1-مكانة الشيخ.....170
2-مكانة الزاوية.....171
3-الزوايا و إستمراريتها.....174
المبحث الرابع : تأثير الزاوية على الممارسات الثقافية لسكان المدينة
1-تأثير الزاوية على المترددين عليها.....178
2-التأثير و علاقته بسن التردد على الزوايا.....182
3-أشكال الإنتفاع من الزيارة.....185
4-التأثير و علاقته بالتردد على الزوايا.....186
5-أثر الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين.....189
الخـــــــاتمـــــــة العامة 193
المـــــــراجـــــــــع
المـــلاحـــــــــــق

المقدمة العامة

المـــــــقدمـــــــــــة العامـــــة :

يتفق علماء الأنتروبولوجيا علـــى وجـــود خصوصـــيات فـــي الجوانـــب الإجتماعية و الثقافية و الفكرية و الأخلاقية التي تميز المجتمعات عـــن بعضـــها البعض، و إن ما يميز المجتمع الجزائري مـــن خصوصـــيات تلـــك المتعلقـــة بالمؤسسات الدينية و على رأسها الزوايا و الطرق الدينية بصفته مجتمع إسلامي حيث كانت تعتبر المركز الذي تدور حوله كل النشاطات السياسية و الإجتماعية و الدينية على مدار قرون من الزمن و لازلت تناضل حتى في الوقت الحـــالي إلـــى جانب المؤسسات و الأنظمة المستحدثة و الضرورية للمجتمع الحضري المرافـــق للتطور الصناعي، ففي كل مكان ينشأ حوار في عمق هذه الحضارات و أحيانـــا يتخذ شكل الصراع بين الماضي التقليدي و الحاضر الذي يتطلـــب التحـــول فقـــد أكدت الزوايا في حضورها الفاعل حاليا في مختلف مجالات الحيـــاة و نهضـــت بكثير من الأعباء الإجتماعية و الدينية و منها التعليم و التثقيف و نشر الأخـــلاق الفاضلة و توحيد كلمة المسلمين و نشر الإسلام و مواجهة الأخطار التي تصـــعب سير المجتمع بطرق سلمية و قد كتب و بحث عنها الكثير مـــن العلمـــاء ســـواء المختصين في الدين الإسلامي باعتبارها مؤسسة دينية أو التاريخ كونهـــا كانـــت مركز العديد من الأحداث التاريخية الهامة أو علماء الأنثروبولوجيا حول نشأتها و أهدافها أو علماء الإجتماع لعلاقتها بالأفراد وبمؤسسات أخرى من المجتمع .

حيث يقول الدكتور قراري عيسى في مجلة الأثر في تعريـــف الطرقيـــة : "أنها شكل من أشكال التنظيم الديني السياسي الثقافي ، يغلب عليها طابع الغموض و السرية و تتصف في علاقاتها مع السلطة بالاضطراب و التمرد في كثير مـــن الأحيان و المساندة و المؤازرة أحيان أخرى" .

و قد عرفت البحوث الإثنولوجية و الأنتروبولوجية الثقافية إهتماما متزايدا بالبحث في التراث الصوفي و الذي يمت بصلة إليه كـــالطقوس و الممارســـات الثقافيـــة

الصوفية من حيث أنها مجموعة من الشعائر الدينية ذات الأبعـــاد الإجتماعيـــة و الثقافية و الفنية و التي تستحق البحث و الدراسة .

و إذا كان الهدف الأساسي من الأنثربولوجيا كما قال كازينوفJean Caseneuve الإنطلاق من وصف مظاهر الحياة داخل المجموعات البدائية ليلقى الضوء علـــى الظواهر الثقافية و الحضارية كما تظهر في هذه المجموعات في اختلافهـــا عـــن المجموعات المتحضرة لكي يهيئ المجال أفضل للتقاليد و الأعراف و الأنظمـــة " فلقد إهتمت أغلب الدراسات الأنثروبولوجية الكولونياليـــة بـــالمجتمع الجزائـــري لمعرفة أشكال بناءه التقليدي من عادات و تقاليد و نمط المعيشة و من بينها نـــذكر لويس رين عن الإسلام في الجزائر و ديبون و كابولاني حـــول الطـــرق الدينيـــة الإسلامية التي وقفت على طبيعة النظام الطرقي و خصوصـــياته فـــي المغـــرب العربي لما لها من أهمية و أبعاد إجتماعية و ثقافية و حضارية كما أنهـــا أثبتـــت على أنها قوة تقليدية تتمتع بسلطة دينية و رمزية مؤثرة على أتباعه و موريديها .

فالزوايا لم تعتبر قديما رباطات للجهاد و مكان للصلاة و العبادة فقط ، بـــل كانت تمثل فضاء إجتماعيا و ثقافيا و دينيا تساهم في بناء الإنسان الجزائـــري و تكوين شخصيته في ظل القيم و المبادئ الإسلامية بالنظر لما كانت تتمتع به مـــن رصيد مذهبي ديني مؤثر و باعتبارها مركزا للحركة التعليمية و الدينية و مؤسسة يلجأ إليها الناس لحل نزاعاتهم و مشاكلهم ، فقـــد أرســـت فعـــلا دعـــائم الذاتيـــة الجزائرية ، فالحضري ليس منقطعا عن الثقافة الشعبية و لكن الإختلاف يكمن في شدة التعامل مع التراث الشعبي و هذا ليس ناتجا عن تخلف بل هو نتاج محاولـــة الحضري تجاوز تلك الحداثة التي يتعامل معها في حياته اليومية و الابتعـــاد عـــن الإحباط الذي يدفع الفرد إلى الخوف من مواجهة مواقف حياته و نراه يبحث عـــن هذه المؤسسات التقليدية للعودة إلى الأصل عن طريق مختلف الممارسات الثقافية

التي تسكن مخيلته الشعبية من معتقدات و عادات و تقاليد و طقوس خاصة للزيارة التي يحاول بها البحث عن الراحة و الإطمئنان وقضاء مختلف الحاجات ،فتـــردد الأفراد من المدن على الزوايا خاصة النساء دليل على أن الفرد الحضـــري مثلـــه مثل الفرد الذي يعيش في الريف كونه يبحث عن ملجأ لطلب الإســـتعانة و داخـــل ذالك توجد ممارسات طقوسية لها علاقة بالمستوى الثقـــافي للزائـــر و هـــذا مـــا سنحاول توضيحه أكثر ضمن فصول بحثنا.

إن إختيارنا لحقل التصوف و موضوع الزوايا كإحدى موضوعات دراسته لم يكن وليد الصدفة فهناك جملة من الأسباب و المعطيات دفعتنا إلى ذلك و قد ســـاهمت محاضرات السنة النظرية المبرمجة ضمن مشروع الماجســـتير "مـــدن ثقافـــات و مجتمع" من تحديد مسار بحثنا و ساهمت بتحقيق دراستنا، ونلخص دوافع إختيارنا للموضوع في مايلي :

1-الدوافع الذاتية: فبحكم الإنتماء إلى منطقية ريفية أيـــن تكثـــر الأحاديـــث و الروايات الشفوية حول الزوايا خاصة القريبة منا كزاويـــة ســـيدي عبـــد الكـــريم الجازولي و كذلك زياراتي العائلية المتكررة لتلك المنطقة كانت دائما تتـــرك فـــي نفسي تساؤلات عديدة حول سر تلك المؤسسة التقليدية و قوة إرتباطها بمنطقتنا من خلال الأفراد أو السلطات كان حافزا لإختيارها من أجل مقاربتنا الأنثروبولوجيـــة ،فجل أفراد عائلاتنا يقدسون هذه الأماكن و تربطهم بزاوية سيدي الجازولي علاقة قرابة و جوار و مصاهرة ، فميدان بحثنا لم يكن بالجديد علينا و إنما فضاء تـــرك فينا تساؤولات عديدة لكثرة التردد عليه .

2-الدوافع الموضوعية :إن مسار تكوننا في علم الإجتماع السياسي ثـــم علـــم الإجتماع الحضري ثم الإهتمام بالأنثروبولوجيا ، جعلنـــا نتعمـــق فـــي موضـــوع

الدراسة و محاولة تحديد إطار معرفي خاص بمجال الزوايا كنطقة إنطـــلاق فـــي مسار بحثنا.

الإطار المنهجي للدراسة :

1- الإشـــكاليـــــة:

تعتبر الزوايا من المؤسسات التقليدية التي أوجدت داخل المجتمع خدمة لأفراده كونها تستمد مرجعياتها و مفاهيمها من الدين الإسلامي حتى أنها أصبحت تمثل التراث المقدس إلى الجانب المساجد و المدارس القرآنية للقيمة الحضارية و التاريخية التي منحتها لها المجتمعات العربية و الإسلامية عرفانا للدور الذي قامت به كالحفاظ على الهوية الوطنية و الإسلامية خلال فترات الإستعمار, و مساهمتها في النشر الوعي الديني إلى جانب نشاطاتها الاجتماعية و الثقافية من خلال إستغلال المناسبات الدينية و الوطنية كشهر رمضان إحياء المولد النبوي أيضا نرى أنها تهتم بالمجال السياسي مثل مشاركتها في الحملات الانتخابية مع الأحزاب و الجمعيات و هي تحاول بهذه الأمور الإبقاء على مكانتها و ضمان إستمرارية صيرورتها داخل المجتمع .

و هذا ما جعلنا نتساءل حول الأسباب التي تجعل سكان المدينة يترددون على الزاوية الموجودة في الريف كحالة زاوية سيدي الجازولي رغم التحضر و التقدم الذي يشهده الفضاء المتواجدين به ؟

و هل لهذه الزيارات تأثيرا على تفكيرهم و سلوكا تهم ؟

فالزاوية كفضاء سجلت حضورها التاريخي القيم الذي تؤكده العديد من الكتب و الدراسات المختلفة للباحثين خاصة الأنتروبولوجية منها و التي كانت إنطلاقتها عبارة عن أعمال إثنوغرافية فعلى سبيل المثال **جاك بارك** في قراءته للتاريخ المغربي لاحظ على أنه منح أولوية ثابتة للديني و إلا كيف نفسر أن الذهن

العربي ينطبع بالدرجة الأولى بالمصادر و المراجع خاصة بالقداسة الدينية و يتأثر بها سواء بالقبول و الرضا أو الخضوع كما أنه أشار إلى " مكانة رؤساء الزوايا و جملة الطقوس المرتبطة بهم و كيف يتم إتباع أوامرهم حتى وهم على فراش الموت " أي أنهم يحاولون قضاء حاجات العباد حتى آخر لحظة من حياتهم ليثبت نوع من الولاء الخاص أي ألا منتهي ، وكذلك الباحثة **نللي سلامة العامري** في كتابها الولاية والمجتمع إعتبرت الزاوية من مظاهر خدمة الدين وأهله وقد انتشرت في المدن والأرياف فهي المكان المنفتح على كل الفئات والشرائح الاجتماعية دون تحديد أو تمييز.

ثم إن الزوايا هي أيضا من مؤسسات التنشئة التي تحاول إنتاج حياة إجتماعية وقف خصوصية متميزة حيث يكون لها الأثر في كل ممارسة اجتماعية أو ثقافية للفرد أو المتردد عليها هذا ما أكدته الباحثة **فاني كولونا** معتبرتها مكان لإنتاج ثقافي خاص و نمط معين من الأفكار في تقريرها الذي أعدته حول الفقهاء. كل هذه الأمور جعلتها تمثل العمق الأنتروبولوجي للمجتمع الجزائري , إذ إستطاعت الزوايا أن تفرض نفسها في المجتمع الحضري بعدما كانت مهامها لا تتعدى حدود الأرياف قديما فقد زادت نسبة أهميتها لدى العامة و أصبحت قبلة للناس بغرض طرح مشاكلهم و إنشغالاتهم حسب المبحوثين مما جعلها تحظى باهتمام خاص من قبل السلطات تجلى في ملتقيات إقليمية ، وطنية و حتى دولية لإبراز دورها التاريخي و الحضاري و الترويج لأفكارها و مبادئها عبر وسائل الأعلام لتدعيم مكانتها داخل المجتمع مما جعلها تتمتع أيضا بصلاحيات تضاهي بها أحيانا السلطات المحلية و تسمح لها بالإجابة عن انشغالات و تساؤلات الذين يقصدونها و كذلك إبداء رأيها في قضايا مختلفة كحل النزاعات مثلا ، فرغم التحولات و التحديثات التي مست المجتمع في جميع الميادين و المجالات إلا أنه

هناك تمثلات و تصورات و قيم داخله مازالت قائمة و مستمرة دون اصطدام أو تناقض مع كل ما هو حديث و هذا راجع للبنية المجتمع .

فموضوعنا يحاول فهم العلاقات الموجودة بين المدينة و الزاوية، فالأولى تمثل فضاء متحضر يشهد حداثة في الحياة الفكرية، الإجتماعية ، الثقافية و الاقتصادية مما تؤثر على سلوك سكانها و قيمهم المتجددة لتتوافق و التغير المحدث ، و الثانية هي فضاء تقليدي متواجد بالريف حيث اعتبرها **عبد الرحمن موساوي** من وسائل الاتصال والتواصل داخل المجتمع كونها مكان عبادة ومعاملة ممثلة بذلك الحقل الديني في كراسه حول " **بنية الحقول الدينية في الجزائر** "،إلا أننا مازلنا نرى تلك العلاقة الموجودة بينهما والتي تظهر من خلال الممارسات الثقافية للزوار، أي العلاقة بين الحضري و التراث الشعبي و ضمن هذه المقاربة سوف نعتمد على الوصف الإثنوغرافي لكل ما يدور في الزاوية ثم التعمق وتحليل علاقتها بالمدينة عبر المنهج السوسيوأنتربولوجي و بحكم طبيعة موضوعنا سنقوم بإنجاز مقابلات للاستطلاع على حقل الموضوع و كذلك الاستعانة بتقنية الاستمارة لفائدة إحصائياتها من أجل الإجابة على السؤال السوسيولوجي التالي :

*** ما مدى تأثير الزاوية على الممارسات الثقافية للمترددين عليها من المدينة ؟ وفي ماذا تتجلى مظاهر هذا التأثير ؟**

فتطبيق هذه الوسائل على مجتمعاتنا العربية الإسلامية يتطلب منا أن لا تختلف نظريتنا إلى بعض الفئات الدينية الإجتماعية و الثقافية عن هذه الغاية لكونها سلوك أفرادها و حتما يصدر عن سوء فهمها أحكاما مسبقة جاهزة تؤدي بدورها إلى مواقف قد تساهم مثل هذه الدراسات في التخفيف من حدتها و تغييرها و بالتالي خلق جسور تفاهم بين أفراد المجتمع الواحد الصالح للتنمية و التحضر.

2- الفــرضيــات:

للإجابة على السؤال السوسيولوجي وضعنا مجموعة من الفرضيات التالية:

I – يتردد سكان المدينة على الزاوية سيدي الجازولي من أجل الراحة والترفيه كونها متواجدة بالريف و الابتعاد بذلك عن صخب المدينة و مشاكلها و النساء هن الفئة المتواجدة بكثرة فيها مما يجعلهن مسئولات بالدرجة الأولى حول تأثيرهن على سلوكات و أفكار عائلاتهم و الأوساط المتواجدين بها و من مهامهن كذلك الحفاظ على توارث هذه الممارسات و إستمراريتها عبر الأجيال .

II – تفضيل الناس الطرق السلمية التي تنتهجها الزاوية لحل نزاعاتهم وصراعاتهم و رفضهم اللجوء إلى القطاع الرسمي يرمز إلى المكانة التي تحتلها هذه المؤسسة التقليدية و مدى فعاليتها داخل المجتمع الحديث .

III– دور الإعلام في تدعيم عودة الزاوية داخل المجتمع من خلال إبراز أهميتها تاريخيا ضمن ملتقيات خاصة بها كمناسبات تستغلها لنشر أفكارها و الدعوة للمحافظة عليها و كذالك فعالية نشاطاتها الثقافية و الإجتماعية و السياسية التي رافقت تولي الرئيس بوتفليقة الحكم جعل لها ثقة أكبر داخل فئات المجتمع .

3- تقنيات البحث :

يتحول بحث دور الزاوية في الوسط الحضر في ظل التحولات التي يشهدها مجتمعنا إلى موضوع للدراسات السوسيوأنثروبولوجية، للكشف عن دلالات النسق التقليدي، الحاضرة و المتفاعلة مع الأنماط الحديثة فبخصوص المنهجية المتبعة في الدراسة فإنه قد وجب علينا لجمع المعلومات إتخاذ أكثر من تقنية و منهج للبحث :

* يمكننا القول أن هذه الدراسة اعتمدت طريقة الملاحظة بالمشاركة و تقنية المقابلة الحرة و تقنية الإستمارة التي هي قائمة من الأسئلة التي يحضرها الباحث حول الموضوع و هي تحتوي على أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة قصد التعامل مع مجتمع البحث تم اختيارهم على عامل القصد (من أراد المشاركة و المساهة في إثراء البحث) ووزعت 200إستمارة بطريقة عشوائية في كل من مدينة عين تموشنت 90 إستمارة في : بني صاف 50، ولهاصة 20 ، الرمشي 20 ، تلمسان 20 إستمارة ، و قد صيغت أسئلة تلك الإستمارة بطريق تغطي مجمل المحاور المهمة للموضوع.

كما قمنا بإجراء مقابلات نصف موجهة مع مجموعة محدودة من الزائرين (حوالي 20 مقابلة للنساء و الرجال) و كان الهدف منها في الأول التعرف أكثر على الموضوع من خلال رصد الآراء و مواقف و تصورات التي تهمنا في البحث ، أما عن عملية جمع الاستمارات فقد كانت صعبة فللحصول على 200 إستمارة اضطررت إلى توزيع 300 منه و الغريب في الأمر أني واجهت صعوبة مع الذكور و ربما هذا راجع إلى أننا مازلنا لم نعتاد عن هذه البحوث في بلدنا نتيجة ضعف الوعي بهذه الأمور أو الخوف بإعطاء الرأي مع ذلك حاولت المساواة بين إستمارات الذكور 100 و الإناث 100 إستمارة للمقارنة بين الجنسين لأن لها وزن هام في هذا الموضوع .

4- منهـــج البحـــــث :

إن طبيعة الدراسة التي نحن بصدد إنجازها فرضت علينا نوعا من المناهج للكشف و تحليل ما يتعلق بالإشكالية أي مدى تأثير الزاوية على الممارسات الثقافية لسكان المدن ؟ و الوصول إلى الهدف المنشود من هذا البحث العلمي .

* المنهج السوسيو أنتروبولوجي : إن الإستفادة من علم الاجتماع الأنتروبولـــوجي هو نظرته المضاعفة التي تعيد بناء وحدة الموضوع المدروس و تبين و توضـــح العلاقات و سلوكات الأفراد مع بعضها البعض ،فمن مميزات الأنتروبولوجيا هي الملاحظة و التأويل و فهم الظواهر و المؤسسات بمسافة كافية عن طريق توغلها داخلها. ،فالتحقيقات الميدانية في الدراسات الأنتروبولوجية تكمـــن أهميتهـــا فـــي عملية جمع المعطيات انطلاقا من الواقع المدروس مســـتهدفين فهـــم الخصـــائص الإجتماعية و الثقافية لهذا الواقع ، وعندما نتكلم عن التحقيق الميداني في العلـــوم الإجتماعية على الباحث أن يتسلح بتقنيات و مناهج علمية من أجل الإقتراب مـــن الخصائص الأنتروبولوجية لفئات المجتمع المدروس و من بين هذه التقنيات نريـــد التركيز على تقنية الملاحظة بالمشـــاركة و التـــي تعتبـــر الركيـــزة الأساســـية الأنتروبولوجية الثقافية حيث تساعد هذه التقنية الباحث على معايشة حياة و نشـــاط الأفراد المدروسين فعلى الباحث الملاحظ الغوص في أعماق الأفراد المجتمـــع و يندمج في مجموع علاقاتهم الإجتماعية ليكسب ثقة المبحوثين و بالتالي الكشف عن خبايا الظاهرة المدروسة في سيرورتها و ديناميكيتها وصولا إلى إكتشاف ثوابتهـــا و متغيراتها إلا أن هذه التقنية تحتاج إلى تقنيات مكملة مثـــل المقابلـــة غيـــر الموجهة و البيوغرافيا .....إلخ للإلمام بكل الجوانب الظاهرة المدروسة .

* المنهج الوصفي : و هذا لنتمكن من إعطاء صورة عامة حول الزاوية التي أخذناها كنموذج لدراستنا ، فهذا المنهج يمكننا من وصف الظاهرة بصفة معمقة معتمدين على المنهج المونوغرافي من أجل جمع المعطيات اللازمة.

*- المنهج الإحصائي : أما عند معالجة المعطيات و تحليلها فقد حاولنا توظيف المنهج الإحصائي بإستعمال SPSS مع إبراز أهم المتغيرات في الجداول المتقاطعة مثل عامل الجنس السن و المستوى الثقافي مكان الإقامة و غيرها .

5- بعض النتائج الأولية حول البحث :

قد تم تقسيم البحث إلى ثلاث فصول و خاتمة تضم نتائج البحث ومن خلالها سنتعرف على أهم ما توصلنا إليه.

* في الفصل الأول ركزنا على مؤسسة الزوايا بالجزائر و مراحل تكونها و أنواعه و كذلك وظائفه داخل المجتمع الجزائري و بالتعرض أيضا إلى زاوية سيدي الجازولي نموذج مقاربتنا من حيث وصفها و إثنوغرافيا و كذلك سمعتها داخل الولاية من خلال المبحوثين حيث أنه نسبة اللذين يترددون عليها كانت مرتفعة حسب الجدول .

جدول يبين نسبة المبحوثين المترددين على زاوية سيدي الجازولي		
الإجابات	التكرار	النسبة %
نعم	128	64%
لا	72	36%
المجموع	200	100%

* في الفصل الثاني المعنون بالمدينة في الجزائر تطرقنا إلى نشأة المدن و خصائص المدينة الجزائرية و كذلك لعملية التحضر فيها ثم بعدها الممارسات الثقافية داخل المدينة كثقافة الأفراد في زيارة الزوايا حيث أن أغلب مبحوثينا ينتمون للوسط الحضري كما يبين الجدول التالي .

جدول يبين مكان إقامة المبحوثين		
الإجابات	التكرار	النسبة %
داخل المدينة	144	72%
خارج المدينة	56	28%
المجموع	200	100%

* الفصل الثالث و بعنوان الزوايا و الممارسات الثقافية تطرقنا إلى أبرز المواضيع و الدوافع التي تجعل الفرد يتردد على الزوايا و كذلك الزيارة و طقوسها الفردية و الجماعية و كذلك إلى مكانة زاوية سيدي الجازولي و شيخها عند الزوار كعنوان هام إلى تأثير الزوايا على الممارسات الثقافية لسكان المدن .

الفصل الأول

تاريخ الزوايا بالجزائر

مقدمـــــة الفصـــل الأول :

تتحول الأبحاث المتعلقة بموضوع الزوايا من دراسات أنثروبولوجية كولونيالية كانت لها فائدة كبيرة للمستعمر من أجل التعرف على المجتمع الجزائري و التي بقيت كمراجع مهمة في هذا المجال إلى أبحاث و دراسات سوسيوأنثروبولوجية في ظل التحولات التي يشهدها مجتمعنا بغية الكشف عن دلالات النسق التقليدي المرتبط بتلك المؤسسة على مدار قرون من الزمن و الحاضرة و المتفاعلة مع الأنماط الحديثة و الثقافات المختلفة ممثلة بذلك العمق الأنثروبولوجي للمجتمع الجزائري كونها تمثل الهوية الوطنية و المركز الحامي للتراث العربي و الإسلامي و هذا ما سنحاول التركيز عليه في هذا الفصل بالتعرف على تاريخ نشأتها و وظائفها .

المبحث الأول : شبكة المفاهيم ومصطلحات الفصل

لكل موضوع دراسة مجموعة من المفاهيم التي يرتكز عليها تناسقه و هي أساسية في بنائه لهذا سنحاول إعطاء نظرة عامة حول شبكة المصطلحات الخاصة بالفصل الأول من الناحية اللّغوية و الإيثيمولوجية .

*مفهوم الزاوية و المصطلحات المرتبطة بها: مثل الشيخ، المريد و الحضرة.

1- تعريف مصطلح الزاوية :

أ- التعريف اللغوي:

من حيث الأصلُ اللغوي يشتق لفظ " الزاوية " من جذره " زَوَى يزوِي " الشيءَ إذا جمعه وضمه، ومنه زوى سرَّه عن الناس إذا كتمه و طواه، يقال أيضا: زَوَاه فانْزَوَى أي نَحَّاه فتنحى، و تَزَوَّى الرجل و زَوَّى وانْزَوَى في قاعة أي " إنطوى على نفسه " كذلك تنحى إلى ركن من بيت أو مسجد أو بناء أي عاش في عزلة[1].

فمن معاني الإنزواء و الإنقطاع للعبادة أو العلم و الاجتهاد نقول أن الزاوية تعد ركنا يأوي إليه أي شخص ، فهي مسجد غير جامع ليس فيه منبر ، فهي مأوى للمتصوفين و الفقراء[2] .

[1]- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة : دار المشرق ،بيروت، ط3 2003، ص 472 .
2- المنجد في اللغة العربية المعاصرة : دار المشرق ،بيروت ،ط2 ،2001 ، ص631 .

ب – التعريف الاصطلاحي :

– نستخلص المعنى الاصطلاحي للفظ " الزاوية " عن تنوع التعاريف المعطاة لها من طرف الباحثين و المهتمين بها فنقول :

*الزوايا عرفت في الأول باسم الرباط الذي ظهر مع الفتوحات الإسلامية ثم ظهرت مرة أخرى تحت إسم (خنقاه=khânqâh) الفارسي[1] ثم التركي(zaviye= مسجد خاص) حيث أعتبرت كنوع من الدور الإسلامية التي عرفت إنتشارا في المغرب العربي إبتداءا من القرن eVIX تحت الشكل التركي خلال الفتوحات العثمانية) و بعدها ظهر مصطلح الزاوية و توسع في القرن eIIIX إذ كان يطلق عليها دار الضيوف لإستقبالها الناس وعابري السبيل من مختلف الأرجاء و تعتبر الزوايا في العالم العربي مقرا للعزلة من أجل ممارسة الحياة الباطنية " الروحانية" حسب المتصوفين و يقابلها عند الأتراك التيك tekke وفي الهند التاكيا takya [2].

* قد وصفها أيضا دوماس Daumas من خلال أبحاثه الوصفية بالجزائر سنة 1847 قائلا " كل زاوية تحتوي على مسجد و على قبة المرابط المتواجد بها و الذي تحمل إسمه و محل العلوم لتلاوة القرآن و آخر لدراسة و آخر لتلقين الدروس للأطفال و مكان لإيواء الطلبة و كل من يأتي لطلب العلم و غرفة للزوار أو من يريد التوقف و الراحة في المرابط " [3] .

[1] - Eric Geoffroy : Initiation au soufisme, fayard, France ,2003, p185.
[2] - Ibid, p185.
[3] - Dominique et Janine Sourdel: Dictionnaire Historique de l'islam, Puf, Paris, 1996, p864.

* من الناحية السوسيولوجية تعتبر الزوايا إحدى عوالم التنشئة و الإدماج أما من الناحية الأنثروبولوجية فهي تمثل عمق المجتمع المتواجدة به كونها تحتوي الأرشيف التاريخي له ، فهي المؤسسة الدينية ، الإجتماعية و الثقافية في نفس الوقت التي تمنح الشرعية لدى شيخها بحيث يعد مرجعيتها التاريخية و الإثنية أما في الحقل الصوفي فهي مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد، و تتخذ مأوى لطلبة القرآن و العلم ،وملجأ الزوار .

* الزاوية كانت بمثابة جامعة دينية و هي في نفس الوقت المأوى بدون مقابل فهذين النقطتين تبين تشابهها مع الدير في العصر الوسيط[1] .

* هناك أيضا من يعتبر الزوايا الإسلامية في المغرب كجمعيات تضم أشخاص مؤمنين بمبادئها يرأسها شيخ و هو الممثل الروحي لها و تتبنى طريقة معينة [2] .
* الزاوية تعتبر كذلك حلقة مرابطية خاصة بالإسلام المغربي و هي أيضا إسم مؤسسة دينية مهمتها إحياء ذكرى الأولياء المنتسبين إليها[3].

في الأخير نستنتج أن الزاوية بكل تلك المعاني السابقة هي المجال الحيوي الذي أريد له أن يكون أداة لإعادة صياغة المنزوين فيها،علميا وتربويا وروحيا ونفسيا و إجتماعيا و أهم ما يميزها ذلك الشيخ الصوفي الذي يترأس تلك المؤسسة الدينية ، الإجتماعية و الثقافية و السياسية في نفس الوقت و الذي يمثل القداسة عند المريدين و المترددين إليه بسبب أفعاله وممارساته التي تحصل عليها من أصله الشريف ومن ثم مبايعته ليتقلد منصبه .

---

[1] - Ibid ,p864.

[2] -Achour cheurfi: L’encyclopédie maghrébine, casbah, Algérie, 2007, p342 .

[3]– مالك شبل : معجم الرموز الإسلامية، دار الجبل ،بيروت،ط1، 2000، ص143 .

2- تعريف مصطلح الشيخ :

أ- التعريف اللغوي :

- من حيث الإشتقاق الشيخ من شاخ و شيخا و شيخوخة بمعنى أسن أو تقدم في السن أي كبر في السن، و الشياخة هي منصب أو موضع ممارسة الشيخ سلطته[1].

- و الشيخ عند المسلمين رجل دين و يقال أيضا فضيلة الشيخ كلقب رئاسي في بعض بلدان الخليج و أحيانا تقال عن مشايخ اللّغة و الأدب مرادفة لـــكلمة كبارها و أساطينها [2] .

- جاء في لسان العرب أن الشيخ هو الذي إستبانت فيه السن و ظهر عليه الشيب و قيل: هو من الخمسين .... الخ و قيل هو من إحدى و خمسين إلى آخر عمره ، وقيل هو من الخمسين إلى الثمانين و الجمع أشياخ و شيخان و شيوخ ....." [3]

* مما ذكر نستخلص أن الشيخ في تلك المعاني هو من كسا الشيب شعره و تقدم في السن و إكتسب إحتراما لسنه .

ب - التعريف الاصطلاحي :

- نجد أيضا أن كلمة الشيخ عند العامة من الناس تدل على معنى أوسع لا يخص السن فقط بل يقصد بها ذلك الإنسان الحكيم الحليم الجدير بالاحترام و الوقار، العالم بأحكام الشرع ، الواصل لمعرفة ربه و هذا ما سنلاحظه في الشروحات التالية :

---

[1]- المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 598 .

[2]- نفس المرجع .

[3]- ابن منظور : لسان العرب ج10 ،دار صادر، بيروت ، ط1، 1990 ،ص2373 -2374 .

– فالشيخ هي كلمة ترمز للكبير أي بسن معين كاحترام له لتجاربه أو معرفته ، وفي البلدان الإسلامية تستعمل ككلمة ترمز لأدب التعامل و هي عنصر خاص و رئيسي في المجال الديني و الشيخ هو أيضا المعلم الروحي الذي يلقن الأخلاق و قواعد الحياة الصوفية إذن فهو مصطلح ذو أهمية في المجال الصوفي كونه المرشد و رئيس الزاوية [1] .

– و كلمة الشيخ أيضا من ألقاب العلماء و الصلحاء و لقبوا به توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير و قد كان مجال استعمالها واسعا جدا فكان يطلق على بعض كبار العلماء و على الوزراء و رجال الكتابة و المحتسبين و بعض الملوك و الكتاب من غير المسلمين [2] .

– نستخلص أن للفظة الشيخ عدة دلالات يمكن تصنيفها إلى :

* دلالة حقيقية تشير إلى أنه ذلك الإنسان المتقدم في السن الهرم الذي ضعفت قوته الجسمية و ذهبت عنه حيوية الشباب و نشاطه .

* دلالة مجازية تشير في أحد معانيها إلى المربي و المعلم و سمي على هذا الأساس نتيجة حمله لواء الطريقة و التكفل بالدعوة إليها و التربية على أساسها الصوفي، وعلى هذا فإن الشيخ في المعرفة الصوفية هو العارف و المرشد الروحي للزاوية و هو أيضا المربي الذي يأخذ بيده المريد خطوة خطوة فنون التصوف .

---

[1]- Dictionnaire Historique de l’islam: op.cit ,p199-200.

[2]- مجلة المواقف : د.محمد مجاود: دور الزوايا في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر،العدد الأول، ديسمبر2007، ص230.

3 – تعريف مصطلح المريد :

أ– التعريف اللغوي :

ذكر الشيخ البناني في تحفه عن الشيخ محمد مصطفى ماء العينين ما نصه : "المريد مشتق من الإرادة وهي لوعة في القلب يطلقونها و يريدون بها إرادة التمني و هي منه واردة الطبع و متعلقها الحظ النفساني واردة الحق و مطلقها الإخلاص و هذه هي التي اشتق المريد منها اسمه عندهم"[1]،و المريد من أراد ربه من دون سواه ، فهو الراغب في الشيء بشدة له رغبة فيه " خاطر فيه "[2] .

ب – التعريف الاصطلاحي :

من مرادفات كلمة المريد نجد لفظة السائر و السالك "الذي هو أيضا لقب من الألقاب الصوفية و التسلك هو السير على الطريق الموصل إلى الله تعالى" [3] و كلمة الفقير كمرادفة للمريد هي الأكثر تداولا في المغرب العربي عامة و الجزائر خاصة و لها مدلولات واسعة مثل التلامذ و مفردها تلميذ الذي يحفظ القرآن و كذلك القناديز التي مفردها قندوز تستعمل بكثرة في الأرياف و كذلك كلمة الفقرا مفرد فقير و هناك في البدو من ينعت الفقراء بالمرابطين مفرد مذكر (مرابط) و مؤنثها (مرابطة) حسب ما جاء في أقوال المبحوثين فيما يخص بعض الأسئلة التي طرحت حول المريد خلال المقابلات الاستطلاعية . أما عن لفظي السائرين و السالكين فهي كثيرة الاستعمال في المشرق ،و حسب المعرفة الصوفية يقصد بالسالك الإنسان الذي سلك طريق التصوف، أما السائر فهو الذي يمشي في طريق معنوي أي التصوف فينتقل من نقطة الجهل إلى نقطة المعرفة.

---

[1]– أبو بكر البناني : تحفة أهل الفتوحات و الأذواق مطبعة التراث ، بدون تاريخ الإصدارو البلد ،ص135

[2]– محمد يوسف رضا : معجم العربية و الكلاسيكية المعاصرة ،مكتبة ناشرون ،لبنان،ط1 2006 ،ص1461.

[3]– مجلة المواقف : مرجع سابق ، ص 229.

جدول صفـــات و أفعال المريـــد : [1]

الصفات و الأفعال التي يتخلى عنها المريد لوحده بعد توبته و دخوله في الطريق	الصفات والأفعال التي يتخلى عنها المريد بمساعدة الشيخ المربي	الصفات والأفعال التي يتحلى بها المريد بالتدريج .
* الكذب – البهتان – الزور . * التعاطي للمحرمات – الزنا– الخمر– القمار– الربا – الرشوة–الجدال– العنف – الجريمة– السرقة . * الأنانية المفرطة .	* الغرور– العجب – الكبر– الطمع– الغيرة– الحسد– النميمة – الغيبة– روح التطلع و الفضول. * حب السلطة و الرياسة – الشرك البارز والخفي . * حب الشهوات و الملذات سوء الظن بالله وبعباده– الغفلة.	* الصبر– التوكل– القناعة – الخوف و الرجاء. * حب الخير للآخرين . *إتباع الكتاب و السنة . * حسن الظن بالله و عباده.
النفس الأمارة بالسوء	النفس اللوامة و الملهمة	النفس الملهمة و النفس المطمئنة

* إذن المريد هو ذلك الشخص الذي منح لنفسه فرصة التوبة و إختار شيخا ما ليتتلمذ على يده من كل النواحي الأخلاقية والدينية ثم الإجتماعية ليصير بعده المساعد الذي يتكل عليه شيخه في أمور عدة .

[1]– الحسنية أمتير: مذكرة ماجستير بعنوان: السماع الصوفي و الحضرة في الزاوية الممشاوية بتلمسان – دراسة تحليلية وصفية– 2003–2004 ، ص 54 .

4- **تعريف مصطلح الحضرة :**

أ- التعريف اللغوي :

إشتقاق كلمة الحضرة كان من فعل حضر و حضورا و يقال بحضرة فلان أي بوجوده و بشهادته، أمامه[1]، و هي كذلك حضّر و أعدّ و هيأّ لشيء ما .

ب - التعريف الإصطلاحي :

* من الباحثين من يرى أن الحضرة هي تلك الإجتماعات أو التجمعات التي يعقدها شيخ الزاوية مع مريديه و التي يتم فيها دراسة كل القضايا المتعلقة بالزاوية لكن هناك عدة تعاريف لهذا المصطلح من بينها ما سنتطرق له:

* الحضرة مصطلح إسلامي صوفي يطلق على طقوس جماعية يؤديها المنتمين للطرق الصوفية وفيها يتم أداء أشكال مختلفة من الذكر، كالخطب وتلاوة القرآن والنصوص الأخرى من أدعية وأوراد، وإلقاء الشعر والإنشاد الديني، ومدح محمد بن عبد الله رسول الإسلام والصلاة عليه، والدعاء والذكر الجماعي بشكل إيقاعي، وتلاوة أسماء الله الحسنى و يستخدم المحافظين من الصوفية أحيانا الدف أثناء الحضرات، في حين أن بعض الطرق تستخدم آلات أخرى وتعرف الحضرة بهذا الإسم في الدول العربية وفي بعض الدول الإسلامية غير العربية مثل إندونيسيا وماليزيا، في حين تعرف بأسماء أخرى في تركيا وغيرها من الدول.

[1]- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، مرجع سابق ،ص 237.

* يولي الصوفية أهمية بالغة للحضرة، فحسب ابن عربي تعد ممارسة صوفية محضة، وثيقة الارتباط بالخالق عزة وجل و هي بذلك تسمى "حضرة إلاهية" أو تكون متعلقة بمحمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و تأخذ إسمه الشريف "الحضرة المحمدية" أو تسمى بالنبيين عيسى و موسى عليهما السلام فتكون حضرة "عيسوية أو موسوية".... في حالة الحضرة الإلهية تتصل بأسماء الله الحسنى و هي أعلى درجات الحضرة [1]، و عليه نستنتج أنه هناك ثلاث مصطلحات ترافق الحضرة فإما تكون حضرة الله تعالى أو حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو حضرة الشيخ و هي بالتالي تمثل أنواعها.

* فالحضرة تعرف على أنها جمع بين عمليتين الذكر: بتلاوة القرآن و الدعاء إلى الله و الصلاة على رسوله عليه السلام و بالتالي هذه الحضرة عبارة عن صلاة طقسية يجتمع فيها أعضاء الطريقة و يرددون إسم الله طويلا حتى يصلون إلى درجة من الإنجذاب و الوجد و تكون بقيادة المقدم و يصاحب هذا الذكر رقصات دائرية و المدح مع إيقاع الطبول و المزامير و يعتبر هذا الرقص من الطقوس المهمة للطريقة لذلك يقال للحلقة التي يشكلها المريدون داخل الزاوية الحضرة بذاتها أما العمارة فتعني الرقص الذي يقام فيها.

* وحسب تصريحات المبحوثين من خلال المقابلات التي أجريناها ففي الغالب أصبح مصطلح الحضرة عندهم مرادفا لمصطلح عمارة و التي بدورها تسمى الزهيد عند العامية الذي أنتقل منه معنى الزهد إلى الرقص و الذي هو دليل على الزهد في الدنيا و هناك مرادف آخر و هو الجذب أما عن ترتيب مراحلها فيكون بتعيين المسمع و القطب الذي يسيرها وهناك من يتفق على أنها تعبير جسدي للوجد الناتج عن الذكر و السماع و هي تسمى أيضا بالاهتزاز حسب أحد المبحوثين .

[1]– ابن عربي : الفتوحات المكية ،ج4 ،ص196 : مأخوذ من مذكرة الحسنية أمتير ، مرجع سابق،ص 200.

ج – أثر الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين :

هناك العديد من الزوار من يقصد الزوايا بالأيام التي تقام بها الحضرة أو الاحتفالات الدينية خاصة أيام الجمعة عن قصد من أجل مريض أو راحتهم النفسية التي تأتي بالمشاركة في هذه المجالس و كل هذا يتوقف على حسن النية و على الصدق و الإعتقاد طبعا حسب المبحوثين الذين سبق و أن شاركوا فيها، ومن هنا نستخلص أن للحضرة أثر على نفسية الحاضرين فهناك من يعتبرها غذاء روحي لأنها تهدف لتهدئة النفس و بث فيها الطمأنينة و تجديد الحال أو الحياة فأثناء فترة الذكر يتم نوع من التطهير النفسي عن طريق محاولة إخراج كل الإنفعالات و الإضطرابات .

من أنواع الحضرات هناك الحضرة العيساوية المسماة بسم طريقتها التي ظهرت بمكناس في القرن 15م و لها تفرعات بشمال إفريقيا و بالمشرق أيضا، أسسها الشيخ الهادي بن عيسى و أصلها شاذلي و جازولي في نفس الوقت [1] و هي من الطرق الصوفية السنية.

و تكتسي الحضرة في هذه الطريقة أهمية أكبر من حيث الأفكار أو الزهد و الهدف منها هو الوصول إلى الفناء بفقدان الوعي و هذا بواسطة حركات إيقاعية عنيفة و يسبقا الذكر في الأول وكذلك بواسطة الوسائل المستعملة كترويضهم للأفاعي مدعين العلاج بها و منح الوقاية من لسعتها.

---

[1]– معجم الرموز الإسلامية : مرجع سابق ،ص191 .

*** مثلث الحضرات الصوفية :**

هذا الرسم مبني على أساس إقتراحات من بعض مريدي الزوايا التي قمت بزيارتها [1] و يحتوي على ثلاثة مثلثات يرمز كل واحد منهم إلى أصل إحدى الحضرات الرئيسية و هي:

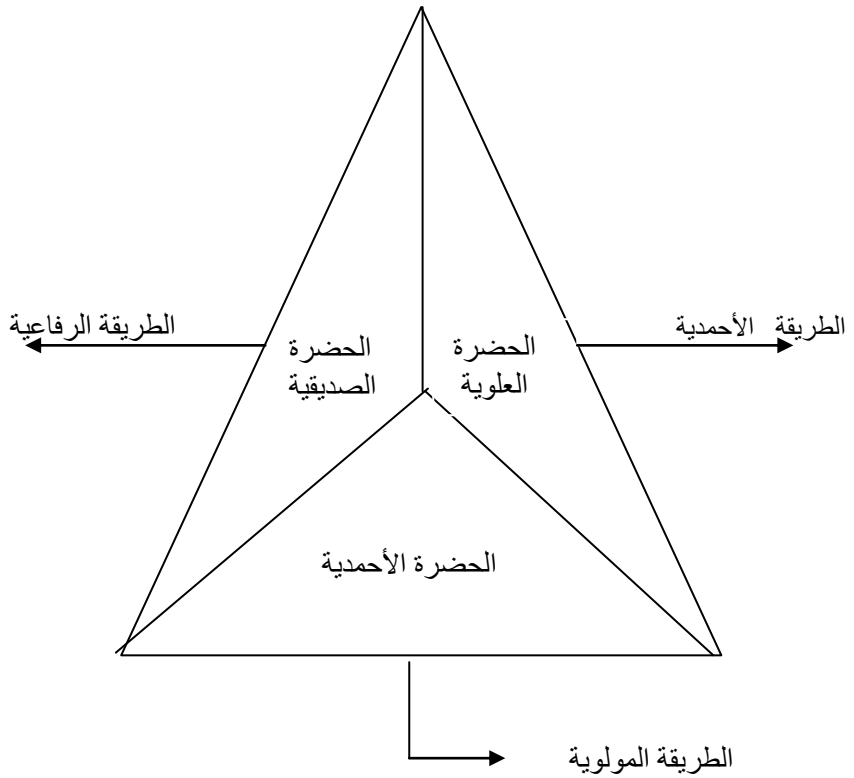

1 – الطريقة الأحمدية : الحاصلة عن سيد الوجود صلى الله عليه و سلم إذ تعتبر أصل كل الحضرات و ترمز إلى مكانة الإنسان خليفة الله تعالى فـــي الأرض و الطريقة التي تبنتها هي المولوية التابعة لمؤسسها مولانا جلال الدين الرومـــي، و من خصوصيات الحضرة المولوية " أن المريد أو الدرويش (الدوّار) يؤدي دورانا حول نفسه عدة مرات و اليد اليمنى مرفوعة نحو السماء كأنه يستقبل سرا و اليـــد اليسرى منخفضة نحو الأرض كأنه يسلم هذا السر إليها "[2]

[1]- مثل الزاوية الممشاوية بتلمسان,زاوية سيدي يعقوب بولهاصة .

[2] - الحسنية أمتير ، مرجع سابق ، ص 205 .

2- الحضرة الصديقية : كما يشير إسمها أساسا إلى الصدق و النية البالغة و عدم الالتفات إلى ما سوى الحضرة و هي حاصلة عن خليفة الرسول (ص) سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه و التي تبنتها الطريقة الرفاعية و يتجلى صدق المريد الرفاعي في ملوكه أثناء الحضرة بحيث لا يعبأ لمن حوله لأن هذه الحضرة لها خصوصية تتمثل في إختلاط الرجال بالنساء أثناء أداء العمارة فيحكى" أن بعض خصوم هذه الطريقة انتقد هذا الاختلاط للشيخ أحمد الرفاعي بذاته فطلب الشيخ منه أن يحضره قسطا من الذهب و الحلي و يرميهم وسط الحضرة و ينظر ما سوف يجري ، ففعل الرجل و إذا به يلاحظ أن لا أحد من المريدين و المريدات أدلى إهتماما للحلي أو حتى أحس بوجودها و هي بين الأرجل فلما انتهت العمارة أخذ الرجل تلك الحلي و طلب السماح من الشيخ الرفاعي و إنضم إلى مريديه لما علم درجة صدق مريدي هذه الطريقة"[1].

3- الحضرة العلوية : الحاصلة عن سيدنا علي كرم الله وجهه و تبنتها الطرق القادرية و الشاذلية و ما تفرع عنهما، و تقام العمارة على شكل دائرة أو حلقة يتوسطها القطب المسير لها و هي ترمز إلى حرف الهاء، و لهذا الحرف شأن عظيم لدى أهل التصوف إذ هو الحرف الآخر من إسم الذات "الله" و إذا حذفت الألف و اللام من هذا الحرف بقى قائما بنفسه ومشير على إسم سرياني و ما يمكن ملاحظته هو أن العمارة تنطق بإسم الذات أو إسم الجلالة "الله" و تنقل من مرحلة إلى أخرى حيث تمر بنطق " **الله**" ثم "**هو**" ثم "**ه**" وهي آخر مرحلة في هذا الميدان[2].

[1]- القصة متداولة بين أهل الزاوية الممشاوية الموجودة بتلمسان .

[2]- الحسنية أمتير ، مرجع سابق ، ص 206 .

المبحـــث الثانـــي : الزوايا و تاريخ ظهورها بالجزائر

1- لمحة تاريخية عن نشأة الزوايا بالجزائر :

بدأ ظهور الزاوية في المشرق العربي الإسلامي حيث بنى الخلفاء المسلمين الأوائل بيوت ملحقة بالمساجد كحاجة ضرورية للمعتكفين و العبّاد و الزهاد للانزواء و الخلوة ثم ظهرت أبنية على أطراف المدن كمصليات و مساجد صغيرة، بدون محراب لإقامة الصلوات الخمس وبقيت تدل على نفس المعنى بينما في المغرب العربي الإسلامي عامة و في الجزائر خاصة عرفت الزاوية تطور كبير بداية من القرن (6 هـ - 13 م) حيث أنشأت الزوايا بهدف تنشيط الحركة الدينية و العلمية داخل المدن وخارجها و عمل الخير ثم تحولت بسبب الغزوات الأجنبية إلى مراكز للدعوة و الجهاد، و أهم ما ذكر أبو القاسم سعد الله في هذا الحدث قائلا :

" و إبتداءا من منتصف القرن السادس هجري عرف التصوف أنتشارا سريعا بين مختلف الأوساط، وقد عرف المغرب الأوسط في هذه الفترة شخصيات صوفية كأبي مدين شعيب، محي الدين بن العربي و أبي الحسن الشاذلي .....حيث نشروا التصوف في المدن أولا ثم في الأرياف"[1] .

* فأبي مدين شعيب يعتبر أول من أدخل التصوف و التعاليم الصوفية إلى بلاد المغرب كما يعد أقدم شيخ لطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر .

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي القرن 16 إلى20 م ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981، ص364.

* و من بين العوامل التي أدت إلى إنتشار هذه الظاهرة التي تحولت من مجرد حركات عفوية إلى حركات منظمة لها مؤسسات قيمة تروج و تمارس أفكارها و أهدافها من خلالها فكان سقوط الأندلس و الاحتلال الإسباني و الفراغ الإداري كعوامل أساسية في إنتشار الزوايا و إستعاب السكان لهذه الحركات الروحية الإسلامية لأنهم كانوا بحاجة لمثلها كما أنها في ذلك الوقت كانت عبارة عن موجة فكرية، علمية و روحية .

2- وضع الزوايا بالجزائر :

في ضوء هذا المنظور و كما نعلم أن الزاوية هي نتاج إسلام تاريخي ساد و تطعم من التركيبة المغاربية التي تفاعلت مع الرسالة القرآنية و عليه أصبحت هذه المنشأة وكل ما يصدر عنها من إنتاجات رمزية كانت أم مادية الثقل المجتمعي الموروث فهي تمثل العمق الأنتروبولوجي لتشكيلة الذات الإجتماعية الجزائرية .

فلقد ساهمت عدة عوامل في انتشار التصوف و تأسيس الزوايا بالجزائر منها : العوامل الفكرية كوجود أعلام صوفية بها و خاصة القادمين من المشرق و العوامل السياسية كالغزو الاسباني و انهيار الدولة الموحدية كذلك ضعف الأندلس و هجرة متصوفتها إلى الجزائر و دول المغرب و كما أشار أبو القاسم سعد الله أنه من بين العوامل الأكثر أهمية " الخطر الداهم على السواحل و غياب الأمن الذي أدى إلى ظهور المرابطين و توليهم مسؤولية الدفاع عن سواحلهم "، أما عن العوامل الإجتماعية فكان تفشي الفساد و إنحراف أفراد المجتمع عن مبادئ الدين و إختفاء القيم الدينية و الأخلاقية في سلوكاتهم من بين ما ساهم أيضا في إنتشار الزوايا لمحاربة هذه الآفات .

* و سنبين في ما يلي الوضعية التي كانت عليها الزوايا في الجزائر و ما هي عليه الآن من خلال القراءات المتنوعة حول الموضوع سواء التاريخية أو الأنثروبولوجية للباحثين الذين إهتموا بهذه المؤسسة :

أ- قبل الإستعمار :

* في نهاية القرن الثالث الهجري بدأ التجسد المؤسساتي و التنظيمي للتصوف حيث شرع المتصوفة في تنظيم أنفسهم طوائف و طرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة التي تتمثل في مجموعة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد يسلكهم و يبصرهم داخل مقرات زواياهم، فانتقل بذلك التصوف و تطور من ظاهرة فردانية بين الإنسان و ربه إلى ظاهرة إجتماعية طرقية كثر رجالها و أتباعها أي إلى التصوف العملي بين الأوساط الشعبية و بدأت يظهر تصوف الزوايا و الطرقية بشكلها المتعارف عليه الآن .

* لقد إنتشرت هذه المؤسسات بكثرة قبل الإحتلال في الشمال الإفريقي بداية من سقوط الأندلس والهجوم المسيحي الإسباني و البرتغالي على شواطئه ما إستلزم الإنتماء إلى تلك الحركات الدينية و الثقافية المواكبة للتغيرات ومن بينها دخول الأتراك العثمانيين و كان أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي هو أول من أسس طريقة صوفية عرفت بالمدينية و التي كانت لها شهرة واسعة و أتباع كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي و ازدادت الشهرة على يد تلميذه عبد السلام ابن مشيش في عام 665ه-1228م ثم واصل بعده تلميذه أبو الحسن الشاذلي نشاطه التصوفي و كان لتعاليم الطريقة الشاذلية الأثر الأكبر في الجزائر، و أغلب الطرق الصوفية بعد القرن الثامن الهجري أي القرن 14 ميلادي تتصل بتلك الطريقة، و من كبار العلماء و الزهاد التابعين لها في القرن 15 م

نجد عبد الرحمن الثعالبي و محمد بن يوسف السنوسي حتى أنهم ألفوا عدة كتب و بدورهم وقفوا في وجه الأسبان، و قد كثرت في الغرب الجزائري الرباطات و الزوايا و مرد ذلك كما قال المؤرخ أبو القاسم سعد الله قربها من المغرب الأقصى الشقيق و العلاقة المتينة التي كانت تربط بينهم فعلى سبيل المثال "مدينة تلمسان و نواحيها التي قد بلغ عدد الزوايا بها أكثر من ثلاثين زاوية أواخر العهد العثماني " [1]

ب-**أثناء الإستعمار:** من المتعارف عيه حسب الدراسات التاريخية و الدينية أن كل الطرق الصوفية التي إنتشرت في شمال إفريقيا كانت من طريقتين هما الشاذلية و القادرية فالأولى كانت بشكل موسع في المغرب الأقصى و الثانية كانت في الجزائر و نستنتج من الأبحاث الكولونيالية خاصة الدراسة التي قدمها بوسكي عام 1954 أن عدد مريدي الطرق الصوفية في الجزائر عام 1930 بلغ 250 ألف مريد فقد لعبت دورا مهما و بارزا في هذه الفترة فكانت المصدر الرئيسي الذي موّن الثورة فجل المنتميين للزوايا من مريدين وأتباع للطرق كانوا مجاهدين في صفوف الثوار لأنهم إعتبروها من مسؤولياتهم الأساسية و بعد تفطن الإستعمار لدورها حاول الضغط عليها "و إذا كان الإستعمار الفرنسي قد توصل حتى إلى تدجين بعض الطرق و جعلها في خدمته فإنه اكتفى بالنسبة للبعض الطرق كالقادرية بالسيطرة على فروعها و مراقبة نشاطاتها ....حيث كانوا ينظرون إلى هذه الطرق على أنها جمعيات سرية تعمل على تحطيم وجودهم... و عميلة للجامعة الإسلامية " [2]

---

[1]- صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، دار البراق ،بيروت،2002 ،ص316.

[2]- مجلة الأثر : د.خير الدين شترة :البعد الثقافي للطرق الصوفية في الجزائر، مديرية الثقافة لولاية بشـــار ،العدد الثالث ، أفريل 2009، ص 31-32 .

* من أمثلة الطرق الصوفية و الزوايا التي شـــاركت بثوراتهـــا الشـــعبية وحملت على عاتقها مسألة حماية الوطن نجد الرحمانية في القبائل و القادرية و الطيبية و الدرقاوية في الغرب و السنوسية في الصحراء كلها كانت تعطى دفعـــا روحيا لمختلف ثوراتها التي انطلقت من الزوايا فكلمات : الجهاد و الاستشـــهاد و الدفاع كانت عبارة عن مفاهيم مقدسة تابعة لشيوخ الزوايا حيث كانوا يســـتعملونها لتنشيط المنتميين إليهم بالمشاركة دون أي تردد و من بينها ثورة الشيخ بوعمامة وثورات الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري و ثورة بومعزة فـــي القبائـــل ،كذلك ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف ببوبغلة و كذا ثورة لالا فاطمـــة نسومر من الطريقة الرحمانية و الشيخ حداد و الشيخ المقراني و العديد منها التي انطلقت من معاقل الزوايا و تبنتها طرق صوفية متنوعة .

* فقال المؤرخ الفرنسي مارسيل ايمري من جانبه عن الزوايا: "بـــالرغم مـــن طابعها الديني، فإن هذه الطرق كانت بالنسبة لدورها الاقتصـــادي و الإجتمـــاعي أحزابا سياسية بالإضافة إلى نظامها التراتبي الغامض الذي أعطاها صبغة ســـرية للغاية ، فلقد نظمت حملات دعائية سرية محكمة ضد الفرنســـيين ... إن معظـــم الثورات التي قامت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر قد أعـــدت و نظمـــت و نفذت بوحي من هذه الطرق التي كانت أبرزها القادرية و الرحمانية و السنوسية و الدرقاوية و الطيبية [1].

[1]– صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق، ص 77 .

و في تلك المرحلة كان الضباط الفرنسيين المتواجدين في الجزائر أو البلدان المجاورة المحتلة يقومون بإحصائيات و أبحاث للتعرف على المجتمع الجزائري و خدمة لإغراضهم من أجل الاكتشاف ومعرفة طرق التحكم به و من بينهم تلك التي قدمها بوسكي في كتابه الإسلام المغربي سنة 1930 حيث ذكر قائلا : إن عدد الزوايا الصوفية المنتشرة عبر أقطار الشمال الإفريقي و موزعة كالتالي في : الجزائر : 250 زاوية و في المغرب : 500 زاوية أما عن تونس : 60 زاوية.[1]

* و كما ورد أيضا عن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية التي كانت تقوم بإحصاءات كذلك حول تاريخ الجزائر العام هذا الجدول الذي يبين الطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر مع الأرقام التي توضح عدد الزوايا و الأتباع لسنة 1897 م :

[1]– صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق ،ص 133.

الطريقة	الزوايا	وكلاء	طلبة	شيوخ	مقدمون	شواش	إخوان	أخوات	أحباء	خلفاء	فقراء	خدمة	مجموع الأتباع
القادرية	33	1	521	4	301	/	21056	2693	/	/	/	/	24578
الشاذلية	11	-	195	9	99	/	13251	652	/	/	/	/	14206
الرحمانية	177	11	676	23	873	849	14016	13186	/	/	/	/	156214
التيجانية	32	9	-	2	165	162	/	/	19821	/	/	/	20159
الشخية	4	11	-	-	45	/	10020	140	/	/	/	/	10216
الطيبية	8	21	168	-	234	108	19110	2547	/	/	/	/	28148
الدرقاوية	10	-	134	9	72	2	8232	1118	/	/	/	/	9067
العيساوية	10	5	-	1	39	58	3444	33	/	/	/	/	3580
العمارية	26	3	79	3	46	188	284	22	/	36	5774	/	6435
الحنصالية	18	9	176	1	48	102	3485	438	/	/	/	/	4253
السنوسية	1	1	35	1	20	5	874	13	/	/	/	/	949
الزيانية	2	-	-	-	76	4	2673	364	/	/	/	/	31175
الذروقية	1	-	55	1	16	13	2614	35	/	/	/	/	2734
العروسية	2	-	-	-	3	6	77	5	/	/	/	/	91
الناصرية	3	-	-	1	3	4	468	165	/	/	/	/	641
الشابية	2	-	-	-	-	/	/	/	/	/	/	2500	2500
الكرزازية	-	-	-	-	78	/	1673	263	/	/	/	/	2014
اليوسفية	1	-	-	1	8	/	1437	/	/	/	/	/	1446
المدنية	2	11	-	-	14	1	1673	/	/	/	/	/	1699
الدردورية	1	-	-	11	1	/	1020	250	/	/	/	/	1272
المجموع	349	76	1999	57	2149	1512	224141	27173	19821	36	5774	2500	293468

* نقلا عن تاريخ الجزائر العام لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي (ص 136-137 من الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطاتها ،صلاح مؤيد العقبي ، دار البراق بيروت 2002)

* و قد شهد لويس رين هو كذلك سنة 1884 أيضا على أن هذه الطرق الصوفية تعتبر كالجمعيات السرية بحيث أنها تمارس تأثيرا عظيما على الجماهير و في نفس المعطيات الرقمية و لأهميتها فإنه خلال الحرب العالمية الأولى وبحسب تحقيقات دبون Dupont و كوبولاني Coppolani " سجلت الجزائر 29 طريقة صوفية لها 295185 مريد و عليها 57 شيخا و 6000 مقدم و عندها 49 زاوية و تجبي من الأخوان 07 ملايين فرنك فرنسي .." إلى أن قالا :" و للمشايخ و المرابطين نفوذ عظيم و مكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لا سيما عند البربر .....و لعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية من فعالية في ميدان الحياة الوطنية خلال القرن التاسع عشر أكسبها سمعة ذائعة الصيت و أحلها من الأمة محلا مقدسا مما جعل الغالبية تتشبث بها فلبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا ينكرها أحد " [1]

بعد الأبحاث و الدراسات التي قام بها الجنرالات أدرك الإحتلال مدى خطورة هذه المؤسسات بعدما اكتشف أن أغلب الثورات الشعبية كانت تتبناها الطرقية و زواياها و كل الاعتداءات التي كانوا يتلقونها كانت تلك الجمعيات كما سمونها مصدرها لها فأستولوا أولا على أموال الأوقاف و الأحباس التي كانت مصدرهم الإقتصادي و قطع عنها كل موارد الرزق و جميع المساعدات كمحاولات للقضاء عليها و التضييق عليها من أجل تفريقها ، و نجحت الإدارة الفرنسية في هذا الأمر مع بعض الزوايا التي أصبحت موالية لها في بعض المناطق حتى لا تفقد مكانتها و هيبتها و جعلت من نفسها ممثلة لها في تعاملها مع الإستعمار ،لكن كما نعلم أن هذا الأمر لم ينفذ مع جميع الزوايا فهناك من تغلبت على الأمر و رفضت الرضوخ و بدأت تفكر في تغيير أشكال مقاومتها، ففي هذه المرحلة كانت هناك

[1]– مجلة الأثر : د.خير الدين شترة :البعد الثقافي للطرق الصوفية في الجزائر مرجع سابق ، ص 33 .

مؤسسات طرقية أخرى هي كذلك تتطور من حيث التكتل و التنظيم و ضاعفت من مجهوداتها عبر تفكيرها في أشكال جديدة للدفاع ووسعت من نشاطاتها و ووضحت أهدافها الجديدة بعد ما أصدرت في حقها قوانين جديدة كمراقبتها و تقليص حدودها .....إلى غير ذلك، ومن بين التحركات التي قامت بها الزوايا إنشائها لجمعيات و كذلك إصدار جرائد لتتواصل فيما بينها و تتعاون و تواجه من يعاديها بأشكال منظمة و من أبرزها ما سنذكره .

* في هذه المرحلة وجدت **جمعية علماء السنة** برئاسة العلامة الكبير الشيخ مولود الحافظي الأزهري و التي تأسست بتاريخ 1932/09/13 بعد الخلاف الذي و قع بين رجال الزوايا و إخوانهم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طريقة العمل و أسلوب الدعوة لخدمة البلاد و العباد، و في 1932/12/14 أصدرت الجمعية جريدة الإخلاص تحت شعار " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة " كما ظهرت بحلول سنة 1938 جمعية **جامعة مشايخ الطرق و الزوايا** و التي كان القصد منها الحفاظ على الدين الإسلامي من مؤامرات الحاقدين من داخل و خارج الوطن وفي يوم 25 / 09/ 1938 و من مقر الجمعية الأخيرة تم إنشاء **جمعية الرشاد** وهي فرعا من الجامعة المذكورة سابقا برئاسة سيد علي مبارك قدور و في قانونها الأساسي ترسيخ القيم و الأخلاق الإسلامية بواسطة الدروس و المحاضرات، ثم تم إصدار جريدة تحمل إسمها أسبوعية إخبارية و إرشادية بمتابعة الشيخ عبد الحفيظ القاسمي و أخوه عبد القادر تحت شعار " خذ العفو و أمر بالمعروف و أعرض عن الجاهلين ".[1]

[1]– صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق، ص 597 – 600 .

و كذلك في الفاتح من شهر جويلية سنة1951 أنشأت **جامعة الزوايا للشمال الإفريقي** بالجزائر مؤكدة على عدم تدخلها في الشؤون السياسية .[1]

* أما عن أبرز الجرائد التي أنشأها شيوخ الزوايا في هذه الفترة لمساندتهم و الدفاع عنهم و خاصة ذلك الصراع الذي كان بين المحافظين و المصلحين كتيارين أحدهما يدعو للتجديد و الآخر للتحفظ و عدم الإستغناء عن كل ما يربطنا بالهوية الإسلامية، نذكر منها ما وجدناه في كتاب الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر لصلاح مؤيد العقبي :

1- جريدة النجاح : عبد الحفيظ بن الهاشمي سنة 1919 .

2- جريدة لسان الدين : أحمد بن مصطفى العلاوي سنة 1923 .

3- جريدة الحق : علي بن موسى العقبي سنة 1926 .

4- جريدة البلاغ الجزائري : أحمد بن مصطفى العلاوي سنة 1926.

5- جريدة الإخلاص : المولود بن الصديق الحافظي سنة 1932 .

6- جريدة المعيار : هراس مصطفى سنة 1932 .

7- جريدة الفضيلة : موسى خداوي سنة 1935 .

8- جريدة الرشاد : عبد الحفيظ القاسمي و أخوه عبد القادر سنة 1938.

9- جريدة الوفاق : محمد السعيد الزاهري سنة 1938 .

[1]- صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق، ص 617 .

– و في تحليل محتوى هذه الجرائد التي معظمها كانت تابعة لجمعية ما أو طريقة معينة لنشر أهدافها و التعريف بها وكذلك الغرض من إنشائها يقول عنها المؤرخ الجزائري الكبير أحمد توفيق المدني ما يلي : " هي ذات برنامج ديني إسلامي و طني، تدافع عن التصوف و الطرقية، إنما تحمل على البدع و الأضاليل التي يرتكبها شيوخ الطرق و مريدوها و يشوهون بها وجه الإسلام النقي "[1]

– إذن نلاحظ أن الزوايا لم تكتفي فقط بطرقها التقليدية في مواجهة المستعمر حيث كانت تعمل على إيواء المجاهدين و القيام بدور البريد و كانت تدعوا للجهاد ضد الإحتلال فطالما عكف شيوخها على تأجيج النفوس و تقويتها بالإيمان و تحفيزها على الشهادة و الجهاد في سبيل الله كمحفزات لتقوية صفوف المجاهدين و معظم زعماء الحركة الوطنية الثورية تتلمذوا و تكونوا في الزوايا و عادوا بعدها ليجعلوها مراكز إنطلاقاتهم في المواجهات ضد المستعمر و لكنها لم تكتفي بل حاولت أيضا تنمية الوعي الفكري إلى الجانب الروحي عن طريق جمعياتها و جرائدها التي كانت إما أسبوعية أو شهرية فالمهم أنها كانت تحمل بمقالات عن وضعية البلد و دروس دينية متنوعة التي تقصدت بها الفئات التي تأثرت بمشروع الإدماج أو فكرة التخلي عن الدين وكذلك معالجة بعض القضايا و مظاهر الإنحراف و الإنحلال الخلقي الذي ساد في تلك الفترة.

[1]– صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق، ص 660–661 .

ج- بعـد الإستقلال :

لقد رأينا أن الزاويا في الجزائر تعد جزء من تاريخها الهام، إذ من خلالهـا شكلت عدة روابط إجتماعية التي ساهمت في الحفاظ على مقومات الشعب و عـن كرامته و مقدساته إلا أنه في الآونة الأخيرة تراجع دورها بعدما آلت معظمها إلى الركود خاصة بعد الإتهامات التي كانت تتعرض لها في فشل نشاطاتها و إنحرافها عن الأدوار المنوطة بها و كذلك فكرة تعـاون و إنحيـاز الـبعض منهـا إلـى الإستعمار التي بقيت في ذاكرة البعض و لم تنسى و هذا ما إستلزم عند رؤسـاء الطرق التفكير في حل و قد تم إنشاء الإتحاد الوطني للزوايا سـنة 2001 وبـدأ الإتحاد بالعمل حيث تكررت الملتقيات و الندوات الفكرية و العلمية التي بفضـلها عادت الزوايا إلى الساحة و العمل من جديد رغم التهميش الذي تعرضت له إلى أنها لم تتوقف عن السعي إلى أهدافها.

ناشدت الزوايا فكرة السلم و المصالحة بمساندتها لبرامج السلم لأنها تهدف إلى إصلاح ذات البين و فكرة التعاون و تهذيب المجتمع في مجال الحياة الإنسانية و هذا ما بينه الملتقى الدولي لدور الزوايا و الطرق الصوفية المغاربية في بناء صرح التوحيد المنعقد في19-2006/04/20 حيث قال الأستاذ مسعود بلقاسم مسؤول الإعلام لإتحاد الزوايا :" و إذا كانت الزاوية تهدف إلى إصلاح ذات البين فالمصالحة هي عنصر هام من كيان الزوايا وبعيدا عن كل الأمور المصطنعة فإنها تنجح في الصلح و زرع بذور الألفة و التضامن و التكافل الاجتماعي و رغم ما تعرضت له الزوايا من إنتقادات و عدوان إرهابي و عزف الدولة عن مساعدتها في وقت ما، حتى جاء الرئيس بوتفليقة و أعاد المجد و القيمة العلمية الدينية لهذه الزوايا " .

عادت الزوايا للعمل و لكن هذه المرة بشكل موسع و متنوع فإلى جانب دورها الديني و الإجتماعي و الثقافي، أستعين بها في المجالين السياسي و الأمني كذلك فعلى سبيل المثال استعملت هذه المؤسسة أثناء الحملات خاصة الرئاسية منها مثل التي جرت في عام1997 فالاهتمام هنا أولاه المترشحون للطرق و الزوايا بالزيارات التي قاموا بها في خضم حملاتهم لعدد كبير منها و يفسر هذا بـــ :

* نشر التوعية الإجتماعية و السياسية بين الخاصة و العامة على الانتخاب.

* محاولة إستقطاب أصوات مريدي و محبي هذه الطرق و خاصة الكبرى منها.

* الحضو ببركة شيخ الطريقة و زاويته التي تمثل دعما روحيا و سياسيا.

* التأكد من شعبية المترشح و كذلك الإعتقاد بتدينه تدينا شعبيا و محبته لهذه الأماكن.

– و من بين الجمعيات أيضا التي ظهرت في هذه المرحلة كانت الجمعية الوطنية للزوايا على أنقاض جامعة الزوايا الطرقية في جوان 1991 [1] الكائن مقرها ببلدية سيدي موسى ولاية البليدة مؤسسها الدكتور قعيش قدور سليل زاوية بن تكوك السنوسية و حكماؤها الشيخ سيدي عبد الجبار التيجاني شيخ الطريقة التيجانية والشيخ سيدي محمد بلقايد شيخ الطريقة الهبرية و الشيخ سيدي محمد بلكبير حامل طريقة سيدي أحمد بن موسى.[2]

[1]– وقائع الملتقى : أي مستقبل الأنتروبولوجيا في الجزائر؟ خالد محمد :التحولات الإجتماعية و الممارسات الدينية ، crasc ، نوفمبر 1999 ، ص60

[2]– صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص 632 – 633 .

– كما أشار الباحث صلاح مؤيد العقبي إلى الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية التي تأسست في 10 محرم عام 1410 هجري برئاسة الشيخ الطاهر آيت علجت وهي ذات طابع ديني و روحي و علمي و تربوي و في 29 ديسمبر 1991 أصدرت بيان أكدت على مواصلة التعليم الإسلامي و السعي إلى إصلاح المجتمع و تستنكر أعمال الشغب التي تهدف إلى زعزعة الأمن و الإستقرار في البلد.

– وعلى قول خالد محمد في مداخلته المعنونة بـــ: التحـــولات الإجتماعيـــة و الممارسات الدينية خلال ملتقى حول الزوايا متطرقا لتحليل أحداث جوان 1991 بتصريح أحد الشيوخ الزوايا في المؤتمر الأول لهم و الذي إنعقد خصيصا في تلك الفترة لتوضيح أهميتهم فقال:" نزعتم منا الأطفال بحجـــة عـــدم أهليتنـــا للتربيـــة الحديثة، و سلمتموهم للمدارس الرسمية و الكشافة، وعندما شبّوا هاهم يحرقـــون البلاد، وتعجزون عن إيقافهم، فتنادوا لنا للعمل علـــى إطفـــاء الحريـــق، حيـــث حولتمونا إلى ما يشبه رجال المطافئ، يتم إستدعائهم عندما يشب الحريـــق فقـــط، فهل عندما تتمكنون من السيطرة على هذا الوضع المشتعل بمساعدتنا، تقولون لنا شكرا على المهمة و مع السلامة، و تهملوننا كما سبق ؟ [1]

– كما أنه في هذه الفترة أيضا كثرت الهجمات و الإساءة من طرف المصلحين على المحافظين بحكم محاربة البدع و الخرافات التي كثر إنتشارها في الزوايا و إستعمال شيوخها ممارسات ليست لها علاقة لا بالدين و لا بالسنة حتى أنه الشيخ الطيب العقبي كأحد رواد المصلحين في أحد دروسه بنادي الترقي و بحضور بعض مشايخ الزوايا مثل مصطفى القاسمي شيخ زاوية الهامل و أحمد

[1]– وقائع الملتقى : أي مستقبل الأنتروبولوجيا في الجزائر؟ ، مرجع سابق، ص 54–55 .

بن عليوة شيخ الطرقة العلوية بمستغانم، تجرأ على قائلا " لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى – و لا شيوخ الطرق و الطرقيين– حتى تتبع ملتهم " و هو ما أدى إلى إنسحابهم إحتجاجا على هذا السلوك و كرد فعل على هذا الهجوم كتب أحد أتباع الصوفية : " نبهنا مرارا و تكرارا إلى أن الزوايا يجب إصلاحها لا إعدامها "[1] .

كما نلاحظ في هذه الفترة أنه إستمر الصراع بين التيارين الذي بدأ قبل الإستقلال و قد إستغلته السلطات الفرنسية لصالحها و حتى بعد الإستقلال زاد حدة و قد تأثر المجتمع بهذا الصراع كونه كان يعيش حالة فراغ الروحي خاصة أن الدولة مستقلة حديثا ومازالت في تهيئة مؤسساتها للقيادة حيث أن المرجعية الدينية في الجزائر لها صبغة خاصة ملتصقة بالحياة الإجتماعية .

– كنا سابقا قد أشرنا إلى أنه كل الثورات الشعبية إنطلقت من الزوايا و تحت راية مشايخ الطرق ثم بعد ذلك تبنت الزوايا أيضا الحركة و الوطنية و زعماؤها و كانت مراكزهم للإيواء و التخطيط و المواجهة و الآن إننا نلاحظ أن معظم الرؤساء الذين تولوا رئاسة البلد تتلمذوا في الزوايا و كذلك من الوزراء من ينتمون إلى طرق صوفية و من أجل إحياء مجدها و تشكرها على فضلها يلجئون إليها في العديد من المناسبات، و على سبيل المثال نذكر"الرئيس السابق أحمد بن بلة الذي ترعرع في وسط ديني محافظ فكان والده مقدم الطريقة المكحلية بمدينة مغنية " [2].

---

[1]– وقائع الملتقى : أي مستقبل الأنتروبولوجيا في الجزائر؟ ، مرجع سابق ص 57–58 .

[2]– مجلة المواقف، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي ، معسكر د.محمد مجاود : دور الزوايا في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية،عدد خاص أفريل 2008 ص 325

عن Ahmed BENBBELLA.1990:14-15).

1- أنواع الزوايا بالجزائر :

لقد أصبحت تلك الزوايا بعد تأسيسها تسيّر من طرف شيوخ الصوفية و قد حظي هؤلاء في أوساط الجماهير الشعبية بالإحترام و التقدير حتى أنهم كانوا يحبونهم كحب آبائهم و أبنائهم نظرا لما كانوا يقومون به من نشر العلم و محاربة الجهل و الإصلاح بين الناس و إطعام الفقراء و المساكين و عابري السبيل و نشر آداب الإسلام و أخلاقه من رحمة و أخوة و تسامح و تعاون و تضامن و إذا جد الجد و تعرض الوطن للخطر كانوا في مقدمة المدافعين عنه من مجاهدين في سبيله.

وتقسم الزوايا بالجزائر إلى ثلاث أنواع وهي تختلف فقط في الشكل و من حيث النظام و التسيير و كذلك حسب الطقوس و المراسيم التي تقام فيها و لكنها تتحد من حيث المضمون و الهدف كما أنه ليس للزوايا من مورد لتسييرها سوى تلك الأوقاف و الأحباس كالأراضي الفلاحية في القرى و غابات الزيتون بالقبائل و غابات النخيل بالجنوب و عقارات أخرى بالإضافة إلى الهبات و التبرعات التي يقدمها المحسنون من أبناء الشعب و الأحباب و الزوار الذين يترددون عليها لقضاء حوائجهم و كذلك إهتمامات السلطات المحلية و الولائية و حتى أنها تحظى بإهتمام الخاص من طرف الرئيس .

أ- زوايا المشايخ :

يعتبر هذا النوع من زوايا ملكية خاصة و نظامها مماثل للنظام الملكي الوراثي و المسؤول عن المؤسسة يكون عادة شيخ الطريقة المتبعة فهو الذي يعلم الأوراد و له أتباع و مريدين يسمون أيضا بالإخوان و الزاوية هي التي تتكفل بهؤلاء المريدين من مساعدات المحسنين والذين يمولونها و كذلك الصدقات و

التبرعات التي يقدمها الزوار والشيخ هو المسؤول على هذه الأموال حيث يوفر الطلبة كل حاجياتهم اللازمة للدراسة و الإيواء و الإطعام، كما يدفع منها أيضا أجرة المعلم، و إذا توفي الشيخ " أستخلف بأحد أفراد عائلته أخاه أو إبنه ..... إما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة و ترشحه لمشيخة الطريقة و يخلف الشيخ الراحل و ذلك حسب تقاليد الأسرة"[1]، و يتواجد هذا النوع في المناطق الصحراوية ومن أمثلتها نجد زاوية الشيخ سيدي محمد بالكبير بأدرار (حسب ما وصفت لي الزاوية من طرف أصدقاء ينتمون إليها) .

ب- **زوايا المرابطين :**

هي سابقة في ظهورها عن النوع الأول بحيث إنها تنتمي إلى المؤسس الأول حيث يشكل أحفاذه و أتباعه عشيرة أو قبيلة فملكيتها جماعية و تسيّر جماعيا من طرف مجلس المرابطين المتكون من أعضاء تنتمي لمختلف عائلات المرابطين التابعين لتلك الزاوية و بالأخص الطريقة و يعين هذا المجلس وكيلا حيث يعتبر المسؤول المباشر على شؤون الزاوية داخليا و خارجيا و هو الأمين المالي و المكلف بالشؤون الاقتصادية و الإدارية أما شيخ الزاوية فيقوم بمهمة التعليم فقط، "كما أنه يمكن أن يقارن نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول به حاليا في الجزائر و لاسيما بعد الإستقلال"[2] ،و تشترط هذه الزوايا لمن يريد الإلتحاق بها للتعلم مبلغ مالي رمزي، ونجد من أمثلة هذا النوع من الزوايا في منطقة القبائل .

---

[1]- محمد نسيب : زوايا العلم و القرآن بالجزائر ،دار الفكر الجزائري ، الجزائر ،1988 ،ص104.

[2]- نفس المرجع ص106 .

ج – زوايا الطلبة :

هذا نموذج هو مستحدث وقليل التواجد و هو مختلف عن النوعين السابقين و لا وجود للشيخ أو المرابط فيها فلطلبة المنتميين إليها كامل المسؤولية في تدبير و تسيير شؤون الزاوية داخليا و خارجيا وفق القانون الموضوع لها فهذا النموذج حاليا هو بصدد الإنتشار كما أنه نوع مشابه للمدارس القرآنية من حيث الوظائف.

*** ملاحظـــــة :**

هناك تصنيف آخر لأنواع الزوايا و لكن هذه المرة حسب الوظائف و الأنشطة التي تقدمها، كما صرح لي مدير مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية عين تموشنت) أثناء إجراء مقابلة معه " إننا نمنحها الترتيب و التصنيف حسب الأنشطة و المناسبات التي تتحمل مسئولية إحيائها بأمر منا، فهي إما زوايا ثقافية إجتماعية أو دينية تربوية و هذا الموجود عندنا بالولاية " و كذلك في مقابلة لي مع مسؤول من مديرية الشؤون الدينية لولاية سيدي بلعباس صرح بقوله هي مؤسسات ليست تابعة لمديرية الشؤون الدينية إنما نحن فقط نتعامل معها في المناسبات و لهذا توجد لنا بعض الإحصائيات عليها .

4- وظائـــــــف الزوايـــــا :

إستطاعت الزوايا القيام بأدوار أساسية للمجتمع في مختلف الميادين منذ تكونها سواء في المدن أو القرى و الجبال و قد ساعدتها في ذلك الظروف الإجتماعية و السياسية و مكانتها التي إكتسبتها بفضل أعمالها و تحت لواء الشعار الذي إتخذته من أجل إستمراريتها كمحافظتها على مقومات الشخصية الجزائرية و المتمثلة في اللغة العربية و الدين و الثقافة الإسلامية و التاريخ العربي عامة بالجزائر و لكن لا يمكننا أن ننسى أن هذه الوظائف تغيرت و تطورت و أحيانا إندثرت في مواجهتها للإستعمار و حاليا هي متأثرة بعملية التنمية و التطور وما ينتج عنهما من حداثة و تحضر.

* ثم إن الزوايا و وظائفها على حد تعبير إيفون تيران والذين إستشهدت بتقاريرهم العسكرية هي قبل كل شيء "مدفن عائلة مرابطين أي عائلة تملك الأصالة الدينية الوراثية "و قد إنعكس الأصل الروحي لهذه المؤسسة على جميع نشاطاتها فيما بعد فقد كان الناس يأتون إليها لأداء الصلاة ثم بعد ذلك من أجل التعلم والعلاج، و كانت تعليماتها السياسية تحظى بثقة كبيرة، خصوصا أنها تقوم على أسس خرافية وغير عقلانية،....،وقد إستفاد هذا المركز الثقافي منذ إنشائه من هبات و عطايا تؤمن رعاية هذا المزار، كان يقدمها أحفاد الولي الصالح والتلاميذ الذين يأتون إليه أو إلى المعلمين الذين كانوا يستخدمونهم،....،و قد أضحى نظام الإتاوات هذا منذ ذلك الحين مشكلة بالنسبة للضباط الفرنسيين،إذ أنه يتيح ربط علاقات خطيرة من الصعب التحكم فيها،على حد قولهم،....،و يعتبر تلاميذ هذه الزوايا طلبة المستقبل، وقد تحصل بعضهم فعلا على هذا المنصب و يواصلون دروسهم إلى غاية

ترسيخها في أذهانهم أو لأنهم يجدون فيها وسيلة عيش و هو أمر صعب جدا تبرره دائما تقوية المعرفة القرآنية،...."[1].

و في ما يلي سنتطرق إلى بعض الوظائف المهمة التي قامت بها الزوايا لفائدة المجتمع الجزائري منذ ظهورها من دينية إجتماعية و علاجية .....

أ- **الوظيفة الدينية :** هي الوظيفة الأساسية في ظهور هذه المؤسسة و قد أنشأت بغرض خدمتها منطلقة فيها بتعميق الشعور الديني من خلال نشر الإسلام و تفسير مفاهيمه و تعليم مبادئه و تحفيظ القرآن للصغار و الكبار و بعض العلوم الدينية كالفكر المالكي وبث مبادئ التصوف العلمي و ما يتعلق بالنشاط الروحي من زهد و خلوة و تلاوة الأوراد و الأذكار في فترة ما قبل الإستعمار، ومن واجباتها التي قامت بها أنها حاربت حملات التنصير و عارضت الاندماج و التفرنس خلال الإستعمار كما أنها قامت بمواجهة كل من يحاول المساس بعقيدة المجتمع، فسواء تعلق الأمر بالزوايا أو رجال دينها فهم كانوا الحراس الروحيين لما يتعلق بأمور الدين في المجتمع الجزائري، كتنظيم السفر إلى الحج في القديم .

ب- **الوظيفة التربوية و التعليمية:** عملت هذه المؤسسات على تعليم الكبار و الصغار اللغة العربية إلى جانب العلوم الدينية من نحو و تفسير و فقه و أحاديث و غيرها وفق برامج و مناهج و بوسائل بسيطة للتدريس و التكوين قديما و الآن هناك من الزوايا من يحافظ على تلك الطريقة و هناك من إستعان بالوسائل الحديثة و هيأ أقسام خاصة للتعليم بطريقة مريحة و وضع مكاتبات بها و قاعات للانترنت وكذلك تميزت بخاصيتها في التكفل بالطلبة (الإيواء و الإطعام) حتى

[1]- إيفون تيران:المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة1830-1880،دار القصبة ،الجزائر،2007 ، ص133.

أنها كانت قبلة وملجأ لطلبة من خارج الوطن و خلال الإستعمار كانت تدعى بالمدارس الإبتدائية ثم تحول إسمها إلى معاهد عليا مواجهة تعليمه ببرامجها الخاصة، فكان لها الفضل في التقليص من نسبة الأمية في الأرياف و الصحاري و المحافظة على اللغة العربية من الضياع إبان الحكم العثماني و الاحتلال الفرنسي و إلى غاية الآن هي مستمرة في نشاطها، حيث قال عنها لامور سيير أنها الروح التي تحرك الدراسات و التكوين اللذين كانتا الزوايا تقدمهما " التعليم العام العمومي و المحاكم على حد تعبيره هي مجرد تعبير عن المسجد، الذي يتحكم بشكل كبير في الحركة السياسية و الفكرية، فقد كان التعليم موجها لحماية الدين، إن تعلم الكتابة بالنسبة لجميع المسلمين، معناه إعادة كتابة حروف الكتاب المقدس و إن القرآن هو قاعدة حتى للتعليم الإبتدائي كما أنه صار فيما بعد النص المقرر في الدروس بالنسبة للتعليم الثانوي و هدف الدراسات العليا " [1]

ج- الوظيفة الاجتماعية: نظرا لمجال نشاط الزوايا الذي لا يتعدى المجال المحلي في بداية الأمر إستطاعت أن تضفي على العلاقات الاجتماعية روابط روحية جعلتها تكتسي مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي و تلعب دور المحكمة في الفصل في جميع الخلافات و فض النزاعات الفردية و الجماعية و إثراء أسس الوحدة و التضامن بين أفراد المجتمع لمساعدة الفقراء و اليتامى و العجزة و الشيوخ و عابري السبيل و دار الفتوى لمن أراد الاستفسار عن أمور دينية و دنيوية و معالجة المرضى و اللاجئين الفارين من السلطة كما ساهمت بتوفير التعليم و الإيواء و الإطعام مجانا لمن يريد التعلم بها و كل من تعلم بها أصبح مواليا و تابعا لها من بعد و حتى أفراد أسرته .

[1]- إيفون تيران ، مرجع سابق ، ص 127 .

كما أنها تساهم في تأطير الإندماج الإجتماعي للمهمشين في المجتمع، ثم وسعت دائرة إهتمامها من المجال المحلي إلى فضاءات أبعد كمشاركتها في التنمية على المستوى الولائي و حتى الوطني .

د- **الوظيفة الثقافية** : لقد لعبت الزوايا دورا كبيرا سواء كان خلال الإستعمار أو بعده بإنشاء مجتمع ذو قيم متشبع بعاداته و تقاليده فإلى جانب محافظتها على التراث الديني حافظت على التراث الثقافي العلمي من مخطوطات و كتب دينية و علمية لعلماء عصرها و سابقيها والتراث الثقافي من ممارسات متنوعة لأفراد المجتمع الجزائري المتعلقة بهويته و أصالته و حاولت التصدي لثقافة الأجانب بتوعية الشعب من خطورتها ومدى تأثيرها على مختلف فئاته فهي إعتمدت على نشر الثقافة العامة شفهيا عند غير القارئين عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة، فهي الآن باتت مدخلا حيويا للذاكرة حيث يسكن المخزون الثقافي و المسار التاريخي بكل ألوانه و أحداثه و الطبقات التي تشكلت منها داخل المجتمع المتواجدة به .

و قد ظهر دور الزوايا تاريخيا التي كانت تعتبر في آن معا سواء مصليات أو مساجد، و مدارس و ملاجئ و أماكن لعقد الإجتماعات و مكتبات و مستشفيات و ديوان دعاية حيث تتداول الأخبار و كما قال عنها دو نوفو إنها الأماكن " حيث يكتب تاريخ الأزمنة الحاضرة " ..... فهذه الوحدة صعبة الفهم كونها المقامة الخفية لجميع الأشراف الذين يطوفون البلد، ويحركون السكان ألم يكونوا موحدين فيما بينهم بالإنتماء المشترك لمولاي الطيب؟ وحدة خاصة بكل طريقة، و وحدة

ربما حتى بين الطرق جميعها ؟ وهاهي عبارة عن شبكة تقسم الجزائر مثلما تقسم فرنسا الأسقفيات ، وهنا يكمن التاريخ الداخلي الحقيقي للجزائر "[1]

هـ – الوظيفة الاقتصادية و السياسية :إلى جانب الوظائف السابقة إهتمت هذه المؤسسة أيضا بالمجالين السياسي و الإقتصادي فالاحتفالات التي كانت تقوم بها الزوايا خلال المناسبات أو على شرف الضيوف و غيرها من التجمعات الدينية لم تكن مجرد ترديد للأذكار و الأوراد و إنما معظمها تظاهرات إما إقتصادية لتواجد الأسواق الخاصة بهذه المناسبات التي كانت عبارة عن أسواق متنقلة من كل مكان ففكرة تبادل السلع و المواد اللازمة كانت بمثابة حركة تجارية تنشط الحدث و تجعله يتواصل مع العالم الخارجي عن تلك الزاوية بالإضافة إلى ما كانت تهدف إليه من مخططات سياسية و كذلك توصيات من طرف أشخاص مهمة لتلك الأماكن و أتباعها ،كما أنها ساهمت في ضمان الولاء السياسي للسلطة الحاكمة و التوسط بين الحكام و الرعية عبر تاريخها.

ي– الوظيفة الأمنية و القضائية : لم تعتبر الزوايا رباطات للجهاد و أماكن للصلاة أو العبادة فقط بل كانت تمثل فضاء و مكان لإنعاش و إيقاظ ديني و ثقافي تساهم في بناء الإنسان الجزائري و تكوين شخصيته في ظل القيم و المبادئ الإسلامية من رصيدها الديني المؤثر باعتبارها مؤسسة يلجأ إليها الناس لحل مشاكلهم و نزاعاتهم كما أنه كانت مرجعا للقضاء تبرم فيه عقود الزواج و الطلاق و تسهر على المحافظة على أحوال الناس ، فكانت عبر تاريخها الطويل قواعد روحية أمنية استطاعت بما لها من قوة و نفوذ أن تلعب دورا هاما في أحرج فترات التاريخ حفاظا على أهم مقومات شخصيتنا الوطنية: اللغة العربية

[1]- إيفون تيران ، مرجع سابق ، ص 122

و الإسلام، وكونها مثلت محاكم إسلامية يلجأ إليها المتخاصمون فتحل قضاياهم على هدي الكتاب و السنة وفي هذا الصدد أشارت إيفون تيران إليها بقولها :

" كانت الزوايا تكوّن بانتظام طلبة قد تتنوع وظائفهم فيما بعد حسب أصولهم الإجتماعية ، لكن أيضا حسب علمهم فأفضلهم منشأ أو أكثرهم علما كانوا يصبحون قضاة شرع أو خوجات أو رجال مجالس، وكان الآخرون يكتفون بالمصير الحقير لـ : الطلبة ....." [1]

و – **الوظيفة العلاجية :** كانت الزوايا تمارس ما يسمى بالطب الشعبي قديما حيث ذكرت إيفون تيران في كتابها نص لـ دولاك يخبر فيه أحد المسئولين عن الطب المغربي فيقول " .....و مع ذلك يوجد في المغرب أطباء و يدعون بما يعرفون به في الجزائر (الطبيب)، إن هؤلاء ليسوا كذلك إلا لكونهم مرابطين أو لكونهم تلقوا عن أسلافهم بعض المبادئ الأولية للطب أو بعض الكتب حيث يجري الحديث عن الطب (...)، إن جميع المرابطين في المغرب تقريبا يمارسون الطب، فأما أصحاب الشأن الكبير من الصلاح و التبجيل فيستقبلون زبائنهم في مكان العبادة و أما الآخرون من ينحدرون من أصول أقل شهرة فهم الذين يذهبون إلى الزبون، و بوصفهم مرابطين (أو صلاح) فإن مصدر المعارف سواء كانت طبية أم ما شابهها يكمن في صفة الصلاح التي يصطبغون بها" [2]، فالصلاح تمثل في الأخلاق و الآداب الإسلامية التي كانوا يتحلون بها ومن خلالها إستطاعوا أن يفتحوا قلوب الناس و ينفذوا إليها و يوجهونهم إلى ما يريدون.

[1]- إيفون تيران ، مرجع سابق ،ص 247

[2]– نفس المرجع ،ص14.

فرغم المستشفيات التي بنيت و المراكز العلاجية التي خصصت للجزائـــريين إلا أنهم فضلوا الطب الشعبي، ففي عام 1845 كانـــت الجزائـــر برمتهـــا تعـــد 38 مستشفى[1].

* و في نفس السياق يفسر لاكورتس بوضوح فكرته المتعلقة بهذه الوظيفة قائلا : " إن فن الشفاء مجهول تقريبا في أوساط هؤلاء السكان، إن الأدوية الخرافية التي تظل سرا في أيدي المرابطين و المشعوذين الذين تعلموها عـــن طريـــق التقاليـــد العائلية، تشكل العلم الطبي الوحيد لديهم، و تشكل طريقة إستخدامهم لهذا العلاج ، و حتى لو كان ذلك على حساب المرضى، أحد أسباب التأثير الذي يتمتعون بـــه على هذه الشعوب الجاهلة و المتعصبة "[2]

– هذه هي باختصار مهام و وظائف الزاوية و حقيقة تلك المؤسسة التي حافظت على طريقتها التقليدية في التعليم و تحفيظ القرآن إلى يومنا هذا باستعمال اللوحة الخشبية للكتابة و القلم (قطعة من القصب) و الحبر(الصمغ أو السمق المصنوع من الصوف المحروقة مع القليل من الماء) و باستعمال الصلصال (نوع من الطين) لمحو اللوحة بغرض تبييضها، فقد إستمرت هذه الوظائف إلى غاية الإستقلال لتعرف بعدها الزوايا تقلصا في أدوارها التي كانت تؤديها خاصة بعد ظهور مؤسسات أخرى تنافسها في بعض المجالات كالمحاكم و دور العجزة و مراكز اليتامى و هذا ما سنتطرق له في الفصلين القادمين .

[1]– إيفون تيران ، مرجع سابق ،ص 17 .

[2]– نفس المرجع ،ص 91 : عن A.N.,F80.1843.

المبحث الثالث : الوصف الإثنوغرافي لزاوية سيدي الجازولي

تعتبر الزوايا و الرباطات و القباب و نحوها من المعالم كمظاهر لخدمة الدين و أهله حيث إنتشرت تلك المنشئات في المدن و الأرياف في الجبال و الصحاري و قد عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم و يلقنون أتباعهم الأذكار و الأوراد مبتعدين عن صخب حياة الدنيا مفضلين العزلة و العبادة و كثيرا ما كانوا يعلّمون المريدين و العامة مبادئ الدّين أيضا فإذا إشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار و الغرباء و الأتباع و يعلم فيه الطلبة و يتبرع الناس لهذا المركز فيكبر و يثرى و يتضاعف قصاده و مريدوه و يصبح إسم المتصوف (المرابط) علما على المكان و يصبح المكان يدعى بين الناس زاوية "سيدي فلان أو رباط سيدي فلان " و إذا مات ذلك السيد يدفن في الزاوية أو الرباط و يصبح بذلك الضريح علامة على الزاوية و يرث الأبناء و الأحفاد مكانة وعمل ذلك الشيخ و تزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية و تنتشر سمعتها و نفوذها إلي نواح بعيدة"[1].

في دراسة الأصول التاريخية للطرق الدينية كظاهرة لابد لنا أن نذكر بأن التصوف الإسلامي يعد من الممارسات السلوكية و الفكرية الأولى لها و ذلك قبل أن تدخل إلى المرحلة المؤسساتية التي سينظم من خلالها التصوف نفسه في شكل طرق دينية لها قوانينها و شيوخها و طقوسها "عبر مسار طويل حصل خلال الإنتقال من التصوف الفلسفي إلى التصوف التاريخي أي إلى التصوف الذي أصبح يرتكز على نسيج إجتماعي واسع دخل به على ميدان العلاقات السياسية و الحضارية بالمعنى الواسع "[2].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 16إلى 20 ميلادي،ج1 ،الجزائر،1981، ص262.

[2]– لطيفة الأخضر ،الإسلام الطرقي ،دار سراس ،تونس، 1993، ص10 .

و في هذا المبحث سنحاول وصف زاوية سيدي الجازولي التي أخذناها كنموذج لمقاربتنا من الناحية التاريخية بالتعرض إلى مرحلة تأسيسها ، الطريقة التي تنتهجها و كذلك مكان موقعها و أبرز نشاطاتها في الفضاء الذي تتربع عليه.

1- تاريخ تأسيس زاوية سيدي الجازولي :

تأسست الزاوية في أوائل القرن 11 هجري أي القرن 15 ميلادي حوالي " 1770 ميلادية " [1] من طرف الشيخ محمد بن علي، آت من الريف المغربي فالمؤسس هو سيدي محمد بن علي بن عبد الله بن موسى بن أحمد المكنى بالجازولي الشريف الحسني الذي تمركز مع عائلته وسط قبائل (عشائر) الغرابة (ولهاصة) قرب جبال طرارة بعد رحلة التنقل التي قاموا بها.

و قد توالت المشيخة على الزاوية بعد مؤسسها على نفس النشاط المتداول و بنفس الروح إلى أن وصلت إلى أحفاذه سيدي الحاج العابدين الذي وافته المنية عام 1939 ثم خلفه إبنه الشهيد " العابدين الجازولي"[2] إبان حرب التحرير ثم بعد ذلك خلفه أخوه الأكبر وهو شيخها الحالي الذي يدعى الشيخ عبد الكريم العابدين الجازولي من مواليد 1933 و هو أحد الأسلاف العيساويين المنحدرين من تلك الرحلة التي ذكرناها سابقا فتولى المشيخة و باعتبار أن الزاوية كانت مركز للمجاهدين أثناء الثورة و الشيخ كان آنذاك مجاهدا بالمنطقة طلب منه تولي شؤون الزاوية و في سنة 1957 تمت مبايعته من طرف أشراف (أعيان) ولهاصة التابعين للزاوية بمكان يسمى الديوان أو الحويطة ببلدية سوق الاثنين " حاليا هي مقر دائرة ولهاصة الغرابة ".

---

[1] – Sossie Andezian, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, CNRS, paris, 2000, p 99.

[2] – مجلة تافنة،كانت تصدر عن ولاية عين تموشنت،2002/2001،ص 34.

و تنفرد هذه الزاوية وعائلتها بحكمة فريدة من نوعها وهي التداوي من سم الأفعى" الذي يدعى بالسقي " الموروثة أبا عن جد، فعندما يلدغ شخص ما من طرف حية " أفعى أو عقرب " فيذهب به إلى الزاوية فيشرب جرعة ماء على يد أحد أفراد عائلة الزاوية و طبعا هذا الماء يوضع فيه القليل من التراب (من الركب) و يقرئون عليه بعض الآيات القرآنية ثم ينفث فيه شيء من ريقهم ويشرب الشخص الملدوغ و يشفى بعدها .

2- موقعها و منشئاتها العمرانية :

إن الزاوية منعزلة عن باقي القرى المجاورة بعد تمركزها الذي دام قرنين و هي تعتبر ذاكرة عيساوة في الناحية[1]، فهي موجودة غرب دائرة ولهاصة تابعة لبلدية سيدي ورياش[2] وكما نعلم أن ولهاصة منطقة تتميز بكثرة المداشر (الدواوير) فيها و التي تتشكل حسب الألقاب العائلية وحسب الأراضي الفلاحية الممتلكة و غالبا ما يحمل الدوار إسم العائلة المتمركزة بكثرة فيه.

لكل الزوايا قباب خاصة تكون إما لمؤسسها ومن بعده لخلفه أو من يرثه في المشيخة و فيما يخص زاوية الجازولي فهي تحتوي على قبتين الأولى قديمة موجود بها ضريح المؤسس سيدي محمد بن علي و إبنه البكر الذي خلفه سيدي محمد و القبة الثانية تحتوي على أضرحة لكل من : سيدي الحاج محمد الجازولي ذرية سيدي محمد بلحاج الميلود أخ سيدي محمد و خليفته و تتوسط هذه القباب ساحة الزاوية و ما لاحظناه أن أبوابها تتجه مباشرة إلى القبلة و هي ذات فن معماري مميز.

[1] -Sossie Andezian , op. cit , p101

[2]- أنظر الخريطة في الملاحق .

في سنوات السبعينيات و إضافة إلى القباب أنشأ مسجد أين بـــدأ إمـــام القرية ينظم أوقات الصلاة و حوله كانت توجد منازل للإخوة الثلاث كانت مبنيـــة على نمط واحد تحتوي على مجموعة من الغرف محيطة بفنـــاء كمركـــز لهـــا و الغرف كانت حسب عدد الأفراد، و منزل رابع كان مأوى للضيوف و الـــزوار و الطلبة و غيرهم، و أما عن الزاوية فهي تعتبر مكان يستقبل فيه الأتباع و تلقى فيه الأذكار و تلقن الأوراد و تعطى كلمة السر و يخرج الأتباع مؤمنـــون بمبـــادئهم و طقوسهم و مراميهم ..

لم تبقى طبعا الزاوية علي شكلها القديم فمع مرور الزمن و إستمرارية أنشطتها كان يتوجب عليا التحول و إحداث مرافق أخرى مواتية للوقـــت الـــراهن مواكبة التنمية و التحضر و في نفس الوقت تحافظ علـــى القـــديم فقـــد توســـعت مساحتها و إزداد عدد المنازل بها للعائلة و كذلك من كـــان معهـــم مـــن ســـكان (أصحاب الأراضي الفلاحية المجاورة ...)، فقد أعيد بناء المسجد و تم الأخذ لـــه مساحة كبيرة و هو الآن يتوسط ساحة الزاوية و تقابله قاعـــة كبيـــرة مخصصـــة للزوار فيها يستقبل الشيخ كل من يأتي عنده ففي القديم كان يستقبل الـــزوار فـــي منزله إضافة إلى و جود حمام بالزاوية و يسمى حمام البركة و هذه هي الخاصية التي ميزت الزوايا حيث أنهم أينما وجدوا أو حطوا الرحال نجدهم كونوا تجمعات سكانية من مداشر تحولت إلى قرى و بعدها بالإمكان أن تتحول إلى مـــدن مـــع مرور الزمن .

3- نشاطاتـــــــــــــها :

إن الشهادات الوحيدة التي تبين آثار الزاوية و أنشطتها بالمنطقة قديما هي فقط شهادات شفوية عاد بعض المخطوطات بشتى أنواعها في الطب و التوحيـد و في الحديث و الفقه وفي تفسير القرآن رغم مـا أحرقتـه فرنسـا أثنـاء الثـورة التحريرية و هي الآن محفوظة من طرف إمام المسجد الذي يدعى" الحاج قويدر بن تراري " بصفته المسؤول عن أرشيف الزاوية ومن بين الكتب الموجودة فـي شكل مخطوطات لسيدي محمد الجازولي و غيره من الشيوخ لإهتمـامهم بعلـوم عصرهم مثل كتاب المختصر الأزهر في فضل العلم و العمل و ما ينفع منهمـا، منظومة للشيخ الضمياطي ناسخها محمد بن الميلود بن علي المكنى بـالجزولي ، كتاب لسيدي محمد الجازولي في الأحكام، كتاب في أحكام القرآن لسيدي محمد بن علي، كتاب خاص بشجرة الأشراف، كتاب ممتع الأسماع لمناقب الشيخ الجازولي، و العديد من الرسائل الشيوخ الذين تولوا المشيخة كونها كانت وسيلة مهمـة فـي ذلك الوقت والتي تحمل الرد في نفس الوقت (أنظـر بعـض مـن النسـخ فـي الملحقات)، و هذه المخطوطات تشهد لأولئك المشايخ الذين عمروا في هذه الزاوية بالعلم و المعرفة، و من أعظم الرجال الذين درسوا و تكونوا أو حضروا في هـذه الزاوية نذكر الأمير عبد القادر و وزيره الخليفة البوحميدي الولهاصي[1] .

والرئيس هواري بومدين و كتيبته العسكرية ،أحمد بـن بلـة و جماعتـه السياسية و العسكرية كذلك الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بحكم أنها كانت ملجأ أثناء حرب التحرير كما أنها تعرضت للقصف سنة 1959 [2].

[1]- مجلة تافنة،مرجع سابق،ص 34.

[2]- أقوال أحد أبنائه.

تأسست الزاوية من أجل تدريس القرآن الكريم و كذلك التفسير و تعليم أحكام القرآن و الفقه و السيرة النبوية و غيرها من علوم القرآن و تهتم أيضا بالجانب الثقافي و الترفيهي بحيث أنها تنظم سنويا حفل شعبي على شكل مهرجان يسمى إما بالوعدة أو الزردة و هناك ألقاب أخرى فهي عبارة عن تظاهرة سنوية تتمثل في تجمع تحتضنه الزاوية و فرصة يجمع فيها الشيخ جميع الأتباع و محبي الطريقة سواء الشاذلية الجازولية أو العيساوية، والدعوة فيها عامة لكل من يريد حضور الحدث و تدوم على الأغلب يومي الخميس الجمعة، يطعم أهل الزاوية و يرشد الشيخ الأتباع و الحاضرين و الغاية منها جلب المزيد من الراغبين في الانتماء لهذه الزاوية أو الطريقة التي تنتهجها .

و التظاهرة تعرف أيضا بالزيارة السنوية للشيخ، و يظهر من خلال طقوس و تقاليد هذه التظاهرة أنها مرتبطة إرتباطا وثيقا بالحياة الزراعية و بالأخص بدورة زراعة الحبوب أي أنها تقام دائما في نهاية فصل الصيف و قرب الإعتدال الخريفي أي بعد الحصاد و قبل الحرث فيبدأ الاحتفال بقراءة القرآن قراءة جماعية حسب الترتيل المشهور بالمغرب الأقصى و قراءة حزب الدايم و عرض محاضرات مختلفة من طرف أحد مشايخ الطريقة ثم تنوع في الحضرة المدائح الدينية حسب الفرق الحاضرة من الولايات التي بها أتباعهم و كذالك من خارج الوطن خاصة من بلدان : المغرب ، ليبيا و سوريا.

كذلك تقوم زاوية سيدي الجازولي بإحياء المناسبات الوطنية و الدينية وبالأخص المولد النبوي الشريف إما بالزاوية أو بالإشتراك مع مؤسسات أخرى ، ففي سنة 2010 أقيمت بالمناسبة و بالإشتراك مع مديرية الثقافة للولاية ملتقى خاص يحمل عنوان الأمجاد الصوفية " دور الفكر الصوفي الوطني في نشر الثقافة العربية الإسلامية" تحت شعار" تراث ثقافي و هوية " دام يومين و قد تنوعت المحاضرات حسب المجال و التي ألقيت من طرف أساتذة جامعيين لكل

من جامعة سيدي بلعباس وهران ، تلمسان و مستغانم كما تنوع الحضور من مختلف الأعمار والفئات المهتمة بحقل التصوف و كان حدث الاختتام بالزاوية لإحياء العادات و التقاليد المناسبة حيث تم توفير النقل لجميع المشاركين و الحاضرين بغية تعريفهم بالزاوية و المنطقة[1].

أما عن المولد النبوي لسنة 2011 فقد أقيم بمدينة تلمسان كونها عاصمة الثقافة الإسلامية و قد حضر للمناسبة برنامج خاص و قد إشتركت فيه كل الزوايا المتواجدة بالمنطقة لإحياء الذكرى و كذلك إستغلال الفرصة للتعريف بالزوايا و نشاطاتها و عادات و تقاليد الوطن خاصة و أن الحاضرين و المشاركين في المناسبة من داخل الوطن وخارجه .

[1]- أنظر برنامج الملتقى حول الأمجاد الصوفية : دور الفكر الصوفي الوطني في نشر الثقافة العربية الإسلامية المنعقد من 24-25 /2011/02 . نسخة في الملاحق .

***برنامج الزاوية اليومي والمناسباتي** :حسب الزيارات التي كنت أقوم بها للزاوية لاحظت أنه يتم التجمع بين الشيخ والمريدين كل يوم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء و تؤدي هاتان الصلاتان بالزاوية وهي بالتالي تؤدي وظيفة المسجد.

– حصة الدرس و هي عبارة عن قراءة قسط من أحد الكتب المعتمدة في الزاوية.

– قراءة الأوراد المخصصة بالطريقة كحزب الدايم .

– أما عن برنامج الجمعة فهو خاص لكون اليوم هو عطلة الأسبوع و مميز للزوار فيتنوع التحضير له.

*** طاقم الزاوية الحالي مؤلف من :**

الشيخ : سيدي عبد الكريم الجازولي

إمام المسجد : الحاج قويدر بن تراري

مريد الزاوية : الابن الأكبر

طاقم الخدام أو المقدمين: إن طاقم الخدمات يتكون من مجموعة من الشبان المريدين الناشئين منذ صغرهم بالزاوية ، من محضر الشاي و هو مختص في هذا الأمر و الكل يجب تذوق شايه ، و توزع الحلويات التي تصنع من طرف أهل الزاوية من نساء أو يحضرها عائلات الفقراء و الزوار وتتمثل في الحلويات التقليدية مع التمر.

– يوزع الطعام جماعة من المقدمين المتمثل في الكسكسى بالمرق و اللحم و هو طبق تقليدي أيضا خاص بالولائم و الحفلات الكبرى و يتم تجهيزه من طرف عائلة الشيخ، أو الحاضرين الذين يساعدون في تحضيره من أجل نيل البركة و الدعاء بالخير، و هناك نكتة متداولة بين أهل الزوايا و حافظي القرآن تقول " و الله ما شفنا النور حتى شفنا الكساكس تفور ".

– فالقصد من تناول هذه الأطعمة هو نيل البركة لأنهم يعتقدون فيها شفاء لهم و لمن شاركهم .

4- الطريقة التي تنتهجها :

لقد دخل التصوف إلى شمال إفريقيا كإطار جديد لينتشر بين فئاتها ،لـــيس كفلسفة راقية بل كمبادئ و طقوس تعبر عن ممارسات خاصة تبســـط المعتقـــد و تنزل بالدين إلى مستوى الحاجيات المباشرة لهذه الفئات في شكله الطرقـــي و قـــد تبنت الزاوية التي أخذناها كنموذج لمقاربتنا و بالترتيب الطريقة الشاذلية كأصـــل لها التي تعود لأبي الحسن الشاذلي ثم بعدها الجازولية كمنبع والتي تنســـب إلـــى سليمان الجازولي ثم العيساوية كممارسة لسيدي محمد بن عيسى.

* فزاوية سيدي الجازولي إذن شاذلية جازولية و عيساوية في نفس الوقت.

أ- الطريقة الشاذلية :

يعد الشيخ الشاذلي أحد أعلام التصوف السني البارزين في كل العصـــور و هـــو مؤسس الطريقة المعروفة بالطريقة الشاذلية التي تعد من أوائل الطـــرق التـــي ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي و التي أدخلت التصوف إلى المغرب و كان مركزها مدينة بوبريت في مراكش شيخها هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن الجبار من الأشراف الأدارسة ولد بقرية غمارة القريبة مـــن ســـبتة شمال المغرب الأقصى سنة 593 هـــ ، تلقى علومه الأولى و حفظ القرآن في سن مبكرة ثم انكب على النهل من العلوم الدينية علي يد أهم علماء عصره في مسقط رأسه ثم هاجر إلى تونس من أجل العلم و بعدها انتقل إلى بلدة شاذلة التي نســـب إليها فيما بعد ، لقد مات الشيخ أبو الحسن الشاذلي ســـنة 656ه / 1258 م فـــي شهر شوال تاركا ورائه طريقة صوفية انتشرت في أنحاء المعمورة.[1]

[1] - Achour Cheurfi : L'encyclopédie Maghrébine ,CASBAH , Algérie,2007,p344.

لقد استطاعت هذه الطريقة بمرونة تعاليمها و إعتدال منهجها أن تؤثر تأثيرا ملحوظا في أكثر الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن 17 ميلادي و كان لها حضور متميز في الجزائر بفضل دعوتها للأخلاق الفاضلة و تركيزها على التوحيد و قد دخلت تلمسان على يد الولي الصالح شعيب بن حسين الأندلسي ، و من الفرق التي تفرعت عن الشاذلية في المغرب نجد : الشيخية ،الطيبية ، الحنصالية و العيساوية .....[1]

لقد أعاد الشيخ الشاذلي الطريق الصوفي إلى منبعه الأصلي ألا و هو الكتاب و السنة و قام بتغيير الأسس التي كان يتعمد عليها أهل التصوف من تخلي و تحلي بالمعنى القديم ، و بمعنى تخلي القلب من كل الرذائل و الإنقطاع عن المجتمع و خرق العوائد بالإتيان بعوائد مضادة لقهر النفس و تحليها بسلوك المقامات و الأحوال الشاقة مما جعل الناس يتعقدون أن التقشف و لبس المرقعات عنوان الدين و الشرف و صار التصوف مجرد قشور و مظاهر و أصبح ميزان العمل ما يلبس المرء لا ما يعتقد و يعمل.

و كان هذا الاتجاه التقشفي يمثل الخطر البليغ على التصوف الحقيقي " الذي هو قبل كل شيء إصلاح الباطن قبل إصلاح الظاهر " ، و أعطى الشيخ الشاذلي مفهوم التخلي و التحلي بعدا نظريا و أخلاقيا جديدين و نادى بالتحرر عن المواقف النظرية و الإعتماد على الجانب العلمي مبينا تعارض التصوف الحقيقي مع نظرية خرق العوائد و مع الزهد بمفهومه القديم ،وكرد فعل أطلق كلمته المشهورة :" ليس هذا الطريق (التصوف) بالرهبانية و لا بأكل الشعير و النخالة ..... و إنما

[1]-مجلة الأثر:د.مقلاتي عبد الله :الطرق الصوفية في الجزائر و السياسة الإستعمارية ، مديرية الثقافة لولاية بشار ،العدد3 سنة 2009 ،ص50 .

هو بالصبر على الأوامر و اليقين " أي في النوايا و الأعمال و خير العمل ما عـم نفعه على توحيد المسلمين[1].

و على هذا المنوال سار أبو الحسن الشاذلي و كان ينصح مريديه دائما بالاعتـدال و القاعدة العامة عنده " إعرف الله و كن كيف شئت" و كذلك كما قال بعضهم أن من عرف ربه تعلق قلبه به و امتلأ بحبه فلا يتأتى منه إلا الفضيلة .

ب- الطريقة الجازولية :

لقد ظهر من هؤلاء الرجال بمغربنا خلال القرنين التاسع و العاشر هجري و منهم القطب الكبير و الولي العارف الشهير عبد الله سيدي محمد بـن سـليمان الجازولي صاحب الطريقة الجازولية و مؤلف كتاب دلائل الخيرات [2] و قد كـان له الفضل للصحوة الصوفية في زمانه حتى لقب بسلطان الولاية و إمام الطريق و الهداية .

يقال أن قوم عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجازولي نزلوا بقبيلة بربرية إسمها جزولة بالأطلس الصغير بعدما نزل جدهم الأول بمدينـة تلمسـان و هنـا إختلفوا في نسله، هل هو من نسل سيدنا الحسن أم سيدنا الحسين و المهم أنه من نسل الصحابي علي و السيدة فاطمة الزهراء بنت سـيد العـالمين ، و لقـد زاول دراسته بفاس و هناك تأثر بالطريقة الشاذلية [3] .

---

[1]- صلاح مؤيد العقبي : مرجع سابق ،ص 150.

[2]- الشيخ أحمد الخليفي : الأنيس الجليل في طريقة و مناقب سيدي محمد بن عيسى ،مطابع الشمال ، طنجة ،1990 ،ص 79 .

[3] -Dominique et Janine Sordel: Dictionnaire Historique de l'islam,PUF, France, 1996,p 429 .

أما وفاته فكانت بأفغال بقبيلة الشياظمة ناحية الصويرة و بها دفـــن و قـــد مـــات مسموما في العشرة الأولى من القرن العاشر و قد تم نقله رحمة الله عليه بتـــاريخ 16 ربيع الأول سنة 870 هجري إلى مكناسة .[1]

* إن من أحزاب و أوراد الجازولية العيساوية : حزب الفلاح و حزب الحمـــد و حزب سبحان الدائم و غيرها من الأحزاب و التوسلات التي تقشعر لها الأبـــدان و تخشع لها القلوب و تهتز لها الأرواح و هذه ميزة يختص بها الجازوليين .

*من أورادها نجد الورد اليومي الذي يذكر فيه :

1 – أستغفر الله العلي العظيم 100 مرة و تختم بـــ (أستغفر الله العليّ العظـــيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أتوب إليه .

2 – اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك و نبيك و رسولك النبي الأمي و على أله وصحبه 100 مرة .

3 – سورة "يس" و تختم مرة واردة بـــ " لا إله إلا الله " .

* أتباع و مريدي الطريقة : تتسم الطريقة الجازوليـــة بوجـــود معظـــم الأحبـــاب المنتسبين إليها من مختلف الفئات و بوجه خاص الشباب و معظمهم من خريجـــي الجامعات في شتى الميادين العلمية.

– و قد اشتهرت هذه الطريقة بحبهم للاحتفالات الدينية خاصة إحياء مظاهر المولد النبوي الشريف ، و حسن الخلق و حسن المظهر و الهندام .

– و قد إنتقلت المشيخة و الولاية في هذه الطريقة من سيدي محمد بـــن ســـليمان الجازولي إلى الشيخ أبو العباس الحارثي بعد وفاة الأول ثم إلي سيدي محمد بـــن عيسى شيخ الطريقة العيساوية و كان يتم هذا الإنتقال عن طريق تجديد العهـــد و

[1]- لطيفة الأخضر ،مرجع سابق ، ص 93.

كل واحد منهم أوصى بالثاني لكون الطريقة كانت بمثابة ميراث[1] و أسس و مبادئ و أسرار تلقن سريا للخليفة .

ووجدت في زاوية سيدي الجازولي و كذلك زوايا أخرى عدة مخطوطات تعود للعائلة الجازولية و من بينها نذكر التي تحصلنا عليها :

*- زاوية كوسام يوجد بها مخطوط دليل الخيرات لمحمد بن سليمان الجازولي عدد أوراقه 200 كما توجد نسخة كاملة للكتاب عند الشيخ النوالى أحد أتباع الجازولية العيساوية الذي يقطن بمدينة الرمشي (نسخة ناذرة) .

*- خزانة زاوية كنته أقبلي يوجد بها [2]:

1- مخطوط منبر القواعد العربية من القصيدة المجرادية للمؤلف علي بن أحمد بنعلي بن محمد الجازولي (ت870ه) ، عدد أوراقها 200 .

2- مخطوط الأنصاح الأسرار في جواهر المكنونة في حديث الفرائض المسنونة للمؤلف ابن سليمان الجازولي وناسخها هو علي بن محمد بن أحمد بن زاوي التلمساني و عدد أوراقها 300 ،و في آخرها كتب كان الفراغ منه 2 رجب 1066ه.

3- مخطوط أخبار الزمان منظومة للمؤلف يحيى بن سعيد الجزولي السلامني ، عدد أوراقه 30 .

4- مخطوط معارف عامة يغلب عليها التصوف للمؤلف الجزولي ، عدد أوراقه 84 .

[1]- الشيخ أحمد الخليفي ،مرجع سابق ،ص 110.

[2]- بشار قويدر وحساني مختار : مخطوطات ولاية أدرار ، مطبعة عمار قرفي ،باتنة ،1999 ص: 58 ، 89 ،134، 137، 170 .

ج – الطريقة العيساوية :

من مدينة مكناس بالمغرب الأقصى يعود مؤسس الطريقة العيساوية سيدي محمد بن عيسى المولود سنة 872 هـ المتوفي سنة 1524 م أو 933هـ حيث دفن بمدينة مكناس بالمكان المعروف بباب البرادين حيث توجد الزاوية العيساوية المركزية التي يقصدها الأتباع لإلتماس البركة كما أشار الباحث صلاح مؤيد العقبي في كتابه حول "الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر" و هي تعتبر من الطرق المتفرعة عن الشاذلية و الطريف في هذه الطريقة أسطورتها التي تقول أن سلطان مكناس أراد التخلص من أتباع الطريقة و أمرهم بمغادرة المدينة مع شيخهم سيدي محمد بن عيسى و في طريق التشرد و الإضطهاد إشتد الجوع بالأتباع فأمرهم شيخهم بأن يقتاتوا من كل ما يعترض طريقهم و إن كانت عقارب أو أفاعي أو زجاجا أو حجارة لأنها بقدرة الإله تصبح في أفواههم لذيذة[1] .

و من هذه الأسطورة إستمدت الطريقة جاذبيتها الشعبية وهي طريقة نخبوية لأن العيساوي ليس شخصا عاديا مثلما يبرز في هذا الوصف لما يحدث خلال الحضرة العيساوية : " تبدأ الحضرة بالترديد الهادئ لإسم الله ثم يقف الأتباع في صف مستو، لباسهم الصوف و أرجلهم حافية و هم يعرضون هذا الإسم مرة بالميل إلى الأمام و مرة بالميل إلى الوراء، مرة بالميل إلى اليسار و مرة أخرى إلى اليمين و في نفس الوقت يجلس أتباع آخرون في شكل حلقة و يعرضون أغاني على شرف الرسول و أولياء الإسلام و شيئا فشيئا يصبح إسم الإله "هو" ثم "ه" ثم "ه" ثم "آه" و هذه بداية النشوة و التقرب من هوية الإله ثم إنطلاقا من هنا يبرز شيخ الحضرة ليقابل الراقصين و يرفعهم من هذه النشوة إلى نشوة الإتصال مع الذات الإلاهية، فتختفي النفس و تختفي الكلمات و يختفي الجسم إلى الضياع

[1]- لطيفة الأخضر: مرجع سابق ، ص 48 ، أخذ منه : G.T, série Dossier 97-carton 3

الحقيقي للهوية و للحواس المادية ....." و هنا تبدأ الفرجة و يوزع الشيخ قطع من الزجاج على الراقصين و المسامير و العقارب و يبتلعها هؤلاء و هم يواصلون رقصهم ثم يبرز السيّاف و يشق جسمه بإبر كبيرة أو بسيف و يتمرغ على الجمر .... "[1] و تتنوع ممارسة الحضرة في بلدان المغرب العربي ولكل مميزاتها .

هذا عن خصوصية النخبوية أما عن كون الطريقة ذات خصوصية شعبوية فتكمن في الجاذبية الكبيرة التي تثيرها في إعتقاد الناس بها و عدد الأتباع التي تعكسه هذه النخبة التي لها من المؤهلات الجسمية و النفسية ما يجعلها مستجيبة إلى إثبات هذه القدرة العجيبة في تجاوز النفس و الجسم نحو إتصال ما ورائي[2] .

– من المعروف عن كرامات و خوارق الطريقة العيساوية : عندما ينسب شخص إليهم فهو يأخذ النار بيده فلا تحرقه و يجعلها على ثيابه فلا تشتعل و يشرب ماء الحميم و لا يضره فضلا عن أن لا يقتله كما أن الأفاعي و ذوات السم القاتل لهم طائعة ....." و قد قال الشيخ الكامل لأتباعه و هو يتحدث إليهم بنعمة الله عليه ، " أن النار لا تحرق من قال أنا من أتباع بن عيسى و لو كان مزحا "[3] لتأكيده قضية الكرامات و الخوارق .

---

[1]– لطيفة الأخضر ، مرجع سابق ، ص 49 عن
Mustapha chelabi ,Musique et société en Tunisie ed salambo-Tunis1985 p 62-63

[2]– نفس المرجع ، ص50 .

[3]– الشيخ أحمد الخليفي ، مرجع سابق ، ص 174–175 .

ففي الغرب الجزائري و المغرب الأقصى يتغنى العيساوة غالبا بأشـــعار مـــولاي إدريس بن دريس أو قصائد الشعراء الصوفيين الجزائريين من أمثال سيدي لخضر بن خلوف و غيره أو بغير قصائد الشعراء غير الصوفيين الذين نظموا في المديح الديني .[1]

– لكن الفرق الفولكلورية التي تؤدي الفن العيساوي دون أن تنطلق من الزاويـــة و هذا غير مقبول على مستوى الطريقة التي ينقل أتباعها عن الشيخ أحمد بن عيسى قوله و تأكيده من خلال عبارته المشهورة : حزبي ثم وردي ثم حضرتي.[2]

– ولها فروع في عنابة، سوق أهراس ،مستغانم ، قســـنطينة، بشـــار و المديـــة و العديد من العواصم الإفريقية و الأوروبية و الأسيوية.[3]

* إذن زاوية سيدي عبد الكريم الجازولي هي من الزوايا الصوفية فهي شاذلية الأصل و المنهج و جازولية المنبع و الرؤيا كما أنها عيساوية المبادئ و الأهداف من خلال الممارسات الطقوسية .

[1]– مقال بعنوان تجذير الخطاب الديني و الروحي و الإجتماعي ،2008/10/31 ،من:
log.comhttp://elsayedrazek.maktoobb

[2]– نفس المرجع .

[3]– مقال بعنوان أضواء على الطريقة العيساوية الجازولية من :
www.elhadath.net.htm

المبحـــث الرابع : ثقافة زوار زاوية سيدي الجازولي في المنطقة

1- زاويـــــة الجازولـــــي و نسبة التعرف عليها :

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزاوية و علاقته بالجنس				
الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	89	11	100
	%	89.0%	11.0%	100.0%
أنثى	التكرار	94	6	100
	%	94.0%	6.0%	100.0%
المجموع	التكرار	183	17	200
	%	91.5%	8.5%	100.0%

للتطرق إلى نسبة الأفراد اللذين يعلمون بوجود زاوية الجازولي بولهاصة إضطررنا إلى طرح سؤال خاص في الإستمارة للكشف عما إذا المبحـــوث يعلـــم بوجود الزاوية أم لا ؟ و على حسب الجدول الذي تحصلنا عليه وجدنا أن ســـمعة الزاوية معروفة و بدرجة كبيرة و أن صيتها منتشر ليس فقط في الولاية المتواجدة بها و إنما في ولايات من الوطن كذلك و هذا راجع لعدة عوامل من بينها الـــدور الذي تقوم به في المجتمع المحلي و كذلك على مستوى مؤسسات أخرى كمـــا أن مشاركتها في التظاهرات الوطنية و كذلك تعرضها للإهتمام من طـــرف رئـــيس الجمهورية و كذا العديد من الوزراء و كما يبين في الجدول فإن نســـبة التعـــرف عليها مرتفعة عند النساء 94.0% كونهن يقصدن هذه الأماكن أكثر من الرجـــال الذين تقدر نسبة اللذين يعرفون الزاوية بـــ :89.0% من المبحوثين و هنا نلاحظ أنه الزاوية معروفة عند الرجال أكثر من النساء هذه الفئة التي دائما تبحـــث فـــي لجوئها و إستعانتها على المؤسسات الدينية التقليدية إلى جانب الأضرحة و الأولياء الصالحين .

2- أشكال و قنوات التعرف على الزاوية :

جـــدول يبين طـــرق و أشكال التعـــرف على الزاويـــة و علاقته بالجنس									
الجنس		العائلة	العمل	الشارع	التلفاز(الإعلام)	الانتخابات	احتفالها السنوي	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	19	16	15	9	4	12	14	89
	%	21.3%	18.0%	16.9%	10.1%	4.5%	13.5%	15.7%	100.0%
أنثى	التكرار	33	17	14	7	10	8	5	94
	%	35.1%	18.1%	14.9%	7.4%	10.6%	8.5%	5.3%	100.0%
المجموع	التكرار	52	33	29	16	14	20	19	183
	%	28.4%	18.0%	15.8%	8.7%	7.7%	10.9%	10.4%	100.0%

بعدما عرفنا نسبة المبحوثين اللذين يعرفون و يعلمون بوجود الزاوية سنتطق إلـــى الطرق و الأشكال التي تم التعرف بها على الزاوية مستعينين بالجدول فمن خلاله يظهر لنا بالنسبة للذكور أنه تمت عملية التعرف على الزاوية إما عـــن طريـــق العائلة بالدرجة الأولى بنسبة تقدر 21.3% و التي طالما كانت المؤسسة الأولى التي تساهم في تكوين شخصية الفرد ليأتي بعدها الفضاء العام ممثلا في الشـــارع بنسبة 16.9%حيث أن فيه تتواجد مختلف العلاقات التي يمكن أن تربطنـــا بعـــدة مواضيع ففيه يتواجد الصديق و الزميل و غيرهم من الذين يقدمون النصائح أمـــا عن النساء فبدون منازع العائلة قبل كل شيء بنسبة 35.1% فالفتاة سواء بلغـــت سن الرشد أم لا تبقى تستقي معلوماتها من العائلة أما عن القنوات الأخـــرى مثـــل مكان العمل بنسبة 18.0% عند الجنسين ففي فضائه تتواجد روابـــط و علاقـــات زمالة و إتصالات مختلفة إذن له دور في التعرف كما للتلفاز و الإعلام بشكل عام دور بنسبة 10.1% لدى الذكور من أشرطته و حصصه التلفزيونيـــة حـــول شيوخ الزوايا و مواقعها و أدوارها داخل المجتمع و من خلال المقـــالات عبـــر الجرائد و غيرها كما للإحتفال السنوي الذي تجريه الزاوية كل سنة دور أيضا في التعريف بها خاصة عنـــد الـــذكور بنســـبة 13.5% فـــالمهتمين بالاحتفـــالات و

المشاركين بها نجدهم دائما يسردون أهم الأحداث التي جـرت ضـمن الإحتفـال لدرجة خلق نوع من الرغبة و تمني الحضـور لـدى عـائلاتهم و أصـدقائهم و غيرهم.

3- ثقافـــة زاويـــة سيدي الجازولـــي :

جدول يبين المعلومات المتوفرة لدى المبحوثين حول زاوية الجازولي								
الجنس		التأسيس	الطريقة	الموقع	الدور	حكمتها	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	10	4	21	4	6	3	48
	%	21.3%	7.8%	44.7%	8.5%	12.8%	6.4%	100.0%
أنثى	التكرار	8	3	19	10	8	2	50
	%	15.7%	6.4%	37.3%	19.6%	15.7%	3.9%	100.0%
المجموع	التكرار	18	7	40	14	14	5	98
	%	18.4%	7.1%	40.8%	14.3%	14.3%	5.1%	100.0%

بعدما تطرقنا لنسبة المبحوثين الذين يعرفون الزاوية ثم أشـكال تعـرفهم عليهـا سنحاول الآن التعرض لأبرز المعلومات التي يمتلكونها حول زاوية الجازولي فأهم معلومة يمتلكها الذكور هي الموقع الجغرافي بالدرجة الأولى بنسبة 44.7% عنـد الذكور و عند الإناث كذلك 37.3% كمعلومة رئيسية لمعرفة الطريق مـن أجـل الذهاب إليها و التعرف عليها و على تاريخها لتحل المعلومات حول سنة تأسيسـها بنسبة 21.3% لدى الذكور و لتحل بعدها معلومات حول الدور الـذي تقـوم بـه بنسبة 19.6% لدى الإناث أما عن المعلومات حول الحكمة التـي تخـتص بهـا بالنساء أدرى بنسبة 15.7% خاصة من حيث طرق العلاج و غيرها لتتبع بعـدها بمعلومات حول الطريقة التي تنتهجها الزاوية بنسبة 7.8% لدى الـذكور كـونهم

يهتمون بهذه المعلومات الثقافية حول الزوايا لنستنتج في الأخيـــر أن المبحـــوثين يهتمون بالتساؤل حول هذه المؤسسات التي تمثل التدين الشعبي .

خاتمـــــــــــــة الفصـــــــــــل :

إن لوجود الزوايا فضل كبير في تكوين الأجيال عبر التاريخ و هذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول من البحث حيث لا نستطيع إنكار الأدوار التي قامت بها هذه المؤسسات و يشهد لها التاريخ بكل ما قامت به من مهام دينية إجتماعية ثورية و سياسية منذ نشأتها و إلى غاية الآن مازلت مستمرة في أداء مهامها و هذا ما تبينه الأبحاث و الدراسات حول هذه المؤسسة التقليدية الحاضرة في ظل التحولات التي يشهدها المجتمع و المتفاعلة مع مؤسساته الحديثة ، و سنتطرق في الفصل القادم إلى العلاقة الموجودة بين الزاوية كفضاء تقليدي متواجد بالريف و المترددين عليها من المدينة كفضاء حضاري.

الفصل الثاني

المدينة في الجزائر

مقدمة الفصل الثاني:

بدأ القرن العشرون و بدأت معه العلوم تنشط بأبحاثها و تتساءل حـــول الظـــواهر المرافقة لكل التحولات الإجتماعية و الصراعات السياسية و الفكرية المرتبطة بها و التي تطرح الكثير من القيم و الممارسات للنقاش و الجدل كعودة الـــديني فـــي خضم التحولات العميقة التي تحدث للمجتمع من خلال العلاقـــة المتداخلـــة بـــين العمق التاريخي ممثلا بالمؤسسات الدينية و الحداثي كنتاج سيرورة من التطورات شهدها المجتمع ، فسنتطرق في هذا الفصل إلى المدينة كنموذج لمجتمع حضري و قد وجدت منذ القديم على أشكال بسيطة و تطورت مع أشكال الحياة الإجتماعية بها و الإقتصادية و هي تعرف نوع من التحضر الذي رافق التطور الصناعي و لكنها تبقى تتأثر بمختلف التقاليد و القيم التي تعود لسكانها و هي بدورها تؤثر في نمـــط حياتهم فتتولد لديهم ممارسات و تصورات تشكل هويتهم الخاصة داخـــل المدينـــة التي تختلف الحياة فيها عن الريف كونها تعرف التحضر الذي يؤدي إلـــى تغييـــر نمط الحياة الإجتماعية بها فتختلف الممارسات الإجتماعية و الثقافية و الدينية داخل المدينة لإختلاف الذهنيات و الأخلاقيات بها .

المبحث الأول: شبكة المفاهيم ومصطلحات الفصل

كما تطرقنا في الفصل الأول للمصطلحات الخاصة به فكذلك سوف نتعرف في هذا الفصل عن المصطلحان اللذان يكملان موضوع بحثنا في هذه المذكرة فإلى جانب الزاوية وما يتعلق بها توجد المدن التي تتمركز بها أو بأماكن مجاورة منها ، و كما نعلم أنه لكل فضاء ممارسات ثقافية خاصة به .

- المدينة و الممارسات الثقافية لسكانها

1- تعريف مصطلح المدينة :

أ- التعريف اللغوي:

المدينة كلمة عربية و بالفرنسية تدعى Cité مشتقة من اللاتينية Civitas التـــي هي عند اللاتينيين مجموع المواطنين، فلغة هي مشتقة من تمـــدّن يتمـــدّن تمـــدّنا والمدينة تحضّر أي ضد القرية و الريف[1] فهي يقصد بها ذلك التجمـــع الســـكاني حيث غالبية السكان يعملون في التجارة أو الصناعة أو الإدارات العامة و غيرها[2] و بهذا هي ترمز بتحضرها لمظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الإجتماعي الخاص ببلد ما .

ب – التعريف الاصطلاحي:

لقـــد حـــددت للمدينـــة تعريفـــات عديـــدة وفقـــا لمعـــايير مختلفـــة منهـــا الإجتماعية،الإقتصادية، الديمغرافية و غيرها .

* سنتطرق للمدينة كمفهوم عنـــد الفلاســـفة ثـــم علمـــاء الإجتمـــاع ثـــم عنـــد الأنثروبولوجيين لنمنحها في الأخير التعريف الذي يشمل جميع جوانبها .

---

[1] - من محاضرة الفلسفة و المدينة ،الأستاذ بن عمر سواريت، ضمن مشروع ماجســتير مــدن ثقافــات و مجتمع ،2008-2009 .

[2] - المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت، ط1 ، 2003 ص 963 .

I – **المدينة من الناحية الفلسفية :** عند الفلاسفة "حسب محاضـــرة الفلســـفة والمدينة" أعطيت دلالات لها علاقة بالتعريفين التاليين:

أ–المدينة مجموعة من التجمعات البشرية المنظمة تنظيما قانونيا " تخضع للقانون"

ب– المدينة هي جسم سياسي منظم بقوانين[1].

* في تعريفات أرسطو للمدينة يظهر أهمية العنصر البشري في تكونها و كذلك العنصر المادي والأخلاقي حيث يقول"المدينة هي بعض التجمعات البشرية و هذه التجمعات هي مجموعة من القرى التي تؤلفها " و آخر يقول " المدينة مجموعة من الضروريات الحيوية التي تحقق السعادة للمواطن" .

* سبينوزا في تعريفه لهذا المفهوم يركز على العنصر القانوني فيقول: " إن كل مجتمع يرتكز على القانون و يحمي قاطنيه يسمى مدينة " .

* عند حكماء اليونان هذا المفهوم جعلوه مرادف لمفهوم الدولة، قد ألفوا في هذا المجال كتب عديدة فأفلاطون عرف بجمهوريته التي أقامها على العدل، و القديس أوغسطين إشتهر بمدينة الله بمنحها التعريف التالي: " المدينة ليست إلا مجموعة من البشر تجمع بينهم رابطة إجتماعية "مركزا في إهتمامه بهذا الجسم على العلاقات الموجودة بين سكانه و أهميتها في بقائهم مجتمعين .

* أما عن المدينة في الفلسفة الإسلامية نجد الفارابي و مؤلفه المدينة الفاضلة التي إرتكز فيها على أهمية العنصر الأخلاقي في نجاح و إستمرار هذه المنشأة، و قد تعرض لها أيضا إبن خلدون من خلال تطرقه إلى العمران الذي جعله موضوع إهتمامه "العمران البشري و الإجتماع الإنساني" و قد قسم إبن خلدون العمران إلى بدوي وآخر حضري حيث يقول: " إعلم أن إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو بإختلاف نحلتهم في المعاش ، فإن إجتماعهم إنما هو للتعاون ...."[2]

---

[1] - Jacqueline Russ+Clotilde Badal-Leguil: Dictionnaire De Philosophie, BORDAS.PARIS.2004.P57.

[2] – إبن خلدون : المقدمة ،دار الفكر ، بيروت،2004 ، ص125 .

II – المدينة من الناحية السوسيولوجية : لقد إهتم علماء الإجتماع بدراسة المدينة كظاهرة إجتماعية كونها تحتوي على ممارسات الأفراد داخلها و على العلاقـــات التي تحدث بينهم فاقترن تحديد معناها بمفهوم التحضر بعدما اقتـــرن بالدولـــة و أصبحت على مر العصور تمثل المجتمع الراقي الذي استغنى عن كل السلوكات و الثقافة الشعبية الخاصة بالريف بحيث إمتاز هذا المجتمع بثقافة رســـمية تعطيـــه نمطا خاصا من الحياة الإجتماعية الحضرية.

ففي ظل علم الإجتماع الحضري تنوعت التعاريف حسب الأبحـــاث و الدراســـات التي جرت حولها من كل الجوانب فنجد لويس ورث يركز فـــي أبحاثـــه علـــى الحضرية التي هي في نظره طريقة الحياة التي تميز المدينة و التي هي مجـــرد كيان إجتماعي و الحضرية شكل و نمط العيش داخلها و التي تحمل أنماط الفكر و السلوك الذي يميزها عن الريف، و قد نظر كذلك كارل ماركس إليها مـــن ناحيـــة التحولات الإقتصادية التي طرأت على المجتمع الغربي حيث إرتبطت بما حـــدث للمجتمع الإقطاعي الزراعي و ظهور المجتمع الرأسمالي و التغيرات الإجتماعيـــة التي رافقت هذا التحول، أما ماكس فيبر مضيفا دور الدين في تطور المدن حين أدرج الأخلاق البروتستانتية و علاقتها بتطور الرأسمالية عن طريق تنظيم البنيـــة إقتصاديا سياسيا و إداريا التي بدورها كانت سببا في تنمية المـــدن أو بـــالأحرى العالم الغربي و بالتالي طبيعة الأفراد المتواجدين بها ثم العلاقات التي تنشأ بينهم .

وبقيت المدينة في الأخير من الناحية السوسيولوجية تشكل تجمع سكاني تتـــداخل فيه علاقات الأفراد على أساس المصلحة و فيها تتطور جميع أشكال تلك العلاقات الإنسانية فهي كما قيل "نتاج الحضارات "[1] التي على أساسها ظهرت المدن .

[1] -LEWIS Mumford, La cité a travers l'histoire, traduit par (Guy et Gerard Durand),seuil,Paris, 1961, p116.

* فتاريخ المدينة هو تاريخ الحضارة أي بالمعني المعادل هـــو تـــاريخ التحضـــر كثقافة، فهي تعبر عن " عن التجمعات السكانية الحضرية المناقضة بذلك القريـــة" فهي في معناها الواقعي مجموعة من المنـــازل التـــي ترمـــز إلـــى التحضـــر و الحضرية كأسلوب خاص لسكانها من الناحية اللغوية والأخلاقية و نمـــط العـــيش الجماعي داخل هذا الفضاء المميز[1] ، فالمدينة إذن هي محيط يتميز بخصـــائص مثل التعليم ، القانون المدني ...الذي يجعل الأفراد يعبرون عن تبعيتهم لها[2].

III – المدينة من الناحية الأنثروبولوجية : إلى جانب علم الإجتماع الحضري ظهرت الأنثروبولوجيا الحضرية لتهتم بمفهوم الثقافات التي يتداولها سكان المدن و كذلك فهم تركيباتهم المختلفة و هوياتهم داخل ذلك النسيج الحضري وبذلك تكون قد منحت نظرة مضاعفة للظواهر الإجتماعية الموجودة بالمدينة التي تمثل الرقي و التحضر و هنا كان على الأنثروبولوجيون التركيز على ثقافات الأفراد من حيث مواقع استقرارهم، فالمدينة تشكل وحدة ثقافية إجتماعية كونها فضاء له نمط حياة خاص تتماثل فيه سلوكات الأفراد و هوياتهم المختلفة لتشكل بدورها هوية خاصة للمدينة المتواجدين بها من خلال عاداتهم و تقاليدهم و من بين الذين درسوها و منحوا لها تعريفات حسب ملاحظاتهم و أبحاثهم نجد هناك من إنطلق من الثنائية الريفية الحضرية و كذلك المجتمع الحضري و المجتمع الريفي حيث أننا نجد في الأول التنوع الثقافي و سيطرت الفر دانية و ضعف الرابط الإجتماعي و في الثاني نجد السيطرة الجماعية التقليدية و الحفاظ على الممارسات التقليدية كإستمرار المقدس في تشكيله لذلك الفضاء و هذه أبرز الفروقات بين المجتمعين و من بين التعاريف التي منحت لها :

---

[1]- Cambier Alain: Qu'est-ce qu'une Ville, VRIN, France, 2005,p08.

[2]- Ibid , p 13.

* يقول الأنثروبولوجي Henri Lefebvre أنه يفضل إستعمال مفهـــوم المجتمـــع الحضري و الظاهرة الحضرية على مفهوم المدينة لأنه شامل و أوسع من حيـــث الدلالة على الواقع[1].

* نجد Graf Meyer يقول عليها " المدينة رقعة جغرافية و سكان فهي فـــي آن واحد إطار مادي و وحدة حياة إجتماعيـــة "[2] لأنهـــا تمثـــل مجموعـــة العلاقـــات الإجتماعية بين الأفراد .

* فالمدينة تستدعي طبيعيا وجود تجمع لثقافات مختلفة ،فالخطابات تقدمها على أنها بوتقة التحضر المحاك عل خصائص السكان المجتمعين علـــى نمـــط عـــيش المشترك" [3]

* في الأخير نستنتج تعريف عام يشمل التعاريف السابقة فقد بدأ الفلاســـفة في الأول بإعطاء تعريفات متنوعة لمفهوم المدينة حيث إرتبطت بظهـــور مفهـــوم الدولة و الجمهورية لترتبط بعدها عند ابن خلدون بتاريخ العمران الذي قسمه إلى بدوي و حضري ثم وجد علم الإجتماع للبحث في المدينة كظاهرة إجتماعية مـــن عدة نواحي كفهم علاقة الأفراد داخلها و كذلك البحث في أسباب نشأتها و توسعها و كذا تنميتها داخل تخصصه الحضـــري ، و بعـــدها ظهـــرت الأنتروبولوجيـــا الحضرية لتقول هي أيضا أن المدينة ظاهرة أنثروبولوجية حيث ربط فهمها بفهم الثقافات و الهويات الموجودة داخل النسيج الحضـــري و كـــذلك بفهـــم تركيباتـــه المختلفة فهي تمثل أرقى درجات التحضر الذي هو بدوره مرتبط بالثقافة خاصـــة يمتاز بها الأفراد المتواجدين بها .

---

[1] -Henri Lefebvre : La révolution urbaine, Gallimard, France, 1970, p66.

[2]- Graf Meyer Y : Sociologie urbaine, Nathan, paris, 1994, p8

عن : إسعد فايزة :المدينة و المقدس ،مذكرة ماجستير،جامعة وهران،2007/2006 ،ص20.

[3] - Yankel fijalkow: Sociologie des villes, la découvert, Paris, 2007, p 44.

* و نشمل كل ما سبق لنقول أن المدينة " كوحدة هي فضاء يحتوي علـــى الخصائص الإجتماعية و الثقافية و السياسية و الإقتصادية و الدينيـــة كمعطيـــات بنيوية أساسية إلى جانب علاقات الأفراد، فالمدينة قبل كل شـــيء هـــي المحـــيط الفيزيقي و الإجتماعي الشامل لجميع المجالات و التنظـــيم الجمـــاعي للخـــدمات الحضرية التي تشترك بين الواقع المعاش وكذا التخطيط و ممارسة التشاور ، أين نجد ها تدور حول تاريخها ".[1]

[1] - Yankel Fijalkow: Op .cit, p110.

2- تعريف مصطلح الممارسات الثقافية :

أ - **التعريف اللغوي:** الممارسات جمع لكلمة ممارسة التي هي من فعل مارس أي قام بعمل ما ، زاول نشاط ، أخضع لتدبير معين ،و عندما تضاف لها كلمة الثقافة فهي تعطيها صبغة أو خاصية أخرى مميزة كونها تصبح منهج معين متبع في حياة الشخص مثل قيامه بواجباته الدينية و الأخلاقيـــة أي تعبيـــر عـــن ممارسة دينية، و هنا الممارسات الثقافية تصبح تعبير عن عادات و أعراف " مـــا تعارف عليه الناس في عاداتهم و معاملاتهم " و كذلك الشعائر الدينية للشعوب[1].

ب - التعريف الإصطلاحي : إهتمت الأنثروبولوجيا ضمن حقلها كمـــا ذكرنا سابقا بالثقافات المتنوعة للشعوب و بدراسة المفاهيم" المرتبطة بها خاصـــة التي لها علاقة بالإنسان من ممارسات ثقافية و كذلك العقائد الإثنية "[2] .

ومن خلال البحث عن الثقافة كمفهوم حيادي وجدنا أنها تتألف من الأفكار التقليدية و كافة القيم المتصلة بها و وجدنا أيضا أنها " في مفهومها العالمي هي مجموعـــة من الأشكال الرمزية التي يعبر بها الإنسان على وجوده "[3] ، وبما أن الممارسة هي فعل حر و لكنه في الوقت نفسه يتخذ شكلا معينا و على الرغم من أنه مقـــنن إلا أنه يتصف بالتلقائية في آن واحد[4] بمعنى أن الممارسات الثقافية التي تنطوي تحتها الممارسات الدينية و الإجتماعية و حتى السياسية ، تلتزم بخاصـــية التعـــود عليها خلال الإنتقال من مكان لآخر(ريف مدينة أو العكس) إذا كانت جديدة على الشخص أو محاولته بإظهار ممارساته في ذلك المكان ضمن إشكالية المحـــافظ

[1] -المنجد الوسيط ،مرجع سابق ، ص 967 .

[2] -- Dictionnaire des sciences humaines : sociologie/anthropologie, NATHAN, paris, 1994, p79-80.

[3] - Cambier Alain: Op. cit ,p26.

[4] - محمد أحمد بيومي : علم الإجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2008 ، ص 309 .

على هويته وما يرافقها من أخلاقيـــات و ســـلوكات ، آراء و مواقـــف كأســـلوب للإستمرارية التقليد ضمن الحديث حتى و إن كان هنالك شيء من التجديد .

* سنتطرق لأبرز المفاهيم التي إنطوت تحت ظل الممارسات الثقافية كمصـــطلح مهم في موضوع مقاربتنا كونها تمثل التراث الإجتماعي اللامادي الذي يتواجد في البيئة الإجتماعية جيلا بعد جيل، و التي إستنتجناها من خلال المعطيات الميدانيـــة التي تحصلنا عليها فنجد كل من العقائـــد و الطقـــوس و التقاليـــد و الأعـــراف و العادات و الأفكار و القوانين إلى جانب المقدس و الأسطورة و كل مـــا أوجـــده الإنسان و إستحدثه التطور الثقافي و الحضاري تمثل ممارسات ثقافية متنوعـــة و سنقتصر بعرض أهم هذه العناصر حسب ما ظهر لنا في الجداول المتعلقة بالأسئلة حول الموضوع مثل :

1- العادات : هي مجموعة من الأفعال و الأعمال تنشأ في جماعـــة وتتوارثهـــا باعتبارها جزءا أصيلا من تراثها الإجتماعي بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوك الجماعة فهي تمثل ضرورة إجتماعية حيث تستمد العادات قوتهـــا منها و لذلك لا يملك الأفراد الخروج على ما تقتضيه و يلتزمون بها في سلوكاتهم لأنها تصرفات يومية روتينية ،".....و يجد الأفراد أنفسهم منصاعين لهـــا فـــي تصرفاتهم و أسلوب تفكيرهم كذلك، و تصدر عنهم هذه الأفعال بصورة طبيعية و تلقائية.....و تتصف العادات كذلك بصفة العمومية و الانتشار علـــى خـــلاف التقاليد و من ثم كانت قوة الإلزام فيها أقوى من التقاليد ..... إضافة إلى كونها تتقبل التغيير و التطوير كما أنها تتأثر بوسائل الإعلام و الصحف "[1].

[1] - محمد سيد فهمي : الرعاية الإجتماعية الإسلامية ، دار الوفاء، الإسكندرية ، 2006 ، ص 224-225 .

و تستنتج من تكرر الفعل الذي يصدر عن الفرد بالذات و يكون إمـــا مكتســـبا أو ملاحظا و هناك العادات الفردية التي تتعلق بالأشخاص والعادات الجمعيـــة التـــي تتصل بالتجمعات أو الجماعات.

2- التقاليد : هي قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئـــة محليـــة محدودة النطاق و هي تنشأ عن الرضاء و الاتفاق الجمعـــي علـــى إجـــراءات و أوضاع معينة لذلك فهي تستمد قوتها من قوة الجماعة أو سلطتها علـــى أفرادهـــا باسمها فالتقاليد شأنها في ذلك شأن العادات و الأعراف كلها مصطلحات إجتماعية مزودة بصفة الجبر و الإلزام ، إلا أن التقاليد بالذات " قوة إجتماعية تشكل السلوك المتميز للطبقة أو الجماعة التي تأخذ بها و إحترامها علامة مؤكـــدة علـــى مبلـــغ تضامن هذه الطبقة و حرصها على تحقيق تماسكها "[1]

3- الأعراف : هي قواعد قانونية غير مسنونة أو غير مكتوبـــة و كـــذلك هـــي المعايير الإجتماعية التي تتوفر على المستويات الأخلاقية للسلوك في الجماعة و المجتمع و يشعر أعضاء المجتمع بارتباط عاطفي نحوها و يرون " أن الحفـــاظ عليها ضروريا لرفاهية الجماعة" [2]

والعرف يمارس سلطانا قويا على أعمال الناس و الكثير من مظاهر ســـلوكهم ، و ذلك لأنهم يعتقدون أن الأعراف، الضاربة في القدم تمثل تراثا جمعيا أصيلا هـــو المعبر و المميز لشكل سلوكهم الجمعي في آن واحد ،و هي كـــذلك تتمثـــل فـــي "الحكم و الأمثال و الأغاني الشعبية و القصص التـــي تأخـــذ شـــكل الأســـطورة المستحدثة عن الأجداد و تاريخهم و الواقع أن هذه الحكم و الأمثال و الأســـاطير

[1] - محمد سيد فهمي: مرجع سابق ، ص 227 .

[2] - فاروق مداس : قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني ،الجزائر ،2003، ص 16 .

مستمدة من منطق العقل الجمعي و لذلك نرى الأفراد يستشهدون بالحكمة القديمة أو المثل في تبرير تصرفاتهم "[1].

4- الطقوس : إن الطقوس مجموعة من السلوكات أو القوانين المنتظمة تحـــدد مجرى ممارسات دينية بصفة عامة أما في الأنثروبولوجيا فإن الطقس يعني عملا أو إحتفالا يهدف إلى توجيه قوة خفية نحو فعل معين كما قال نور الدين طوالبي و هي كذلك أفعال متكررة و محددة ، ".....أو قد يتفاوت التحديـــد و إســـتعمال الطقوس كطابع رمزي لها على أساس علاقة وسائل الفعل و غايته .... و علـــى أي حال تنطبق الطقوس في المحل الأول تبعا للمعايير المستخدمة .

فهناك الطقوس التي تمارس على نطاق واسع في الأوســـاط المدنيـــة الحضـــرية يطالها التغير الإجتماعي أكثر بكثير مما يطالها في الأرياف فنجـــد اللجـــوء إلـــى الطقس من خلال سلوكات مذهلة مأخوذة من الماضي مستمرة في الحداثي [2]،

فيسعى الإنسان من خلال الطقوس التقرب من عالم المقدس و هـــي تتنـــوع فـــي أشكالها منها التطهيري ومنها السحري.

فوظيفة الطقس دفاعية قبل كل شيء،"..... و يلجا لطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليلتقي الدنس أو يتخلص منه....." [3].

---

[1] -محمد سيد فهمي : مصدر سابق ،ص 226 -227 .

[2]- نور الدين طوالبي : الدين و الطقوس و التغيرات ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، منشورات عويدات ط1 1988 ص 51.

[3] -نفس المرجع ، ص38.

5- المعتقدات: في كثير من الحالات يتوقف تصرف الفاعلين الإجتماعيين علـــى معتقدات تلعب دور أساسي في حياتهم الإجتماعية و لا تكون المعتقدات بـــالطبع دون علاقة بالواقع ثم إنها تتأثر بأفعال الفاعلين الإجتماعيين أنفسهم و "يمكنهـــا أن تحدد أهداف الفعل الفردي و الجماعي "[1] فهي حكم يتعلق بالواقع ، يقبلـــه الفـــرد باعتباره صحيحا ، ويختلف المعتقد عن القيمة فبينما نلاحظ أن القيمة تتصل بمـــا يعتبره الفرد مرغوبا فيه فان المعتقد حكم صادق واقعي ، " ويعتمد المعتقد علـــى الملاحظة الإمبريقية و المنطق و التقليد و الإيمان أو المعتقـــدات القائمـــة علـــى العواطف ، أو القيم. "[2].

6- المقدس : في المعنى العام يشير إلى كل ما هو خاضع لحماية الدين و مـــن ثم لا يمكن انتهاكه أو الخروج عليه و يستخدم المصطلح أيضـــا للإشـــارة علـــى الأشياء التي تحظى بالاحترام و التقدير و القبول و يعيب انتهاكها و لكن ليس من الضروري أن تكون ذات طابع ديني، حيث يقول مارسيل موس : المقدس متصور بالنسبة للجماعة و أعضائها في كل ما يعلو بالمجتمع و يؤهله للتماسك و يحميـــه من التشتت أو التعارض في المصالح ، فكل ما هو إجتماعي يتم بشـــكل حتمـــي وفق أساليب و طرق دينية ، فهو ما فتح مجـــالات الحيـــاة الإجتماعيـــة لوجـــود المقدس و بالتالي تأديته تكمن في الوظيفة الإجتماعية التي ركز عليها دوركـــايم حين أشار أن وظيفة التكامل و التماسك تكون من خلال الطقس الذي ينظم التنافذ أو العلاقات المتبادلة بينها .

---

[1] - ر.بودون و ف.بور يكو : المعجم النقدي لعلم الإجتماع ، ديوان المطبوعات الجامعيـــة ،الجزائـــر، ط1 ،1986، ص521 – 523 .

[2] - فاروق مداس : مرجع سابق ، ص 247 .

7- الأسطورة :هي معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الميتافيزيقيـــة أو أصول الكون أو المؤسسات الإجتماعية أو تاريخ شـــعب مـــن الشـــعوب ...و وظيفتها" في بناء المجتمع هي تسجيل و عرض النظام الأخلاقي الذي بواســـطته يمكن تنظيم و تشريع المواقـــف و الأحـــداث الاجتماعيـــة ".[1]كمـــا أنهـــا عنـــد الأنثروبولوجيين كبرونو مالينوفسكي "تقدم الأسطورة شرعية الترتيبات الإجتماعية أما الرؤية المعاصرة لها فإنها تتضمن تأثيرات ليفي شتراوس الذي تعامـــل معهـــا على أنها نسق للإشارات و الرموز من زاوية البناء اللغوي و بالنسبة له لا تمثل الأساطير الصفات المشروعة للمؤسسات و أنها لا تحـــاول شـــرح الترتيبـــات الإجتماعية أما وظيفتها فهي إدراك المفاهيم العقلية" .[2]

[1] -دينكن ميتشيل : معجم علم الإجتماع ، دار الطليعة ، بيروت، ط1،1981، ص 148.

[2] -معن خليل العمر : معجم علم الإجتماع المعاصر، دار الشروق ،عمان ، 1986،ص 304 .

المبحث الثاني : خصائص المدينة في الجزائر :

إن نشأة المدينة و تطورها كظاهرة إجتماعية و كنمط للتنظـــيم الاجتمـــاعي الذي عرفه الإنسان بعد مراحل تطورية عديدة مر بها إستلزم وجود خصائص لها، و سوف نشرح في هذا المبحث أسباب ظهور المدن القديمة و الحديثة و عواملها , و المراحل التطورية التي مرت بها , كما سنتناول وظائف المـــدن و تصـــنيفاتها حسب تلك الوظائف, و ذلك على مستويين العالمي و العربي، و فـــي ظـــل ذلـــك سنجيب عن التساؤلات الرئيسية لهذا المبحث منها: متى ظهرت أولى المدن في العالم ؟ و أين ظهرت ؟ و كيف ظهرت ؟ و ما العوامل التي أسهمت في تطـــور المدينة سواء في العصور القديمة أو العصور الوسطى أم المدينـــة فـــي العصـــر الحديث ؟,و ما خصائص هذه المدن ؟ و ما هي أبرز الممارسات الثقافية لســـكان المدن المتعلقة بالتدين الشعبي مركزين في ذلك على الزوايا ؟

1-نشـــــــأة المدينـــــــة : عوامل و مراحل تطورها :

مرت المجتمعات الإنسانية بسلسلة من التطورات قبل أن تصـــل إلـــى مـــا يسمى بحياة المدن فكان و جودها في حالاتها الأولى لا يعدو أشكالا من التجمعات السكانية الشبه العائلية مداشر، قرى و عشائر ثم بعدها إلى القبائل ثم التجمع ضمن القرى على ضفاف الأنهار بعد اكتشاف الزراعة و استئناس الحيـــوان , إلـــى أن وصلت إلى الشكل الأول للمدن الذي صاحب ظهورها كما يرى العلماء ظهـــور التجارة و الصناعة الخفيفة , و لقد استمرت التجمعات الإنسانية بتطورها بعد ذلك دون توقف إلى أن وصلت أخيرا إلى نظام المدينة الحديثة كشكل أخير في سلسلة تطوراتها .

و تعد المدن الكبيرة في الدول الصناعية الكبرى اليوم أمثلة شاهدة علـــى درجة عظمة ذلك التطور أما عن المدينة بصورتها القديمة الحديثة فتمثل شـــكلا آخر من أشكال التنظيم الاجتماعي مقارنة بالأشكال التنظيمية الأخرى التي عرفها الناس في مرحلة ما قبل نشوء المدن, مثل : الحياة الريفية أو البدويـــة, و الحيـــاة البدائية .

و توصف المدينة الحديثة بأنها وحدة اجتماعية حضرية غير محددة الحجم والمساحة، و لكنها مقسمة إداريا لتسهيل عملية التنظيم و التحكم بها، ويقوم النشاط الإقتصادي فيها على التجارة و الصناعة، و تقل أو تكاد تنعدم فيها نسبة المشتغلين بالزراعة، و تتنوع فيها الخدمات و الوظائف و المؤسسات و الإدارات, و تعـــرف بكثافتها السكانية مرتفعة, و تخطيط مرافقها و مبانيها, و بسهولة مواصـــلاتها ,و كما تتمايز فيها الأوضاع و المراكز الاجتماعية و الطبقية للأفراد و تتفاوت بشكل ملموس, وعلى أساس هذا, فالمدينة تعد نظاما اجتماعيا واســـعا أي تمثـــل أعلـــى درجة من الرقي الحضاري , كما تعد ظاهرة تاريخية متجددة على أساس وجودها الزماني, بمعنى أنها وجدت في العالم القديم و استمر وجودها حتـــى فـــي وقتنـــا

الحاضر و هي في تنمية مستمرة و سوف نتطرق لذلك بالعودة إلى تاريخ نشـــوء المدينة لأول مرة و مكان نشوئها, و سنرجع إلى أصل التجمع الحضـــري فيهـــا كشكل من أشكال التجمعات البشرية ويرجع إختلاف العلماء في هذا الموضـــوع , إلى إختلاف المعايير التي يستخدمونها في تعريفهم للمدينة, إلا أنهم متفقون علـــى أن المدن الحقيقية الأولى قد ظهرت فيما بـــين 3000.ق.م.إلـــى 4000ق.م [1]، و كانت تعبر عن نوع جديد من التنظيم الاجتماعي.

و في ضوء هذه الحقائق كانت المدن الأولى الباكرة في تنظيمهـــا الاجتمـــاعي و تعقدها الحضاري تعد تحولا عن جميع أشكال التجمع الإنساني التي ســـبقتها بعـــد نشأة القرى و استقرار الإنسان فيها, فأصبح لديه وقت للتفكير و الاختراع, لـــذلك فهي تعد تغيرا و إنتقال من تنظيم إجتماعي جماعي , إلى نوع آ خر مختلف مـــن التنظيم الاجتماعي ، الذي سنتطرق له الآن .

أ- **<u>المدينة القديمة :</u>** عندما نذكر هذا النوع يتبادر إلى ذهننا المدن التي وجدت في الحضارات الرومانية و اليونانية العريقة التي عرفت بشكل خاص و نظمت مـــن خلال قوانين و أسس تتحكم فيها العائلات الملكية و كذلك الطبقـــات الإجتماعيـــة الراقية و نذكر منها جمهورية أفلاطون و تصنيفه لسكان المدينة المتواجـــدة فـــي زمانه و نذكر كذلك كتاب الملك لمكيافيلي و إهتمامه بالسلطة فيها و كذلك الـــدور الذي لعبه رجال الدين و سلطتهم في المجتمعات القديمة و قد كان يقســـم ســـكان هذه المدينة إلى :

1- مواطنين: و هؤلاء يشتركون في السياسة و الوظائف.

[1] - مجموعة من الباحثين :المجتمع الريفي و الحضري و البدوي ،الشركة العربية المتحدة +جامعـــة القـــدس المفتوحة ، القاهرة، 2010 ، ص 230 .

2- أحرار: و يعملون بحرية و ليس لهم شرف المواطنة.

3- أجانب المستوطنين: هم موضع حذر و ريبة دائما حتى لو أطالوا فـــي تلـــك المدن.

4- أرقاء أو عبيد: و هم مثل الأدوات في تلك المدن.

ب- مدينة في العصور الوسطى : إلى جانب وجود الحضـــارة الأوروبيـــة فـــي العصور الوسطى, ظهرت حضارة جديدة سميت بالحضـــارة الإســـلامية، و قـــد تميزت المدن في تلك العصور بظاهرة التخصص فكان لكل مدينة طابعها، فهناك مدن ذات الطابع الديني أي أنشأت بسبب ديني مثل : مكـــة المكرمـــة و المدينـــة المنورة " التي لم تكن مدينة عندما هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانت عبارة عن واحات متفرقة في سهل فسيح يطلق عليه سهل المدينة وســـميت بهذا اللفظ المدينة لأنه معرب عن السريانية (مدينتا) أي مساحة واسعة يســـكنها قوم تجمعهم ظروف و مصالح واحدة و يحكمها قانون واحد فبدأ يعمل في تحويل هذا الجزء من سهل المدينة إلى مركز عمراني إجتماعي سياسي نشأ حـــول تلـــك المدينة و بعدما تم إنشائها و تعميرها وضعت للمدينة "الصحيفة " التي هي عبـــارة عن دستور وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم لجماعته كي يحدد لهـــا نظـــام العمل في شؤون الجماعة الداخلية و الخارجية "[1] ، ومدن أخـــرى ذات طـــابع سياسي مثل: بغداد و دمشق، و ثالثة ذات طابع ثقافي مثل: الكوفة و البصـــرة، و وصلت شهرة بعضها أبعد مما وصلت إليه شهرة المدن الحديثة فـــي مظاهرهـــا العمرانية وأنماطها الاجتماعية, و أنشطتها الفنية و الثقافية كدمشـــق فـــي عصـــر

[1] - دراسات في السيرة النبوية ، حسين مؤنس ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1990 ،ص 49-50-55 ، بتصرف .

الأمويين, و بغداد في عصر العباسيين , و القـــاهرة فـــي عصـــر الفـــاطميين, و غرناطة في العصر الخلافة الأندلسية .و هنا تكون المدن قد إنتقلت إلـــى نمـــط تنظيمي جديد يتميز بالتخصص كالمدن العسكرية و أخرى دينية و غيرها ثقافيـــة ففي الفترة العباسية على سبيل الذكر كانت العلوم و الطب فيها بالغ تطوره و حتى في المجال الثقافي فكانت المدن ذات طابع علمي ثقافي.

ج- <u>المدينة الحديثة :</u> أشرنا سابقا إلى أن المدينة الأولى قد قامت مع نشأة طبقة التجار و أصحاب الحرف أو الصناع, ضمن ظروف بيئة و اجتماعيـــة خاصـــة أدت إلى ظهور ذلك النوع من المدن سواء في العصور القديمـــة أم الوســـطى, و ذلك على النمط الذي تم توضيحه، إلا أن الثورة الصناعية التي شهدها العالم منـــذ عام 1750 م, و التي مثلت انقلابا في التاريخ البشرية و أنمـــاط معيشـــتها وقـــد صاحبتها الكثير من التغيرات الجوهرية مثل الصناعة ضمن التغيرات الرئيســـية الإقتصادية ،و لقد واكبت تلك المرحلة تغيرات أخرى بعيدة المدى و موازية فـــي أنماط المعيشية الأوروبية خاصة على مستوى التحولات العمرانية .

و يرجع علماء الاجتماع و الإقتصاد و غيرهم مـــن المهتمـــين, حـــدوث الثـــورة الصناعية كان نتيجة أنماط الحياة في المدن في عصر النهضـــة ،فظهـــرت مـــن خلالها مدن حسب الوظائف الإقتصادية فكان هناك مدن للمواد الأوليـــة و مـــدن المواد المصنعة و مدن التصدير و الاستيراد (لاحتوائها على موانئ).

* و كآخر مرحلة للمدن الحديثة وجدت المدن الكبرى الحاليـــة المرافقـــة للقـــرن العشرين و سميت تلك بالمدن المتروبوليتانية و قد اكتشفت هذه الظاهرة المتمثلـــة بسيطرة المدينة على المجتمعات حولها من طرف" لجنة مكاتـــب الصـــناعة فـــي الغرف التجارية للولايات المتحدة الأمريكية عام 1927 و عرفت اللجنة المذكورة

هذا المجتمع المتروبوليتان كما يأتي : " هي المنطقة التي تتأثر فيها الصـــناعة و التجارة و المواصلات و العمال و كل مناحي الحياة الاقتصـــادية و الاجتماعيـــة بالحياة في المدينة المركزية "[1].

د- عوامل نشأة المدينة :

هناك إجماع على وجود عوامل متنوعة أسهمت في نشـــوء المـــدن علـــى مـــر العصور, و في اختلافها كذلك, و من أهمها ما سوف تعرضه :

1- العوامل الطبيعية والجغرافية: قامت المدن في بـــادئ الأمـــر علـــى الحاجـــة للتجمعات على ضفاف الأنهار و الأودية فكانت بيئتها طبيعية النشـــأة, و بعـــدها كانت مركز العمران الذي قد إستمر في التوسع إلى أن يصبح مدينة.

2- العوامل الإقتصادية و الحربية: منذ القديم كانت نقاط إلتقاء القوافل البريـــة و البحرية تجذب الناس إلى إنشاء تجمعات فيها , ثم تتطور و تزدهر بعد أن تتصل بالخارج و لما كانت الحاجة إلى مواقع لدفاع من أجل الحماية بنيت الحصـــون و بعدها إلتفت حولها مباني لتصبح مدنا لها علاقة بالحروب .

3- العوامل الدينية: دائما نجد عامل الدين أو رموزه التي تتعلق بالقداســـة تلفـــت أنظار الناس إليها , فتجعلهم يتجمعون قريبا منها أو يستقرون حولها , و تنشأ عن هذه التجمعات تدريجيا مدنا دينية أو على أنقاض أحداث مقدسة .

4- العوامل السياسية و الإدارية: هنا حيث تلعب الحكومات دورا رئيسا بتجميـــع الناس و تنظيمهم إداريا في مناطق محددة, مما يسهل عليها عملية الإشراف عليهم و إدارة شؤونهم، أي تنظيمهم سياسيا و إداريا.

[1] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي : مرجع سابق ، ص 242 .

5- العوامل الثقافية و السياحية : إن المعالم الأثرية و المراكز العلميـــة و كـــذلك المواقع ذات الميزات السياحية عوامل هامة فهناك من الناس من يستهويها الإنتماء للمدن التي يغلب عليها الطابع الثقافي أو العلمـــي أو الســـياحي لجمـــال بيئتهـــا الطبيعية.

6- العوامل النفسية : فالمدينة قد تقوم أيضا نتيجة عوامل و دوافع نفسية , فشعور الأفراد بالأمن والراحة كان دائما وراء مشاركتهم منذ القديم في التجمعات السكانية و السعي للتكيف مع آخرين و مقاسمتهم مكان العيش خاصة في المراكز عمرانية الحالية مثل المشاركة في الفضاء العام ، الحدائق العامة و أماكن الترفيه الأخرى , فتتطور و تزدهر المدن أيضا بفضل هذا العامل .

* إن العوامل التي ذكرت في نشأة المدن كانت أيضا سببا في تصنيفها و إعطائها وظائف ,التي تدور إما : حول الوظيفة الاقتصادية , و العسكرية , و الدينيـــة , و السياحية , و الثقافية , و السياسية ، و في الواقع أنه نجد أيضا من المـــدن التـــي تؤدي كم وظيفة في نفس الوقت من أجل سكنها و للمجتمع عامة .

و- <u>مراحل تطور المدينة :</u> تسير المدينة في تطورها وفق مراحل يمكن إجمالها بالآتـــــي[1] :

1- مرحلة النشأة: و تكون فيها أشبه ما تكون بقرية أو تجمع قليل العدد لم تستقر بعد .

2- مرحلة البناء و التكوين : تصبح المدينة في هذه المرحلة بمثابة بلدة , ثم تبدأ بالاستقرار, و يزداد عدد سكانها , و تكثر فيها الخدمات و المرافق , و في هذه المرحلة تبدأ القوانين في الظهور .

[1] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي: مرجع سابق، ص 245 -246 ، بتصرف .

3- مرحلة النضج و الاستقرار: و تصل المدينة في هذه المرحلة إلى إكمال صورها, حيث تعد وحدة اجتماعية و سياسية و إقتصادية و عسكرية.

4- مرحلة الإكتمال: و تصل المدينة فيها إلى ما يعرف باسم عاصمة, و هذه العاصمة قد تكون وطنية، قومية أو دولية.

5- مرحلة الإنحلال: و فيها تصاب المدينة ببعض عوامل الإنحلال, بسبب الحروب و التطورات المصاحبة لها, و قد تتنازل المدينة في هذه المرحلة عن مكان الصدارة لغيرها من المدن لتقوم على أنقاضها.

* أما عن لويس ويرث Lewis wirth فقد حدد فـــي مقالتـــه المعنونـــة بالحضرية كأسلوب في الحياة , و المنشورة في المجلة الأمريكية لعلم الاجتمـــاع سنة 1939 , السمات المعينة التي رآها مميزة للحضرية ، و أن تلك السمات قـــد تختلف من مجتمع لآخر بحيث يمكن القول أنه لا يوجد نوع واحد من الحضـــرية يسود المجتمعات الحضرية كافة ، كما أنه أوضح أن المدينة هي حصيلة عمليـــة نمو أكثر مما هي نتيجة خلق فجائي , إذ من غير المتوقع أن تســـتطيع التـــأثيرات التي تمارسها المدينة على أشكال الحياة القضاء التـــام علـــى أشـــكال التجمعـــات الإنسانية التي كانت سائدة قبل و جود المدينة و إزالتهـــا , و هـــذا يفســـر تلـــك البصمات التي ما زلنا نحملها بشكل أو بآخر من المجتمع التقليدي و التي تكونـــت في الماضي عندما كانت المزرعة و القرية تمثلان الأشـــكال الســـكنية التقليديـــة المميزة لذلك المجتمع , و هذا يوضح قضية أخرى هي أن السكان القاطنين فـــي المدن ينتمون إلى أصول تمتد إلى القرية .[1]

[1] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي: مرجع سابق ،ص278 .

2- المدينة و عملية التحضر : في هذا العنصر سوف نتطرق لعملية التحضر و ذلك بتعريف مصطلح التحضر, ثم آليات تلك العملية و مظاهرها و الظروف التي أدت إلى نشأتها ثم نتعرض لأبرز خصائص المجتمع الحضري المرافقة للثورة الحضرية ، كما شخصها و حللها **لويس ويرث** ,عن طريق مقارنة المجتمع الحضري بالمجتمع الريفي، و كذلك إبن خلون عن طريق فروقاته العلمية للبدو والحضر حيث ارتأى أن البدو هم سابق للحضر في الوجود و ما المدينة إلا بادية تطورت من خلال العمليات الإقتصادية و الثقافية بها لتكوين المدينة ما أدى ذلك لظهور التحضر المرافق لها .

1.2- مفهوم التحضر : urbanisation

تختلف وجهات النظر و تتعدد في تحديدها لمفهوم التحضر شـــأنه شـــأن معظـــم المفاهيم و المصطلحات العلمية في العلوم الاجتماعية و الإنسانية عموما , و قـــد أدى هذا الاختلاف إلى تعدد المداخل النظرية التي نظر العلماء بوساطتها إلى هذه العملية الاجتماعية , فبعضهم ينظر إليها على أنها عملية حـــدثت نتيجـــة التغيـــر الاجتماعي, و آخرون ينظرون إليه على أنه عمليـــة إحتـــوت مجموعـــات مـــن السمات و الخصائص التي تميز الحياة الحضرية عن الحياة الريفية , و ذلك بهدف الإحاطة بكل العناصر التي تشتمل عليها هذه العملية .

* و يعرف **جيرالد بريز gerald breese** التحضر بأنه : "عملية تغير كمـــي و كيفي معا , تؤدي إلى تحولات كبيرة في خصائص المجتمعات المحلية و ســـماتها ووظائفها" ،و لكن الملاحظ هنا أن تعريف **بريز** لا يحدد الملامح الخاصة لعمليـــة التحضر , حيث مال إلى التعميم , كما أنه أغفل الكيفية التي تبدأ بها هذه العمليـــة و تسير كعملية تغير كمي و كيفي معا .[1]

[1] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي : مرجع سابق ، ص273 .

* و يعرف التحضر من الزاوية السكانية (الديمغرافية) البسيطة , بأنـــه عمليـــة تجمع الناس في المراكز سكانية تزيد على حجم معين, و يتفق هـــذا مـــع مفهـــوم وارين تومسون الذي نص على أن التحضر هو : " انتقال الناس مـــن مجتمعـــات تعتمد على الزراعة بشكل رئيسي إلى مجتمعات أوسع فـــي الغالـــب , و تـــدور أنشطتها أساسا حول الحكومة و التجارة و الصناعة , و مـــا يـــرتبط بـــذلك مـــن إهتمامات مختلفة " .

فالتحضر من وجهة نظره هو تلك العملية التي أصبح الناس بموجبها حضـــريين , و ذلك بالانتقال من القرى نحو المدن , و التحول من الزراعة كمهنة رئيسية إلـــى مهن أخرى أكثر ملائمة لحياة المدن و لها علاقة بالتكنولوجيـــا, و يرافـــق ذلـــك تغيرات موازية في أنماط السلوك .[1]

فالتحضر حسب فهمنا هو ليس الوجود في المدن أو المناطق القريبة منهـــا التي يمتد لها نمط العيش المشابه داخلها , إنما هو أسلوب العيش في الحياة يتميـــز بمواقف و اتجاهات و أنشطة و علاقات إجتماعية و أفكار و قيم خاصة، و هـــو يتطلب الفهم و محاولة التمثل الكامل لأسلوب الحياة الحضرية بكـــل ملامحهـــا المتميزة لتكتمل العملية, بالسلوك و التصرف تبعا لـــذلك و دون تقبـــل و تمثـــل للمبادئ الأساسية لتلك الحياة الحضرية فلن يكون لها المعنى المقصود .

[1] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي : مرجع سابق ، ص 274 .

2.2 مظاهر و خصائص التحضر :

* يتبين من التعريفات و المفاهيم السابقة لعملية التحضر , أن هناك عامـــل مشترك يجمع بين تلك المفاهيم التي طرحت لهذه العملية , و يتمثـــل ذلـــك فـــي إجماعها على أن التحضر يمكن أن يوصف بأنه العملية التي بها تصبح الحضرية أسلوبا مميزا لحياة الناس داخل المناطق المتحضرة إذن نستنتج أن للتحضر , وفقا لتلك التعريفات مظهرين رئيسيين :

المظهر الأول : و يتمثل بالانتقال من حياة الريف إلى حيـــاة المدينـــة , بوســـاطة الحركة و التنقل عبر المكان أو الهجرة الداخلية من الأرياف إلى المـــدن و مـــا يصاحب ذلك من تغيرات في نوع المهن و الابتعاد عن الزراعة , و الإقبال على أعمال أخرى متنوعة و مختصة داخل البيئة الحضرية الجديدة و ما سوف ينـــتج عن تلك العملية من تحولات في نمط العيش و ســـلوكات الأفـــراد و ممارســـاتهم الإجتماعية الثقافية و الدينية .

المظهر الثـــاني : و يتمثل في التغيرات ضمن أسلوب الحياة من نمط معين (النمط الريفي و الأنماط التقليدية الأخرى) إلى نمط آخر مغاير و هو النمط الحضـــري , دون تحرك أو هجرة سكان هذه المناطق الريفية إلى المدن و في غالب الأحيـــان هنا تنتج صراعات بين القيم الريفية و الحضرية لتمسك العائلات ببعض العـــادات و التقاليد و المحافظة عليها بإستمراريتها.[1]

و فقد أوضح لويس ويرث أن هناك متغيرات ثلاثة رئيسية هي : العدد , و الكثافة , و درجة اللاتجانس و يمكن على أساسها الوصول إلى تحديد خصائص الحيـــاة الحضرية في أي مركز سكاني حضري , كما يمكن توضيح الاختلافات بين المدن تبعا للاختلاف في حجموها و أنماطها.

[1] - غنيم محمد أحمد: المدينة,دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1987،ص 165.

* من خلال المظهرين المذكورين و متغيرات لويس ويرث نجـــد أن التحضـــر كعملية تتميز بالخصائص الآتية[1]:

1- تحرك الناس من البيئة الريفية التي تعتمد على الزراعة إلى المدينة .

2- تغير المهنة من العمل بالزراعة إلى العمل بمهن أخرى غير زراعية, حرفيـــة كانت, أو تجارية , أو صناعية .

3- تغير في مستوى المعيشية حسب إرتفاع الدخل الفردي.

4- إتساع نطاق الحياة الإجتماعية للأفراد بتوسيع شبكة علاقاتهم الإجتماعية على حساب العائلة.

5- الإنفتاح على الخارج من خلال وسائل الاتصال الحديثة كالانترنيـــت وكـــذا المواصلات السريعة .

6- وضوح الفردانية و ضعف الروابط الجماعية و الســـيطرة الأســـرية فـــالفرد الحضري يعتمد في المدينة على ذاته في إشباع حاجاته المختلفة , بفضل ما تتـــاح له من فرص, و بالتالي فان الإستقلال الإقتصادي الذي يتمتع به الإنسان الحضري يحرره من التبعية للأسرة أو خارجها , و يقلل إلى حد أدنى من سلطتهم عليـــه أو يزيلها , فالمجتمع الحضري أكثر تسامحا مع الأنماط المختلفة من السلوك و أكثـــر قبولا لتنوعها .

7- ضعف السلطة الدينية: ليس الحضري أقل تدينا إنما أقل التزامـــا بالممارســـة الشعائر و الطقوس الدينية، و كذلك تجاهل المناسبات الدينية.

* فقد أصبح من غير الجائز علميا تعميم نتائج أبحاث و دراسات أجريـــت علـــى التحضر في المجتمعات الغربية المتقدمة , على الحالة نفسها في مجتمعات تختلف في ظروفها الثقافية و أنساقها القيمية ،و من هنا يظهر أساســـا آخـــر لاخـــتلاف

[1] - الاستعانة بالوحدة المخصصة لدراسة التحضر من كتاب :حسن الخولي : الريف و المدينة في مجتمعات العالم الثالث ، ط1، دار المعارف ، القاهرة ، 1982

وجهات النظر في دراسات التحضر في دولة غربية صناعية من حيـــث ارتباطـــه بعملية التصنيع مثلا , فقد يدرس في دولة أخرى غير صناعية من حيث ارتباطـــه بمظاهر التقدم في المجالات الاجتماعية , كالتعليم , و الصحة , ومكانة المرأة , و النظم الأسرة , أو ارتباطه بالعامل السياسي من حيث النشأة أو الاستقرار السياسي , و قد تقع أي محاولة أخرى لتلمس أي علاقة بين التحضر في مثل تلك الدولة و الصناعة في خطأ تقليد للدراسات الغربية , و هـــو تقليـــد قيـــد يفســـد المـــنهج و الموضوع .

3- الممارسات الثقافية داخل المدينة :

تحدث داخل المدينة في إطار الحياة الإجتماعيـــة و الثقافيـــة و الدينيـــة و السياسية و الإقتصادية عدة ممارسات للأفراد ضمن حياتهم و تعاملاتهم مع غيرهم و من بين الممارسات التي سنركز عليها تلك التي لها علاقة بموضوع مقاربتنا أي الممارسات الثقافية المرتبة بالحياة الدينية و الثقافية للفرد فظـــاهرة التـــدين عنـــد الأفراد مازال يخالطها شيء من الأساطير و الخرافات و التصورات الميثولوجيـــة أي ما يرافق التدين الشعبي, و هي تأخذ في العادة طابع التقرب إلى الله عن طريق الأولياء الصالحين و شيوخ الزوايا و غيرهم .

و على العموم, فإننا نجد العديد من الأشخاص ســـواء مـــن الريـــف أو المدينـــة يخضعون شعوريا و لا شعوريا في معظـــم نشـــاطاتهم الدينيـــة، الاجتماعيـــة و الإقتصادية و حتى السياسية إلى سلطة الدين و طاقته الروحية و كون أن المدينـــة الإسلامية تسيطر فيها القيم الدينية على النشاطات اليومية لأفـــراد ولـــذلك تعـــد المؤسسات الدينية من أهم النظم الاجتماعية و أخطرها شأنا لما تؤديه من وظائف و كذلك التأثيرات التي تصدر عنها في نفس الوقت داخل حياة الفرد وسط المجتمع ومن أهم ممارساتها تشكيل و ضبط السلوك الاجتمـــاعي و الإنســـاني , و تنظـــيم العلاقات الاجتماعية بين الناس و كذا الترفيه على المنتميين إليها.

و قد إهتم العديـــد مـــن علمـــاء الأنثروبولوجيـــا و علمـــاء الإجتمـــاع بدراســـة مسائل النظام الديني الذي يكشف عن القـــوة والســـيطرة التامـــة فـــي معالجـــة الأمور الحياتية في جميع مجـــالات المجتمـــع و حتـــى بالمدينـــة, و لـــيس فـــي المجتمع الريفي فقط, إضافة إلى الـــتحكم فـــي التفـــاعلات الاجتماعيـــة, و فـــي تقييم نوعية العلاقات الناتجة عنها, وأن النظام الـــديني يأخـــذ أبعـــاده الوظيفيـــة في مختلف النظم الاجتماعية، فللمؤسسات الدينية وظيفـــة أخلاقيـــة أيضـــا مـــن حيث تقوية و توحيد المشـــاعر و العواطـــف الإجتماعيـــة وتوحيـــدها, و تنقيـــة سلوك الأفراد من الأخطاء(عن طريق التوبة).

* ففي ظل الحداثة و التطور التي وصلت إليهما مدننا و التي نجدها تفرض علينا نمط حياة راقي خاصة من الجانب الثقافي إلا أننا نجد سكانها لا يزالون يحافظون على بعض الممارسات التقليدية و يدافعون عليها لإستمراريتها عبر الأجيال و من بين الممارسات التي تصدر عن سكان مدننا تلك التي تتعلق بالجانب الديني و التي تدخل في إطار التراث الشعبي و ما لها من تأثيرات على سلوكات الأفراد و مـــن بينها زيارة الزوايا و الإستعانة بشيوخهم وكذلك اللجوء إلـــى قبـــاب أوليـــاء الله الصالحين بمعتقدات و طلبات مختلفة و إلى جانب هذه التصرفات هناك طقـــوس خاصة تتم بها ، حيث سنركز عليها في هذا العنصر لندعمها بالنتائج الميدانية فـــي الفصل اللاحق.

3-1- زيارة الزوايا و المرابطين :

تمارس في المدينة ضمن الإطار الثقافي للمجتمع عادات و تقاليد و أعراف و معتقدات شعبية متنوعة بحسب القضايا التي يبحثون في معالجتها ،فيهتم سكان المدن كغيرهم من سكان الأرياف بزيارة الزوايا و الأولياء و الصـــالحين , ففـــي نظرهم أن هؤلاء الشيوخ و الأولياء لهم مكانة كبيرة عند الله ســـبحانه و تعـــالى , لإمتلاكهم قدرات عظيمة و كرامات عجيبة منحها الله لهم ليكونوا وسطاء له فـــي الأرض و طالبي الشفاعة عنده, و لذلك فهم لا يترددون في زيـــارتهم و اللجـــوء إليهم عندما تتعرض بنية حياتهم الاجتماعية إلى خطر،و تأخذ زيـــارة الأوليـــاء و المرابطين عندهم طابعا خاصا تتم عبر طقوس التي تختلـــف حســـب المشـــكل و إحتمالات حله و كذلك تنوع القضايا المطروحة التي تكون إمـــا بمعالجـــة الشـــيخ للمشكل داخل مقر الزاوية أو ما تتطلب منه التنقل إلى منزل المشتكي في قضـــايا السرقة مثلا أو الذهاب إلى مؤسسات للتدخل كالمحاكم القضائية ,و هنـــاك حلـــول أخرى التي تتطلب أخذ اللاجئين لهذه الأماكن أو الزوار معهم إلى مقـــام الـــولي ذبائح متنوعة و القيام بنذور , و لكل شيخ أو مرابط (شخص حي أو ضـــريح داخل قبة لشخص ميت تحمل إسمه) أو ولي (شخص متوفي له قبر لكن مقام له فقط حويطة سور قصير مبني بالحجارة و عادة يدهن بالطلاء أبـــيض اللـــون أو يجير كما يقال من ناحيتنا) نجد لهم اختصاصات في معالجة الأمور وفـــي وقـــت الشدائد نجد أن الأفراد مثقفين أو غير مثقفين رجال و نســـاء ، شـــيوخ و عجـــزة أطفالا كانوا صغار تأخذهم عائلاتهم أو كبار أصبحوا يقررون الذهاب مع أسرهم أو لوحدهم خاصة في فترة الإمتحانات فقد أصبحوا يفضلون هذه الأماكن و اللجوء إلى أهاليها بالدرجة الأولى على أماكن أخرى .

3-2- المعتقدات الشعبية : إن المعتقد الشعبي هو الإيمان بوجود قوة عليا أو قوة فوق طبيعة لها القدرة على جلب الخير ودفع الأذى أو جلب الشر، و على الـــرغم من أن كل المعتقدات الشعبية الموجودة تضرب بجذورها البعيدة في أعماق التاريخ البشري القديم و قد إهتم بها العديد من العلماء الأنثروبولوجيين و حاولوا دراســـة القضايا المتعلقة بالمعتقدات حسب الشعوب و تحليلهـــا و بينـــوا كـــذلك أســـباب ظهورها و وضحوا وظائفها داخل المجتمع على مر العصور مثل :

Evanz Pritchard, marcel Mauss, Malinowski و غيـــرهم ، إلا أنهـــا مازالت تمارس في عصرنا الحاضر وفي مختلفة المجالات الحياة بدرجات متفاوتة من الوضوح و الغموض فهي تنتحل خاصية كونها لا تندثر و إنما تكيف نفســـها في نشأتها و تطورها ضمن ممارسات متنوعة داخل البيئـــة الاجتماعيـــة التـــي تنتمي إليها.

فلا يوجد شعب من الشعوب يخلو تراثه الثقافي من أساطير و خرافـــات ســـكنت أعماق حياته المعيشية اليومية , كما لا ينكر أحـــد الـــدور المـــؤثر الـــذي تلعبـــه المعتقدات في حياتنا الإجتماعية, فخلف كل مظهر من مظاهر السلوك الإنساني أو عادة إجتماعية أسطورة أو معتقد معين , غير أن ما يمكن تأكيده كما ذكر الباحث محمد الجوهري هو " صعوبة دراسة هذه المعتقدات الشعبية , لأنها خبيئـــة فـــي صدور الناس , و لأنها لا تلقن من الآخرين , وإنما تختمر في صدور أصحابها , و تتشكل في صورة مبالغ فيها أو مخففة, و يلعب فيها الخيال دوره ليطبعها طابعا خاصا, و هي في تمكنها داخل أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفيين أو البدو أو الحضر، عند غير المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبـــة

عالية من العلم و الثقافة ، فهي موجودة و لكن بدرجات متفاوتة في كافة الطبقـــات و كافة المجتمعات و على كل مستويات ".[1]

* و من بين المشاكل و المعتقدات الشعبية التي تجعل أفراد المدينة يلجئون للزوايا و المرابطين و الأولياء الصلحين كمرجع هام في حياتهم نجد :

أ – **السحـــــــــــــر:**

يعرف **مالينوفسكي** السحر بأنه محاولة الإنسان لضبط الواقع الطبيعـــي مباشـــرة الإشباع إحتياجاته عن طريق معرفة تقليدية خاصة[2] ، و يعرف **ابن خلدون** السحر بأنه " علوم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عـــالم العناصر: إما بغير معين ، أو بمعين من الأمور السماوية والأول هـــو الســـحر ، والثاني هو الطلسمات..".[3]

* و يمارس السحر لتحقيق غايات و أهداف إنسانية اجتماعية و غايات إقتصادية, و تتمثل الممارسات السحرية ذات الأغراض البشرية و الإنسانية فيما يأتي :

1 – السحر الخاص بالنجاح في عمل معين أو الحصول علـــى عمـــل معـــين أو وظيفة معينة.

2– علاج الإنسان من الأمراض : هنالك إعتقاد لدى الأفراد في بعض المجتمعات و منها مجتمعات البدوية أن كل ما يصيب الإنسان من أذى جسمي أو بيولوجي أو غيره إنما هو بفعل قوى خفية يجهل الإنسان ماهيتها و طبيعتها, و أحيانـــا تكـــون هذه القوى شياطين أو مردة, أو من جان أو أحيانا أخرى تكون أرواحا شـــريرة، ولذلك إذا أصيب الإنسان بضرر جسماني , فإنه يتجه إلى ممارســـة الســـحر, لأن الإعتقاد الشعبي السائد لدى هذه الجماعات أن صنوف الأذى و الضرر التي تلحق

---

[1] - الجوهري محمد : الدراسة العلمية للعادات و التقاليد الشعبية ، مكتبة القاهرة الحديثة ،1970 ، ص 43 .

[2] - المجتمع الريفي و الحضري و البدوي: مرجع سابق ،ص 51 عن : Malinowski p 22

[3] - ابن خلدون : المقدمة, مرجع سابق ،ص 494 .

بالإنسان هو بسبب قصوره في إستخدام نوع من الســـحر أو الرقيـــة و التعاويـــذ للتخلص من أذى الأرواح الشريرة .

3 – العاقر ومسألة الحمل : عندما تشعر المرأة المتزوجة أن الحمل عنـــدها قـــد تأخر فإنها تتجه إلى ممارسة السحر لاعتقادها بأن العمل السحري قد يكون قـــادرا على حل مشكلتها في الحمل.

ب – العيـــن الصائبة : يعتقد معظم الناس الريفيون أو المـــدنيون بـــأن هنـــاك أشخاص يمتلكون العين الصابئة أو العين الشريرة و هي تصيب بالأذى ما تشـــاء بنظرتها، و لمعالجة هذا المشكل نجد أنه هناك كيفيات متوارثة لدى العائلات مثل:

1– حرق البخور: يستخدم هذا الأسلوب بنسبة كبيرة في المناطق الريفية و كذلك في المناطق الحضرية كون المكونات موجودة خاصة و أنه سارت تتوفر محـــلات لبيع الأعشاب .

2– استخدام الشّب و الجمر : إذا مرض أحد من الناس أو أن عينا أصابته و أعتقد بأنها عين صائبة من الناس, فإنهم يضعون شبّة(الشبّ) على جمر فوق رأســـه و يتمتمون أي يقولون بعض الأقوال أو الكلام مثل " عين الحسود فيها عود , عـــين الجار فيها مسمار, و عين الجارة فيها قهارة ,و عين الشاب فيها لرياب , و عـــين البنت فيها لحجر, برا يا شر على فلان بن فلانة , و روح لكل مـــبغض و حســـاد عينه فارغة "[1] وهم يعتقدون بأن فراغ العين يعني عدم امتلائها بالإيمان و مخافة الله ،فقول "عين الحسود لا تسود" تجعلهم يخافونها.

3 – و يمكن كذلك أن تستخدم أنواع من السحر و الإستعانة بالحجب كمحـــاولات لعلاج الإصابة بالعين الشريرة أو الصائبة أو إبعادها في إطار حمل الحجب مـــع الناس للحماية منها .

[1] - قول إحدى العجائز اللواتي يحضرن إلى الزاوية .

ج – الطب الشعبي: يمثل إستعمال الأعشاب و اللجوء للمختصين في هذا المجال على مدى قوة تأثير هذا العنصر في ثقافة مستعمليه رغم التطور العلمـــي الـــذي نعيشه في مجال الطب لكننا مازلنا نرى أناس يلجئون في الوهلـــة الأولـــى عنـــد المرض إلى شيوخ الزوايا أو الطلبة (طالب) أو إمام مســـجد للرقيـــة أو كتابـــة الحجب التي تتضمن مجموعة من الأدعية تستعمل لهذا الغرض مثل " اللهم يـــا رب تحفظ هذا الإنسان من عين الناظر و من الأذى " و غيرها.

3-3 – العادات الاجتماعية في المدينة: عندما تصبح ممارسات الأفراد مســـتمرة تتميز بخاصية التكرار فهي بذلك تدعو إلى الإستمرارية و بالتالي تصبح عـــادة و إلى جانب المعتقدات هناك عادات إجتماعية تدعمها فهي قوة معيارية و ظـــاهرة تتطلب الإمتثال الإجتماعي في عدة أمور، و أحيانا الطاعة الصادقة كونها تقـــف وراء كل حاجة إنسانية ، فالعادات و التقاليد ضرورية لتنظيم الحيـــاة الاجتماعيـــة لأننا طالما وجدناها تصوغ عدة سلوكيات وكذلك تقوم بوظيفة الإرشاد و التوجيـــه في عدة مواقف لذا نجد أنفسنا أحيانا نمارسها بدون وعـــي و هـــي أيضـــا لهـــا خصائص و سمات من بينها[1]:

1-أنها آلية: و يعني ذلك أن الفرد يمارس العادة الاجتماعية التي اكتســـبها فـــي طفولته بشكل عفوي و تلقائي, لأن الانحراف عن هذه العادة يقابل بمقاومة شـــديدة من أفراد المجتمع.

2- أنها قوة معيارية : تتطلب الامتثال و الطاعة و كما ذكر راد كليـــف بـــراون **Radcliffe – Brown** و هذا يعني أنها تمارس تحت طائلة الإلتزامات الأخلاقية التي يمكن أن تعد كقوانين للسلوك بحيث يثير عدم مراعاتها ألوانـــا مختلفـــة مـــن

[1] - حسن خولي ، مرجع سابق ، 136 -137 ، بتصرف .

الردع أو العقاب الاجتماعي , الذي يتخذ عدة مظاهر كالسخرية و التهكم و النقـــد اللاذع أو تتخذ شكل جزاءات دينية صارمة .

3- أنها نسبية : بمعنى أنها ترتبط بظروف المجتمع الذي تعيش فيه بالزمن أيضا أي بمناسبات زمنية معينة مثل العادات المرتبطة تعاقب فصول الســـنة, أو هـــي مرتبطة بمواقف و أحداث معينة في الحياة الفرد و المجتمع كأعيـــاد المـــيلاد، و تتباين العادات حسب العمر و النوع و المهنة و الدين ،كما تشمل حيـــاة الإنســـان نفسه البيولوجية و الاجتماعية على السواء .

4- إنها متوارثة : فهي مرتكزة على تراث يدعمها و يغذيها لتتوارث حيـــث أن السلوك يتحول إلى عادة عندما يتكرر و يتثبت لعدة أجيال .

5- **العادة الإجتماعية :** إنها متغيرة و متطورة بالرغم من أنها تستقر أو تســـتمر لفترات طويلة من الزمن .

- و إذا نظرنا إلى العادات الإجتماعية التي تسود داخل مجتمعاتنا فنجد أنها لها قيم روحية, فأفراد هذه المجتمعات متدينون بدرجة كبيرة حيث إنهم يربطون جميـــع العلاقات و التفاعلات الإجتماعية التي تحدث في حياتهم بالمعتقـــدات الدينيـــة و يربطون جميع الظواهر الإجتماعية إلى حد كبير بالعرف و التقاليد.

فنستخلص أنه في حياتنا اليومية نلاحظ أن الأفراد يلجئون إلى ممارسات سلوكية تقوم على معتقدات شعبية و عادات و تقاليد و أعراف متنوعة ستبقى سمة أساسية لسكان المجتمع العربي عامة و المجتمع الجزائري خاصة بغض النظر أن هذه المجتمعات كانت مجتمعات ريفية أو شبه حضرية أو حضرية و السبب في ذلك يرجع إلى أن اتجاه الأفراد نحو ممارسة تصرفات و أنماط سلوكية تقوم على معتقدات شعبية و عادات معينة له صلة بالمشكلات التي لا يستطيع الإنسان حلها بطرق و الأساليب العلمية و منطقية، فكلما كانت هنالك مشكلات تواجه الفرد سواء أكان حضريا أم ريفيا و لم يستطع حلها أو التغلب عليها

باستخدام العقل و المنطق و أساليب المناهج العلمية, فانه سوف يتجه إلى ممارسة السحر أو زيارة الأولياء و نحو ذلك و سنوضح ذلك في الفصل الموالي .

فعلى سبيل المثال لو كان هناك شخص ما ذو مستوى علمي عالي , وقد أصـــيب هذا الإنسان بمرض خطير كمرض السرطان مثلا , و لجأ إلـــى أمهـــر الأطبـــاء لمعالجته من هذا المرض و لم يفلحوا في شفائه, و قد أستعلم من أحد النـــاس أن إمرأة فاضلة(تحمل كرامة ما) أو شيخا وقورا و صادقا يمكن أن يداويه بأســـاليب و طرق غير علمية , و لو كانت تلك المرأة أو هذا الشيخ يسكنان فـــي منـــاطق نائية و منعزلة ،فسوف يجرب حظه إلا و تجد المريض يلجأ إلى هذه الأماكن و يطلـــب المســـاعدة للعـــلاج حتـــى و إن كـــان متأكـــد أنـــه لا يشـــفى . هنا إذن يكمن سر قوة تأثير المعتقدات بواسطة هؤلاء الوسطاء و تكرارها يمنحها صفة الإستمرارية من جيل إلى جيل .

المبحث الثالث : المدينة و الممارسات الثقافية بالجزائر

1- علاقة زاوية سيدي الجازولي بالمدن المجاورة :

إن العلاقة بين القرية و المدينة علاقة تكاملية تعود إلى تكامـــل المجتمـــع الكبير الذي لا يقبل في النهاية إنفصالا، و إذا كان قد أصبح للمدينـــة و المجتمـــع الحضري أهمية فائقة في كثير من مجتمعات العالم لتحضرها, فان هذا لا ينبغـــي أن يبعدنا عن الحقيقة الأولية و هي أن المدينة ما هي إلا ريـــف محتضـــر , فقـــد نبعت المدينة من قلب الريف , و نمت و ازدهرت على حسابه لذا هي في تواصل مستمر معه من خلال قنوات عديدة كالزوايا و القباب و الأوليـــاء الصـــالحين ، و سنوضح هذه الفكرة من خلال زاوية سيدي الجازولي الموجـــودة ببلديـــة ســـيدي ورياش التابعة لدائرة ولهاصة بولاية عين تموشنت و التـــي كانـــت مقـــر بحثنـــا متواجدة بمنطقة ريفية محضة هي في إتصال دائم مع المدن المجـــاورة و حتـــى البعيدة من خلال الزوار و اللاجئين إليها خاصة في أيام العطل الأسبوعية .

أ- أشكال العلاقات :

جدول يمثل نوع العلاقة الموجودة بين الزاوية و المدن المجاورة :

الجنس		علاقة بين الزوايا	علاقة شيوخ و أعيان	انتماءات الصوفية	صلة القرابة و المصاهرة	القضاء العرفي	تدخلها في مشاريع المنطقة	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	8	9	3	9	6	19	7	61
	%	13.1%	14.8%	4.9%	14.8%	9.8%	31.1%	11.5%	100.0%
أنثى	التكرار	9	11	3	11	11	8	15	68
	%	13.2%	16.2%	4.4%	16.2%	16.2%	11.8%	22.1%	100.0%
المجموع	التكرار	17	20	6	20	17	27	22	129
	%	13.2%	15.5%	4.7%	15.5%	13.2%	20.9%	17.1%	100.0%

سوف نتطرق في هذا العنوان إلى تحديد العلاقات التي تنشأ بـــين زاويـــة سيدي الجازولي و المدن المجاورة خاصة التي يأتي منها الزوار بنسبة كبيـــرة و من بين أرقام لوحات السيارات التي تشير إلى أصلها و التي تحصلنا عليها خلال ترددنا على الزاوية عن طريق تقنية الملاحظة نجد كـــل مـــن ولايـــة : تلمســـان ،وهران ،سيدي بلعباس ،مستغانم ، سعيدة ،المدية و بالطبع لا ننسى عين تموشنت التي تنتمي إليها .

فينتج عن هذا الحراك من المدن إلى الزاوية نوع من العلاقة الجدلية فهـــي تؤثر و تتأثر وباعتماد على الجدول المبين نوع العلاقة و الذي لخص لنا أشـــكالها المهمة التي تنسج بين فضاء يمثل المؤسسة الدينية يقع في منطقة ريفية و فضـــاء يمثل المدينة و حياتـــــــــــها الحضرية فالزوايا بصـــفتها ظـــاهرة دينيـــة و اجتماعية إنها دينية كون مصدرها القرآن و السنة و ظاهرة اجتماعية لأن المجتمع إرتبط بها سواء الريفي أو الحضري و يتجلى هذا الرابط الإجتماعي الذي يحدث من خلالها في الممارسة سواء على المستوى الفردي أو الجمعي حيث أن الزوايا أو الطرقية كما يقال تحتل أهمية كبرى في حياتنا الفكرية المعاصرة و هـــي مـــن القضايا الشائكة و المعقدة في تاريخنا الثقافي و الـــديني و مـــن العلاقـــات التـــي توضحت لنا نجد تلك المتمثلة في كونها علاقة الشيوخ و الأعيان لكلا الفضائين أو العلاقة التي تنتج من الإتصالات التي تحدث بين شيوخ الزوايا لمعالجة المســـائل الدينية أو الإجتماعية و في فترة المناسبات ، كما أن فضـــاء الزاويـــة المتواجـــد بالريف يعتبر ملاذا للعائلات في العطل الأسبوعية خاصة التي تنتمي لعائلة شـــيخ الزاوية و غيرها.

ب- أهمية زاوية سيدي الجازولي داخل و خارج الولاية:

1- داخل الولاية :

جدول يبين أهمية زاوية سيدي الجازولي على مستوى ولاية عين تموشنت و علاقته بالجنس					
الجنس		نعم	لا	لا أعرف	المجموع
ذكر	التكرار	63	24	13	100
	%	63.0%	24.0%	13.0%	100.0%
أنثى	التكرار	68	16	16	100
	%	68.0%	16.0%	16.0%	100.0%
المجموع	التكرار	131	40	29	200
	%	65.5%	20.0%	14.5%	100.0%

تظهر أهمية زاوية سيدي الجازولي بولاية عين تموشنت من خلال النسب المئوية التي بينها لنا الجدول و التي كلها توافق على أن لها أهمية كبيرة خاصة لدى الفئة النسوية التي تقدر بنسبة 68.0% من المبحوثات و هي مرتفعة عن نسبة الذكور التي تقدر بـ : 63.0% الذين يعترفون بأهميتها داخل الولاية و ذلك من خلال أدوارها و أنشطتها و خدماتها التي تقدمها للولاية ، و سنبين أشكال الوظائف التي تقوم بها من خلال الجدول التالي :

جدول يبن مظاهر أهمية الزاوية داخل الولاية		
الإجابات	التكرار	النسبة %
تمثيل الدولة	22	11%
السياحة	21	10.5%
مركز ديني ثقافي	28	14%
تكوين الأئمة	5	2.5%
الدور الإصلاحي	33	16.5%
إحياء المناسبات	7	3.5%
أخرى	15	7.5%
المجموع	131	65.5%

فقد تأكدنا سابقا أنه للزاوية أهمية كبيرة في الولاية للسمعة و الصيت الـــذي تملكه عند أفراد مجتمع الولاية و الآن سنتطرق لأبز مظـــاهر التـــي تبـــين هـــذه الأهمية و من بينها بالترتيب حسب نسب الجدول نجد أن الدور الإصلاحي الـــذي تقوم به بنسبة 16.5% كفض النزاعات و إصلاح ذات البين و غيرها من المهام التي يقوم بها الشيخ أضفت على الزاوية أهمية ، كما أنها مركز دينـــي و ثقـــافي بنسبة 14% حيث أنها تقوم بإحياء الحفلات و عدة أنشطة متنوعة و تكوين الأئمة كما أنها مركز لتاريخ التراث و الحفاظ على العادات و التقاليـــد ، و هنـــاك مـــن يعتبرها ممثلة للدولة من الناحية السياسية بنسبة 11% خاصة من حيث إبداء رأيها في القضايا الوطنية و كذلك موقفها أثناء الإرهـــاب و غيرهـــا مـــن المواقـــف ، ليعتبرها البعض فضاء للسياحة بنسبة 10.5% فكونها مركز ســـياحي و مكـــان لجلب السياح تساهم في تنمية المحلية للولاية فهي بذلك تعرف بالولاية ، و كذلك قيامها بإحياء المناسبات الدينية و الوطنية منحتها أهمية كبرى .

2- خارج الولاية :

جدول يبين أهمية زاوية سيدي الجازولي خارج ولاية عين تموشنت و علاقته بالجنس

الجنس		نعم	لا	لا أعرف	المجموع
ذكر	التكرار	52	33	15	100
	%	52.0%	33.0%	15.0%	100.0%
أنثى	التكرار	62	23	15	100
	%	62.0%	23.0%	15.0%	100.0%
المجموع	التكرار	114	56	30	200
	%	57.0%	28.0%	15.0%	100.0%

تظهر أهمية زاوية سيدي الجازولي خارج ولاية عين تموشنت المتواجدة بها من خلال النسب المئوية التي يبينها لنا الجدول و التي كلها توافق على أن لها أهمية كبيرة خاصة لدى الفئة النسوية التي تقدر بنسبة 62.0% من المبحوثات و هي مرتفعة عن نسبة الذكور التي تقدر بـــ : 52.0% من الذين يعترفون بأهميتها خارج الولاية و ذلك من خلال أنشطتها و مواقفها تجاه ولايات أخرى كم نلاحـــظ أنه توجد فئة بنسبة 15.0% لكلا الجنسين التي تصرح بجهلها لأهميتها ، و سنبين من خلال الجدول التالي أشكال و مظاهر أهمية الزاوية خارج الولاية .

جدول يبن مظاهر أهمية الزاوية خارج الولاية

الإجابات	التكرار	النسبة %
تمثيل الدولة	8	4%
تمثيل الولاية	23	11.5%
السياحة	27	13.5%
حضور الملتقيات	13	6.5%
علاقتها بالمسئولين	5	2.5%
الإصلاح بالمنطقة	28	14%
أخرى	10	5%
المجموع	114	57%
الغير المعبر عنها	86	43%
المجموع	200	100%

قد ذكرنا سابقا أنه للزاوية سيدي الجازولي أهمية كبيرة داخل الولاية إلى جانب الأهمية خارجها فهي تملك سمعة و صيت في العديد من الولايات خاصـــة الغرب الجزائري و بالضبط المناطق التي بها أتباعه و كذلك الأماكن المتواجـــدة بها أبنائه و بناته عن طريق الزواج و الآن سنتطرق لأبز مظاهر التي تبين هـــذه الأهمية و من أبرزها بالترتيب حسب نسب الجدول نجد أن الـــدور الإصـــلاحي بالمنطقة الذي تقوم به بنسبة 14% كفض النزاعـــات و إصـــلاح ذات البـــين و غيرها من المهام التي يقوم بها الشيخ أضفت على الزاويـــة أهميـــة ، ليعتبرهـــا

البعض فضاء للسياحة بنسبة 13.5% فكونها مركز ســياحي و مكـــان لجلـــب السياح تساهم في تنمية المحلية للولاية فهي بذلك تعرف بها و تجلب لها سياح من مختلف الولايات ، و هناك من يعتبرها ممثلة للولاية في العديد مـــن الملتقيـــات و المشاركات السياسية بنسبة 11.5% خاصة من حيث إبداء رأيها في القضايا التـــي تخص السلم و مواقفها خلال الأزمات لتحث من خلالها على التضامن ، و كـــذلك قيامها بإحياء المناسبات الدينية و الوطنية و المشاركة في كل ما يهم و يكون فـــي خدمة المجتمع جعلها تكتسي بطابع أهميتها داخل و خارج الولاية .

ج – دور زاوية سيدي الجازولي في المدينة و المجتمع:

1– دور الزاوية في المدينـــــــــة :

جدول يبين دور الزاوية في المدينة و علاقته بمكان الإقامة

مكان الإقامة		نعم	لا	لا أعرف	المجموع
داخل المدينة	التكرار	84	41	19	144
	%	58.3%	28.5%	13.2%	100.0%
خارج المدينة	التكرار	29	16	11	56
	%	51.8%	28.6%	19.6%	100.0%
المجموع	التكرار	113	57	30	200
	%	56.5%	28.5%	15.0%	100.0%

نحن نعلم أن الزاوية قد قامت بأدوار مختلفة سواء في الريف أو المدن مع أنهـــا ومنذ نشأتها قد خدمت الناس بالعديد من المجالات ،خاصة من أجل راحة الفـــرد داخل مجتمعه الحضري فالجدول يبين نسبة اعتراف الفرد بأن للزاوية دور فـــي مدينته خاصة عند القاطنين بها و التي تقدر بـــ : 58.3% و التأكيد علـــى هـــذا الدور يأتي كذلك من عند المبحوثين الذين يسكنون خارج المدينة بنســـبة 51.8%

و عن المنتميين من المدن يرى محمد أركون أن للحركة الصوفية طابع إجتماعي و نلاحظ أنه يربط التصوف بالفئات الإجتماعية المهمشة في المجتمع بمعنـــي أن المريدين وأتباع المتصوفة هم من الفئات الإجتماعية الفقيرة في المجتمع لتحقيـــق أغراض نفعية من وراء الإنخراط في مؤسسات التصوف بحيث يقـــول : " هنـــا بالطبع جانب إجتماعي و سياسي للحركة الصوفية و لا ينبغي إهمالـــه فالزبـــائن الأقرب للصوفيين هم أولائك الناس المرتبطون بالأوساط الحضرية المســـحوقة و بالفئات الإجتماعية المهمشة ، وبكل أولائك الذين لا يســـتطيعون التوصـــل إلـــى إمتيازات الطبقة الميسورة كالتجار و ملاك الأراضـــي و المثقفـــين المـــرتبطين بممارسة السلطة أو المحميين من قبل الأمراء و نصيري الأدباء" [1] فالزاوية كانت تمارس و لا تزال إنفتاحا على كل الفئات و الشرائح الإجتماعية لـــيس هنـــاك أي منع أو قيد لا على السن أو الجنس أو الدين أو من داخل المـــدن أو خارجهـــا و حتى المهمشين منهم و من خلالها تم نسج عدة روابط إجتماعية وتـــم الإعتـــراف الإجتماعي بالآخرين .

*وسنتطرق مستعينين بالجدول الموالي إلى أهم الأدوار التي تقوم بها الزاوية لخدمة المدينة من خلال خدمة أفرادها .

[1] - مجلة الأثر : د. قراري عيسى :التصوف و الطرقية و أثرها على المجتمع الجزائري ،مديرية الثقافة لولاية بشار ،العدد الثالث ، أفريل 2009،ص 65.

جدول يبين الأدوار المختلفة للزاوية في المدينة و علاقته بالجنس								
الجنس		الدور الديني	الدور الاجتماعي	الدور القضائي	الدور الثقافي	الدور السياسي	أدوار المتعدد	المجموع
ذكر	التكرار	17	17	8	6	6		54
	%	31.5%	31.5%	14.8%	11.1%	11.1%		100.0%
أنثى	التكرار	11	15	5	7	4	20	62
	%	17.7%	24.2%	8.1%	11.3%	6.5%	32.3%	100.0%
المجموع	التكرار	28	32	13	13	10	20	116
	%	24.1%	27.6%	11.2%	11.2%	8.6%	17.2%	100.0%

يرى الكثير من الباحثين أن الزاوية في المدينة قامت بـــأدوار أساســـية مثلها مثل الريف فمن الجانب الديني بنسبة31.5% للذكور مثل إقامة حلقات دينية خاصة داخل المدينة مشاركتها كذلك في الحملات بالموعظة والإرشاد و غيرهـــا أما عن الدور الإجتماعي و نفسه الدور الذي ساهمت بـــه فـــي المدينـــة بنســـب متقاربة أقر بها الجنسين 31.5% للذكور و 24.2% للإناث فقد ساهمت في فض النزاع و الصراع و التحكيم بين المتنازعين في شتى الميادين و بين أشـــخاص و مسؤولين ذوي نفود فهي بذلك ساهمت بتوفير الأمن و التقليل من الحقـــرة ، كمـــا أنها ساهمت بأدوار في المجال القضائي بنسبة 14.8% لدى الذكور متمثلة بحـــل النزاعات و إصلاح ذات البين و كذلك حل المشاكل العائلية فـــي الإرث بطـــرق سلمية و كذلك الدور الثقافي بنسبة 11.3% لكلا الطرفين و هنـــا كانـــت إحيـــاء المناسبات الدينية بالمشاركة مع المؤسسات الثقافية للمدينة فعالية و أثر كبير كما أن للدور السياسي حضور بنسبة 11.1% للذكور و عند الإنـــاث هـــو مـــنخفض بنسبة 6.5% فالتدخل لدى المؤسسات المحلية و الإتصال بمسئوليها مثـــل رئـــيس

البلدية و رئيس الدائرة و كذلك والي الولاية لرفع الظلم و الوساطة معهم من أجل مواضيع مختلفة للأفراد كما أنها كذلك ساهمت بالتنظيم مـــن خـــلال الحمـــلات التضامنية أثناء الحاجة إليها ،و العديد من الأدوار الأخرى المتنوعـــة مـــن أجـــل خدمة الفرد الذي يعيش في الوسط الحضري .

2-دور الزاويـــــــــة في المجتمـــــــع :

جدول يبين دور الزاوية في المجتمع و علاقته بالجنس

الجنس		نعم	لا	لا أعرف	المجموع
ذكر	التكرار	68	22	10	100
	%	68.0%	22.0%	10.0%	100.0%
أنثى	التكرار	65	28	7	100
	%	65.0%	28.0%	7.0%	100.0%
المجموع	التكرار	133	50	17	200
	%	66.5%	25.0%	8.5%	100.0%

قد كانت الزاوية في فترات زمنية سابقة تتوقف عليها الحياة في مجتمـــع القريـــة سواء السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية و كانت رمزا إكتسبت قوتها من قـــوة الشيخ ، و كان هذا الأخير يقوم بدور إجتماعي حيث كان يســـهر علـــى تحقيـــق الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع الجزائري الذي فتكت به الأزمات بحيث كـــان يشارك في حلها ســـواء الإقتصـــادية أو الإجتماعيـــة و تعـــويض المتضـــررين بتعويضات مادية و روحية لكي يحقق التوازن داخل مجتمع ، ونجحت الطرقية في التأثير على المجتمع و حافظت على سلوكه المحدد في إطار المبـــادئ الشـــرعية الإسلامية و هي حاليا لازالت على قوامها لتضيف لنفسها مسؤولية الإهتمام بالمدن

ليكتمل المجتمع ككل و النسب الموجودة في الجدول تبرهن على هـــذا الكـــلام إذ يوافق المبحوثين و يؤكدون على أن للزاوية دور في المجتمع كما لها أهمية فيـــه فكانت النسب متقاربة سواء للذكور أو الإناث و قد قدرت بـــ : 68.0% هي دليل على ملاحظتهم لما تقوم به الزوايا داخل مجتمعهم ، فمع مرور الـــزمن ترســـخت قناعة لدى فئات المجتمع أن الصوفية و شيوخ الزوايا هم أقدر الناس علـــى حـــل مشاكل المجتمع و تقديم المساعدات للفئات المحرومة حيث يقول جيلالي صـــاري في هذا الصدد " تدريجيا و بانتظام إحتلت الطرقية مكانة بارزة في الحياة اليومية ، بل أصبحت في أماكن عدة وفي مناطق كثيرة المرجع الأول و الأخير للجماهير"[1] و سنتعرض من خلال الجدول اللاحق أهم الأدوار التي قامـــت بهـــا الزوايـــا و شيوخها داخل المجتمع.

جدول يبين الأدوار المختلفة للزاوية في المجتمع و علاقته بالجنس

الجنس		الدور الاجتماعي	الدور الديني	الدور الثقافي	الدور القضائي	الدور السياسي و الأمني	الدور التاريخي و الثوري	دور متعدد	المجموع
ذكر	التكرار	15	10	8	7	7	12	9	68
	%	22.1%	14.7%	11.8%	10.3%	10.3%	17.6%	13.2%	100.0%
أنثى	التكرار	8	14	14	8	10	3	8	65
	%	12.3%	21.5%	21.5%	12.3%	15.4%	4.6%	12.3%	100.0%
المجموع	التكرار	23	24	22	15	17	15	17	133
	%	17.3%	18.0%	16.5%	11.3%	12.8%	11.3%	12.8%	100.0%

[1] - مجلة الأثر :مرجع السابق ،ص 65.

لقد إستنتجنا هذا الدور من خلال السؤال الذي طرحنا في الإستمارة و الذي مفداه: ما هي أهم الأدوار التي تقوم بها الزاوية داخل المجتمع ؟ فبعدما تأكدنا من أنه هناك حقا دور للزاوية داخل المجتمع من خلال النسب التـــي بينهـــا الجـــدول فسنتطرق الآن لعرض أهمها هذه الأدوار فقد لعبت الزوايا أدوار طلائعية تاريخيا كما ذكرنا في الفصل الأول سواء على المستوى الديني أو التعليمي أو الإجتماعي أو الإقتصادي أو السياسي و التي هي نفسها مستمرة حتى الآن رغـــم أن العديـــد منها تشترك فيه مع مؤسسات أخرى جاءت مواكبة للتطور وتظهر من خلال هذا الجدول ومن هذه الأدوار أن المنحى السلوكي المعروف بمهامها قد غلب عليـــه الإنشغال الإجتماعي و العمراني لدى الذكور بنسبة 22.1% من خلال التضـــامن في شهر رمضان الإصلاح و الإرشـــاد ، الـــدعوة إلـــى التماســـك و الـــتلاحم الإجتماعي ، أما بالنسبة للإناث فالدور الديني و الثقافي عندها أسبق بنفس النســـبة لكلا الدورين 21.5% قاصدة بذلك في الدور الديني نشر المبادئ الإســـلامية و قيم التسامح و التعاون ومحاربة الفساد من خلال الخطب الدينية ، تحفيظ القرآن و تكوين الأئمة أما عن الدور الثقافي فنجد أنها إحياء المناسبات الدينية و الوطنيـــة ، تثقيف الشباب بالحفاظ على العادات و التقاليد ، إقامة ملتقيات و حلقـــات ثقافيـــة لتوعية الفر من أجل المحافظة على محيطه و المشاركة فـــي تنميـــة مجتمعـــه و المساهمة بنشر الثقافة الشفوية عن طريق مجالس الذكر فقد رأى جاك بارك فـــي الدور الإجتماعي و القانوني لشيوخ و فقهاء هذه المؤسسة " أنـــه دور يتـــأرجح حول المشاعر و الأخلاق للتحقيق و التحسيس الإجتماعي عن طريق الدعاية مـــن الناحية اللغوية والتصرفات التي تحتوي الآداب و الأخلاق الإجتماعية و العـــادات و غيرها ...." [1].

[1] -Jacques Berque: Ulémas fondateur insurgés du Maghreb,sindbad,paris 1982,p41.

كما للدور التاريخي و الثوري وجود عند الذكور بنســبة 17.6%فقــد ســاهمت المؤسسة الطرقية عبر التاريخ بالمشاركة في الثورات الشعبية ثم المساعدات التي قدمتها للحركة الوطنية ، كما أنه للدور السياسي و الأمني دخل كذلك إلى جانــب القضائي فسوف نركز عليهما لاحقا في جدول عنوانه علاقة الزوايا بمؤسســات المجتمع .

2- ثقافـــــــة الزوايـــا لـــــدى سكان المـــــدن :

نظرا للخدمات التي قدمتها الزوايا للمجتمع الجزائري فقــد أصــبحت العديد من الفئات الإجتماعية خاصة المثقفة منها تبحث عــن هــذه المؤسســات و تحاول إكتشاف البعض منها حتى أصبح لدى بعض الأشخاص هوايــة التنقــل و التعرف على كل زاوية يسمع عنها كما قال لي أحد المبحوثين أثناء إجراء مقابلــة معه ،فنظرا لعجز العديد من المؤسسات على التكفل بحل مشاكل المجتمع المتنوعة فنلاحظ أنه الكثير من يفضل اللجوء للزوايا لطلب الإعانة و النصائح.

أ- الزوايا المعروفة داخل ولاية عين تموشنت :

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزوايا الموجودة بالولاية

الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	92	8	100
	%	92.0%	8.0%	100.0%
أنثى	التكرار	73	27	100
	%	73.0%	27.0%	100.0%
المجموع	التكرار	165	35	200
	%	82.5%	17.5%	100.0%

تمثلت نسبة الزوايا المعروفة داخل الولاية بالنسبة للمبحوثين بـــــ : 82.5% [1] و هي نسبة مهمة و تدل على الثقافة الواسعة للمبحوثين في هذا المجال فقد وجـــدت عند الذكور بنسبة مرتفعة و قدرت بـــ : 92.0% و ربما هـــذا راجـــع للإهتمـــام الزائد بهذه المؤسسة كما ذكرنا سابقا و كذلك سهولة التنقـــل و البحـــث بالنســـبة للذكور عامل مهم في الإكتشاف و التجريب أما عن الإناث فقد قدرت نسبتهن بـــ: 73.0% و هي نسبة ليست متباينة كثيرا مع نسبة الذكور و هي دليل أيضا علـــى أن النساء أيضا تبحث على التعرف بهذه المؤسسات و ربما من أجل البحث عـــن حلول للمشاكل و العلاج و الجدول التالي يبين لنا أهم الزوايـــا المعروفـــة لـــدى المبحوثين و المتواجدة بالولاية .

هذا الجدول يبين لنا أهم الزوايا [2]المعروفة لدى المبحوثين والموجـــودة بالولايـــة حيث تحتل الصدارة زاوية الجازولي التي تقع بولهاصـــة بنســـبة 28.5% لتـــأتي بعدها في المركز الثاني زاوية سيدي يعقوب و هي أيضا تقـــع بولهاصـــة بنســـبة 12% فنلاحظ أن منطقة ولهاصة تحتوي علـــى ثـــلاث زوايـــا و اثنـــين مـــنهم معروفتين أكثر لدى المبحوثين من بين زوايا الولاية لتأتي بعـــدهم الأضـــرحة و القباب بنسبة 11%مثل قبة سيدي بوسيف ببني صاف و سيدي الصـــافي ،ســـيدي سعيد بعين تموشنت ، قبة سيدي المهدي و العديد من القباب،ثم زاوية أولاد سيدي بوعزة بنسبة 8 % الواقعة بالقرب من الولاية ثم الزاويـــة العيســـاوية الواقعـــة ببني صاف و هي ملحق لزاوية الجازولي بنسبة 8% و بنفس النسبة نجـــد أيضـــا زاوية سيدي أحمد بوحجر الواقعة بحمام بوحجر لتلتحق بهما كذلك و بنفس النسب كل من زاوية سيدي بودلال الواقعة بولهاصة أيضا و كذلك زاوية سيدي بوديـــة

[1] - أنظر الجدول الموجود بالملاحق بعنوان : نسب الزوايا المعروفة داخل الولاية لدى المبحوثين.

[2] - أنظر بالملاحق وثيقة تضم الزوايا الموجودة بالولاية .

الواقعة ببلدية واد الصباح بنسبة 3.5%.، كما توجد ملحقات لقناوة بزاوية ســـيدي بلال و لتوات بزاوية سيدي سعيد بولاية عين تموشنت.

جدول يبين الزوايا المعروفة لدى المبحوثين داخل ولاية عين تموشنت		
الإجابات	التكرار	النسبة %
زاوية سيدي الجازولي	57	%28.5
زاوية سيدي يعقوب	24	%12
زاوية سيدي بودلال	7	%3.5
الزاوية العيساوية"بني صاف	12	%6
زاوية أولاد سيدي بوعزة	16	%8
زاوية سيدي أحمد بوحجر	12	%6
زاوية سيدي بودية	7	%3.5
أضرحة +قباب	22	%11
متعدد	9	%4.5
المجموع	166	%83
الغير معبر عنها	34	%17
المجموع	200	%100

ب- الزوايا المعروفة لدى المبحوثين خارج الولاية :

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزوايا خارج الولاية و علاقته بالسن				
السن		نعم	لا	المجموع
30 – 18	التكرار	44	45	89
	%	49.4%	50.6%	100.0%
44 – 31	التكرار	31	25	56
	%	55.4%	44.6%	100.0%
59 – 45	التكرار	26	9	35
	%	74.3%	25.7%	100.0%
60 –	التكرار	15	5	20
	%	75.0%	25.0%	100.0%
المجموع	التكرار	116	84	200
	%	58.0%	42.0%	100.0%

كما تمثلت نسبة الزوايا المعروفة أيضا خارج الولاية بالنسبة للمبحـــوثين بـــــ : 58%[1] و هي نسبة مهمة و تدل على الثقافة الواسعة للمبحوثين في هذا المجال فقد وجدت عند الفئة ذات السن من 60- فما فوق بنسبة مرتفعـــة و قـــدرت بـــــ : 75.0% و ربما هذا راجع للإهتمام الزائد لهذه الفئة بهذه المؤسسة كما أنه العديـــد من الأفراد من هذه الفئة ترعرع داخلها و تعلم القرآن بها ، كما أن الفئة 45-59 تمثلت نسبة معرفتها للزوايا خارج الولاية بـــ : 74.3% و هي متقاربة مع الفئة السابقة كونهم ربما عاشوا نفس المراحل حيث كانت الزاوية في المجتمع هي كـــل شيء، أما عن فئة 31-44 قد بدأت تقل معرفة هذه الفئة للزوايا بنســـبة 55.4% و هذا راجع إما لتعرفهم على مؤسسات المواكبة للتحديث أو انعدام الوقـــت كمـــا ذكر أحد المبحوثين ، أما عن فئة 18-30 فإجابتها كانت متســـاوية بـــين معرفـــة الزوايا و عدمها لكن تبقى نسبة 49.4% مهمة لهذه الفئة خاصـــة و أن ســـهولة التنقل و البحث بالنسبة للذكور عامل مهم في الاكتشاف و التجريب أما عن الإناث فقد تلقى صعوبة في التنقل لهذه الأماكن خاصة إذا كانت بعيدة، إذن لعامل الســـن أيضا أهمية في تحديد نسب التعرف على الزوايا خارج الولاية التي سنتطرق لهـــا من خلال الجدول الموالي .

[1] - أنظر الجدول الموجود بالملاحق بعنوان : نسب الزوايا المعروفة لدى المبحوثين خارج الولاية .

جدول يبين الزوايا المعروفة لدى المبحوثين خارج ولاية عين تموشنت		
الإجابات	التكرار	النسبة %
زوايا تلمسان	21	%10.5
زوايا وهران	12	%6
زوايا مستغانم	13	%6.5
زوايا معسكر	9	%4.5
زوايا سيدي بلعباس	10	%5
زوايا الصحراء	28	%14
زوايا أخرى	19	%9.5
أضرحة + قباب	4	%2
المجموع	116	%58
الغير معبر عنها	84	%42
المجموع	200	%100

إن الجدول التالي يبين لنا أهم الزوايا المعروفة لدى المبحـــوثين خـــارج الولاية حيث تحتل الصدارة زوايا الصحراء بنسبة 14% كونها معروفة بكثرة مثل زاوية بالكبير بأدرار لتأتي بعدها في المركز الثاني زوايا مدينة تلمســـان بنســـبة 10.5% وربما هذا راجع لقرب الولايتين و منها الزاوية الممشـــاوية و الزاويـــة الهبرية و زاوية سيدي بن عمر بالرمشي و ندرومة و زاويـــة ســـيدي إبـــراهيم ببوغرارة المختصتين بمعالجة "عرق لاسان"، ثم زوايا ولاية مســـتغانم بنســـبة 6.5% و منها الزاوية العلوية و الزاوية العيساوية للمقدم بوعسرية ، كما هنـــاك زوايا ولاية وهران بنسبة 6% و منها الزاويـــة البلقايديـــة المعروفـــة ببرامجهـــا الرمضانية و الدروس المحمدية و الزاوية الطيبية، ثم ولاية سيدي بلعباس [1] بنسبة 5% فهي كذلك قريبة من الولاية، ثم زوايا ولاية معســـكر بنســـبة 4.5% مثـــل

1 – أنظر بالملاحق و ثيقة تضم الزوايا الموجودة بولاية سيدي بلعباس.

الزاوية القادرية، كما للأضرحة والقباب وجود في ثقافة الفرد مثل سيدي بومدين، سيدي الحلوي، سيدي الهواري، سيدي يحي بسبدو، سيدي محمد بن عودة بغليزان قبة لبيض سيد الشيخ، سيدي إبراهيم و سيدي لخضر بن خلوف بمســـتغانم، قبـــة الشيخ الهامل ببوسعادة، سيدي الخير بسطيف وغيرها من القباب و الأضرحة .

ج- ثقافة الفرد في التعرف على مدينته :

جدول يبين المعلومات التي يمتلكها الفرد حول مدينته

الجنس		معلومات تاريخية	معلومات ثقافية	معلومات اجتماعية	معلومات اقتصادية	معلومات متنوعة	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	15	8	5	8	9	6	51
	%	29.4%	15.7%	9.8%	15.7%	17.6%	11.8%	100.0%
أنثى	التكرار	14	6	3	12	7	8	50
	%	28.0%	12.0%	6.0%	24.0%	14.0%	16.0%	100.0%
المجموع	التكرار	29	14	8	20	16	14	101
	%	28.7%	13.9%	7.9%	19.8%	15.8%	13.9%	100.0%

كنا قد تعرفنا سابقا على ثقافة الفرد من الناحية المعرفية الكمية أي نسبة المعلومات التي يمتلكها حول الزوايا الموجودة بالولاية و خارجها و قد اكتشفنا أيضا أن هناك العديد من المهتمين بهذه المؤسسة سواء ذكور أو إناث، صغار كانوا أم كبار وشيوخ و كذلك القاطنين بالوسط الحضري و خارجه، و في الفصل الأول قد رأينا كذلك كيف أن نسبة تعرف المبحوثين زاوية الجازولي و أهم المعلومات التي يمتلكونها و الآن سنكتشف النسبة المعرفية التي يمتلكها الفرد حول مدينته لنقارنها مع ما سبق .

فالنسبة التي تحصلنا عليها من عند المبحوثين تقدر بـــ:50.5%[1] و هي نسبة منخفضة جدا بالمقارنة مع ما يمتلكونه من معلومات حول الزوايا و خاصة زاوية سيدي الجازولي أما عن اللذين إمتنعوا عن الإجابة و هي دليل على عدم معرفتهم شيء قدرت بـــ:49.5% [2]، و قد تباينت المعلومات حول المدينة عند الجنسين حيث احتلت المعلومات التاريخية عند الجنسين المرتبة الأولى من حيث المعرفة بنسبة 29.4% لدى الذكور و عند الإناث بنسبة 28.0% كما أنها نسب متقاربة و هي في أغلبها تدور حول تأسيس المدينة و رموز خاصة تحتوي عليها المدن مثل معلومات حول الفترات الإستعمارية أو أصل تسمية مدينتهم و كذلك معلومات جغرافية حول تحديد الموقع المساحة و التقسيم الإداري و غيرها، ثم ننتقل إلى المعلومات الإقتصادية لتكون نسبتها لدى الإناث 24.0% و لدى الذكور 15.7% وهي في أغلبها تتعرض للأنشطة الإقتصادية للولايات من الفلاحة الموانئ والمطارات والسياحة والأسواق الأسبوعية والمصانع، ثم المعلومات الثقافية بالنسبة للذكور15.7% و الإناث 12.0% حول الشواهد التاريخية من تذكارات و المواقع الأثرية و كذلك حول الزوايا الموجودة بمدنهم كما ذكرت المتاحف وحائق الحيوانات و تقاليد المدينة في الأعراس و المناسبات الدينية و حفلات الإختتان وغيرها، لننتقل بعدها إلى المعلومات الإجتماعية بنسب منخفضة هي الأخرى فهي لدى الذكور بـــ: 9.8% و لدى الإناث بـــ: 6.0% و قد تمثلت حول التضامن الإجتماعي خلال رمضان و الحملات التوعية الدينية منها و الصحية و المواقف المتخذة خلال الأزمات وغيرها من المعلومات التي يمتلكها الأفراد.

[1] - أنظر الجدول الموجود بالملاحق بعنوان : نسبة معلومات الفرد حول مدينته.
[2] - نفس المصدر .

3- الزوايا و مؤسسات المجتمع :

يؤكد علماء الأنثروبولوجيا على وجود خصوصيات في الجوانب الإجتماعية و الثقافية و الفكرية و الأخلاقية التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض، و إن ما يميز المجتمع الجزائري من خصوصيات تلك المتعلقة بالمؤسسات الدينية و على رأسها الزوايا و الطرق الدينية حيث كانت تعتبر المركز الذي تدور حوله كل النشاطات السياسية و الإجتماعية و الدينية على مدار قرون من الزمن و لازلت تناضل حتى في الوقت الحالي إلى جانب المؤسسات و الأنظمة المستحدثة و الضرورية للمجتمع الحضري المرافق للتطور الصناعي، فقد أكدت الزوايا في حضورها الفاعل حاليا في مختلف مجالات الحياة و نهضت بكثير من الأعباء الإجتماعية و الدينية و منها التعليم و التثقيف و نشر الأخلاق الفاضلة و توحيد كلمة المسلمين و نشر الإسلام و مواجهة الأخطار التي تصعب سير المجتمع بطرق سلمية و قد كتب و بحث عنها الكثير من العلماء سواء المختصين في الدين الإسلامي باعتبارها مؤسسة دينية أو التاريخ كونها كانت مركز العديد من الأحداث التاريخية الهامة أو علماء الأنتروبولوجيا حول نشأتها و أهدافها أو علماء الإجتماع لعلاقتها بالأفراد وبمؤسسات أخرى من المجتمع .

حيث يقول الدكتور قراري عيسى في مجلة الأثر في تعريف الطرقية : "هي شكل من أشكال التنظيم الديني السياسي الثقافي ، يغلب عليها طابع الغموض و السرية و تتصف في علاقاته مع السلطة بالاضطراب و التمرد في كثير من الأحيان و المساندة و المؤازرة أحيان أخرى" .

* و سنتطرق الآن إلى بعض المؤسسات التي لها علاقة بالزوايا مباشرة كانت أم لا فقط من أجل توضيح إستمرارية تعامل الزوايا مع المجتمع الحضري الحديث من خلال مؤسساته .

أ- **الزوايا و المجـــــال السياسي :**

لقد كانت للزوايا على مر السنين و منذ نشأتها تدخلات في العديد من المجالات خاصة السياسية منها فكانت تمثل هذه السلطة في عدة مواقف و تبدي رأيها في عدة قرارات تهم المجتمع و الفرد و لكن هذا من جهتها هي و ما يهمنا هنا هو ما إذا كان المبحوثين يؤيدون موقفها أو يعارضوه فالنسب الموجودة في الجدول[1] تدل على معارضة موقفها سواء بالنسبة للذكور 70.0% أو الإناث 61.0% ، و التأييد كان بنسب منخفضة فقدر بـــ: 39.0% لدى الإناث و بنسبة 30.0% للذكور ، و سوف نبين و نحلل هذه النسب من خلال الأسباب التي أدت الأفراد إلى التأييد و المعارضة مستعينين بالجدول الذي يبينها .

فتعود معارضة المبحوثين إلى الأسباب التالية : أولا بالتأكيد على أنه ليس مجالها عند الذكور و أنه لا يحق لها التدخل أو المشاركة بنسبة33.0% و عند الإناث بنسبة 20.0% كما أنها سوف تفقد قدسيتها إن تدخلت في الأمور السياسية كون الأشخاص الموجودين بها ليسوا أشخاص مثاليين بنسبة 16.0% لدى الذكور فهي تملك مكانة مقدسة في المجتمع و لا يمكن المساس بها حيث يأخذ المقدس عند روجي كايوا " بعدا روحيا إذ يبدو المقدس مقولة حساسة ينبني عليها السلوك الديني و تهبه طابعه المميز، و تفرض على المؤمنين إحتراما ، يقي اعتقاده كل روح نقدية فيعرض عن الخوض فيه و يضعه خارج العقل و ما بعده "[2]، كما أنه أيضا بتدخلها في هذا المجال هي تدنس مكانتها بنسبة 13.0% لدى الإناث فهو يفسد عملها و يقلل من شأنها و من نسبة محبيها فهي المعلم الديني و الثقافي للمجتمع و ليس السياسي ، كما أنه يتوجب عليها الحياد و هذا أفضل لها و هو

[1] – أنظر في الملاحق : جدول يبين رأي المبحوثين في مشاركة الزوايا في المجال السياسي.

[2]- Roger Caillois: l'homme et le sacré ; Gallimard , paris,1963, p 18

موقف اتفق عليه الجنسين بنسبة 7.0% كون أنه لا يجوز التستر بالدين على الخبايا السياسية ومن الأفضل فصل الدولة عن الدين.

أما عن المبحوثين اللذين يؤيدون قرارها على غرار المعارضين فكانت مرتفعة لدى النساء بنسبة 39.0% و منخفضة لكن قليلا بالنسبة للذكور 30.0% و قد تمثلت أسباب التأييد و لهذه الفئة بما يلي : حيث أننا نلاحظ لها منافع متنوعة من خلال مزاولتها للسياسة عند النساء بنسبة 10.0% ممثلة في دورها الجمعي ، ثقة الناس بها و غيرها من الأدوار، ثم هناك من يؤيدها من أجل مسألة ربط الدولة بالدين بنسبة9.0% لدى الذكور فهي مهمة لدرجة الإستفادة من الدين في المجال السياسي كالمشاورة و النقاش في أمور الدولة من الناحية السياسية و الدينية في نفس الوقت.

كما و قد عادت أسباب التأييد لمشاركة الزوايا في المجال السياسي لدى الإناث أيضا من خلال لتمثيلها الذي هو أفضل من الحزب و النقابات و الجمعيات و كل مؤسسات المجتمع المدني بنسبة 8.0% كما أنها كذلك أيدتها لتأثير واسع على فئات المجتمع بنسبة 5.0% عن طريق النصح و الإرشاد وتوضيح الأفضل لهم كما و لها مميزات أخرى مثل مسؤولية التوعية بالانتخابات بنسبة 5.0% لكون صوتها و خطبها مسموعة ومواقفها مأخوذ عند عامة الناس بالنفع و الأحسن لذا لابد من التقليد.

جدول يبين أسباب التأييد أو المعارضة على مشاركة الزوايا في المجال السياسي

الجنس		منافع متنوعة	تمثيل أفضل	ربط الدين بالدولة	تأثير واسع	التوعية بالانتخاب	متعدد	تدنيس مكانتها	تفقد قدسيتها	ليس مجالها	حيادها أفضل	لأنها تستغل	أخرى	المجموع
ذكر	تكرار	7	5	9	3	2	4	2	16	33	7	7	5	100
	%	7.0%	5.0%	9.0%	3.0%	2.0%	4.0%	2.0%	16.0%	33.0%	7.0%	7.0%	5.0%	100.0%
أنثى	تكرار	10	8	7	5	5	4	13	7	20	7	4	10	100
	%	10.0%	8.0%	7.0%	5.0%	5.0%	4.0%	13.0%	7.0%	20.0%	7.0%	4.0%	10.0%	100.0%
المجموع	تكرار	17	13	16	8	7	8	15	23	53	14	11	15	200
	%	8.5%	6.5%	8.0%	4.0%	3.5%	4.0%	7.5%	11.5%	26.5%	7.0%	5.5%	7.5%	100.0%

كما أننا نجد أن المبحوثين الذين قد عارضوا لجوء المترشحين السياســيين إلى الزوايا خلال حملاتهم الإنتخابية بنسبة مرتفعة [1]تقدر بـــ :72.0% للــذكور و بنسبة 66.0% لدى الإناث كما أنه تم تأييد موقف اللجوء لــدى الإنــاث بنســبة 34.0% و لدى الذكور بنسبة 28.0% و سوف نبين و نحلل هذه النسب من خلال الأسباب التي أدت بالأفراد إلى التأييد و المعارضة مستعينين بالجدول الذي يبينهــا و على حد ما يرى جي روشيه (G. Rocher) أنه توجد صفوات فــي إطــار الحركات الإجتماعية التي تكون إما عامة أو موجهــة أو تعبيريــة أو جماعــات ضاغطة و من الأدوار التي تقوم بها الوســاطة : عــن طريــق نقــل الحقــائق الإجتماعية أو توضيح الضمير الجمعي بتنميته أو توجيهه في مجتمع ما و كــذلك تمارس الضغط حيث نجد لها تأثيرا في التطور التاريخي للمجتمعات عن طريــق حملات الدعاية و لكسب الرأي العام ، فشيوخ الزوايا هم عبــارة عــن صــفوات خاصة تظهر أكثر حين تحتاج الدولة لخدمتهم.

[1] – أنظر في الملاحق : جدول يبين تأييد ومعارضة لجوء المترشحين السياسيين إلى الزوايا.

جدول يبين أسباب لجوء المترشحين للزوايا خلال الحملات الانتخابية

الجنس		قوة التأثير	استغلال الشعبية	إنجاح الانتخابات	جمع الأصوات	وساطة الشيخ	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	15	15	12	31	11	7	91
	%	16.5%	16.5%	13.2%	34.1%	12.1%	7.7%	100.0%
أنثى	التكرار	19	12	8	22	7	10	78
	%	24.4%	15.4%	10.3%	28.2%	9.0%	12.8%	100.0%
المجموع	التكرار	34	27	20	53	18	17	169
	%	20.1%	16.0%	11.8%	31.4%	10.7%	10.1%	100.0%

فتعود أسباب لجوء المترشحين إلى الزوايا خلال الحملات الإنتخابية لدى المبحوثيـــن لأغراض متنوعة أولا من أجل جمع الأصوات خاصة أيام التواجد الكبير للزوار بها مثل الخميس و الجمعة وقد مثلت بنسب مرتفعة فكانت34.1% عند الذكور و عند الإناث بنسبة 28.2% ثم للاستفادة من قوة تأثيرها التي كانت نسبتها بـــ: 24.4% عند الإناث و بـــ: 16.5%عند الذكور حيث أن لشيوخ الزوايا كلمتهم ووجهاتهم داخل الوسط الإجتماعي المتواجدين به والتي بها قد يؤثرون على أفراده مثلا بتزكية شيخ الزاوية من يريد فهم سوف يتبعوه لا محال ، و كذلك من أجل إستغلال شعبيتها بنسبة 16.5%عند الذكور و بنسبة 15.4%عند الإناث فمكانة الزاوية داخل المجتمع و الحصانة التي يتمتع بها شيخ الزاوية عند الزوار تجعل كلمة و رأيه و موقفه ينفذ إذا طلب شيئا ما كأن يمنح رضاه لأحد المترشحين فهو بالتأكيد نجاحه و الهدف منها أيضا إنجاح الإنتخابات و الحصول على نسب مرتفعة للإنتخابات بنسبة 13.2%عند الذكور و بنسبة 10.3%عند الإناث عن طريق توعيتها الناس بالانتخاب فهي تضمن الولاء السياسي للسلطة الحاكمة ،و كذلك إستغلال الشيخ

عن طريق وساطته بنسبة 12.1%عند الذكور و بنسبة 9.0% عند الإناث فالتوسط الذي تقوم به الزوايا و أشكال المصالحة بين الحكام و الرعية هي مواقف تدعم بها من يلجأ إليها من السياسيين، فنحن كذلك نلاحظ الاهتمام الذي يظهر بالزوايا و نشاطاتها من طرف السلطة السياسية الذي تهدف الوصول إلى كسب الجماهير الشعبية و استعمالها أيضا كأداة لإثبات المواقف و تبرير القرارات خاصة لدى الزوايا التي لها شعبية كبيرة .

ب- الزوايا و القضاء :

جدول يبين أسباب لجوء الناس إلى الزوايا لحل مشاكلهم

الجنس		حل سلمي	حل أسرع و مضمون	قلة التكاليف	عادة عرفية	فساد المحاكم	معتقد خاطئ	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	34	11	7	20	10	15	3	100
	%	34.0%	11.0%	7.0%	20.0%	10.0%	15.0%	3.0%	100.0%
أنثى	التكرار	36	17	8	7	8	19	5	100
	%	36.0%	17.0%	8.0%	7.0%	8.0%	19.0%	5.0%	100.0%
المجموع	التكرار	70	28	15	27	18	34	8	200
	%	35.0%	14.0%	7.5%	13.5%	9.0%	17.0%	4.0%	100.0%

ننتقل الآن إلى مؤسسة أخرى تتعامل معها الزوايا بعدما حلت محلها في المجتمع الحديث متمثلة في مؤسسة القضاء لكن ما لاحظناه وما استنتجناه من خلال المقابلات التي أجريتها، فعن التساؤل حول سبب لجوء الناس إلى الزوايا في القضايا التي لابد أن تحل في المحاكم قد خلصت إلى أن الوظيفة القضائية للزوايا لم تندثر عمليا و ممارسة و إنما فقط من الناحية القانونية حيث إنها لا تملك صلاحيات لمزاولة المحاماة على المستوى العلني، فمن خلال الجدول يظهر لنا أنه الكثير من الناس من يفضلون تدخل الزاوية عبر شيخها في معالجة قضاياهم

لكون حلولها عادلة و بطرق سلمية بنسبة 36.0% لدى النساء لسهولة الإتصال بالشيخ و عدم تعقيده للأمر فالقانون تعسفي في المحاكم أثناء حله للقضايا في حين إعتبرها الرجال عادة و عرف بنسبة 20.0% خاصة من يأخذون الشيخ كجاه عند فظ النزاعات كما أنه لا وجود لأجرة المحامي فقط مبلغ رمزي يقدم للشيخ وكذلك السترة وتجنب الفضائح ،كما أنه إعتبرت النساء حلولها سريعة و ذات فعالية مضمونة بنسبة 17.0% فهو الحل الأمثل كون الشيخ يتمتع بمصداقية و هيبة و سلطته القوية فإذا فصل في أمر ما لا يعاد فتحه بمسح الضغائن الموجودة عبر الصلح في الأخير كما أرجع البعض من الرجال سببها إلى فساد المحاكم بنسبة 10.0% فانعدام الثقة بالعدالة و كذلك كثرة الرشوة التي إنتشرت بين ممارسي القانون ، و كذلك هناك من رفض هذا التصرف و اعتبروه معتقد خاطئ بنسبة 19.0% لدى الإناث و بنسبة 15.0% عند الذكور و هذا راجع لكون اللجوء إلى الزوايا في حل القضايا القانونية يعتبر تصرف غير حضاري و أنها جهل و هي فقط عادات قديمة و أن هذه الممارسة راجعة لنقص في الثقافة القانونية لدى الأفراد .

ج- **<u>الزوايا و وسائل الإعلام :</u>**

إن للإعلام وظيفة كبيرة في خدمة الزوايا فهي تحاول إظهارها كما يطلب منها من خلال قنوات التلفزة ، الجرائد ، الإذاعات ، الانترنت و غيرها حيث يقال أن" الخطاب الإعلامي يصنع وعيا زائفا محملا بنسق من الأعراف و المعتقدات و التصورات السياسية و الإجتماعية للذين يوجه إليهم مما يجعله يؤثر

في أفكار المتلقي "[1] فدور الإعلام في الشعبية التي اكتسبتها الزوايا تظهر جليا في النسب التي وضحها الجدول[2] الخاص بالتساؤل ما إذا كان لها دور أم لا ؟

فقد أسفرت النتائج المبينة في الجدول اللاحق على أن نسبة الموافقة كانت أعلى فالإعلام يمارس تأثيرا ثقافيا ضاغطا على المرتبطين به ، الذكور وافقوا على أن للإعلام دور بنسبة 69.0% و الإناث بنسبة 66.0% أما عن الذين رفضوا فنسبتهم متدنية و قد قدرت عند الذكور بنسبة 31.0% و عند الإناث بنسبة 34.0% ، و سنحلل هذه النتائج من خلال الجدول الذي يوضح كيف أن الإعلام ساهم بقسط كبير في إكتساب الزوايا شعبية داخل المجتمع أو بالأحرى إظهار عودتها بحلة و أفكار جديدة ، فقد ساهم من خلال أشرطته و روبورتاجاته التعريفية لها بنسبة 37.7% لدى الذكور و كذلك بنسبة 24.6% و هي نسب تدل على التطرق لمواقعها و الإشهار لها وبالتعرض للطرق التي تنتهجها وكذلك تاريخ تأسيسها و الأدوار التي قامت بها منذ نشأتها و كذلك من خلال ترويج أفكارها بنشر مبادئها و أهدافها الدينية و الإجتماعية و الثقافية، بإجراء ربورتاجات خاصة لها بالتنقل إلى مقراتها و نشر مقالات متنوعة في الجرائد فقد تمثلت بنسبة 18.2% لدى الإناث التي تدل كذلك على نقل نشاطاتها المختلفة بنسبة 15.2% لدى الإناث كنقل الحفلات التي تشارك فيها الزوايا مثل الحفلات الدينية كالمولد النبوي الشريف و إحياء ليالي رمضان مثل ما تنقله عن الزاوية البلقايدية عبر حصة الدروس المحمدية أيضا بتوعية المشاهدين عند الذكور بنسبة 10.1% من خلال تقديم حصص حول وظائفها و توضيح خدماتها التي تقدمها للمجتمع و كذلك من أجل توسيع دائرة الإعجاب بها كان على الإعلام إظهار مشايخها في

[1] - مجلة رسالة المسجد: د. الشريف حبيلة :الإعلام و التغير الإجتماعي ،السنة 7 ،العدد 1 جانفي2009،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،ص 61.

[2] - أنظر في الملاحق :جدول يبين نسبة دور الإعلام في الشعبية التي اكتسبتها الزوايا .

القنوات الوطنية ممثلة بنسبة 10.6% لدى الإناث كمشاركتهم في ندوات دينية و علمية و ثقافية و كذلك مشاركتها في المهرجانات الثقافية المتعلقة بالطرق الصوفية الوطنية منها و الدولية فإهتمام الدولة بالزوايا خاصة الرئيس الحالي أدى مباشرة إلى اهتمام باقي المؤسسات بها ومن بينها وسائل الإعلام التي تؤثر على الذهنيات و بالتالي تفعيلها في المجتمع و توطيد علاقتها به .

فإلى جانب هذه الخدمات الإعلامية للزوايا هنا أيضا علماء و باحثين إختصوا في الكتابة عليها فألفوا كتبا متنوعة حولها منذ دخول الإستعمار كأعمال جاك بارك و فاني كولونا وكذلك التقارير العسكرية من طرف جنرالات و التي تعتبر مواد علمية و منهم كوبولاني و دونوفو و كذلك أعمال العديد من المهتمين لأمرها التي ساهمت بنشر ثقافة خاصة حولها .

جدول يبين أهم الأنشطة الإعلامية التي ساهمت في توسيع شعبية الزوايا

الجنس		نقل نشاطاتها	الترويج لها	التعريف بها	ظهور مشايخها	ربورتاجات خاصة	توعية المشاهدين	المجموع
ذكر	التكرار	6	17	26	3	10	7	69
	%	8.7%	24.6%	37.7%	4.3%	14.5%	10.1%	100.0%
أنثى	التكرار	10	13	17	7	12	7	66
	%	15.2%	19.7%	25.8%	10.6%	18.2%	10.6%	100.0%
المجموع	التكرار	16	30	43	10	22	14	135
	%	11.9%	22.2%	31.9%	7.4%	16.3%	10.4%	100.0%

خاتمـــــــــــــة الفصـــــــــــل :

لقد تطرقنا إلى نشأة المدن في هذا الفصل و صولها إلى التحضر الذي كسا الحياة فيها بطابع الحضرية كنمط خاص للتعايش داخلها و تعرضنا أيضا لبعض الممارسات الثقافية الموجودة بالمدينة لكنها ذات أصل تقليدي و ثم تعرضنا لعلاقة المدينة بالزوايا التي تمثل على مستوى المجتمع الجزائري مجال الإنتاج الذاتي و قيمه و أنماط حياته محاولة رأب كل التصدعات السياسية التي شهدها النظام السياسي التقليدي من صراعات و تناحرات و تآكل للبنية الإجتماعية و كما قال قراري عيسى في مجلة الأثر أن الزاوية تعبر عن أزمة السلطة و إشكالية السياسي في موروثنا التاريخي الذي لا تزال تداعياته منتصبة في الحاضر ، كما أنها مازالت تقوم أيضا بأدوار أكثر أهمية حيث ارتبطت مهامها بشرائح المجتمع الواسعة داخل الوسط الحضري و الريفي عبر الخدمات التي تقدمها لها و هذا ما سنركز عليه أكثر في الفصل القادم .

الفصل الثالث

الزوايا و الممارسات الثقافية

مقدمة الفصل الثالث

سوف نناقش في هذا الفصل طبيعة زيارة الزوايا لسكان المدن و سنبين كذلك المقومات الرئيسية في هذه التجربة المرتكزة على فكرة المقدس و نسق الأفكار و الرموز و الممارسات و الشعائر و كذلك الفئة المهتمة بهذه الأماكن.....، كما وصف الباحث غرس الله عبد الحفيظ التردد على الزوايا بالإسلام المعاش فهو إسلام العائلة الكبيرة ، و لتحليل هذا الأمر يجب التمعن في أشكال التعبير عنها و كذلك توضيح التداخل القائم بين النظام الديني المتمثل في الزوايا كمؤسسات له و أهميتها في المجتمع الجزائري لإرتباطها بالبيئة الإجتماعية التي تتواجد بها فكلما توغلنا في المجتمع الريفي نسجل قوة إنتشارها و بفضل مركزها الإجتماعي المرموق اضطلعت بمهام ساهمت في تلبية حاجات إجتماعية و ثقافية و دينية و تربوية تصب في الحفاظ عليه وعلاقتها بالأنظمة السياسية و الإقتصادية للمدينة كمجتمع متحضر وحديث بالإعتماد على المعطيات الميدانية التي تحصلنا عليها من خلال تقنيتي الملاحظة و الإستمارة .

المبحـــــث الأول : المواضيع و الدوافع المؤدية لزيارة الزوايا

إرتبطت تشكيلة المجتمعات المغاربية تاريخيا بالزاوية كمؤسسة تنشئة مارست إنتاج الحياة الإجتماعية المغاربية وفق خصوصية متميزة ذات نزوع روحاني بارز كان له الأثر في كل فعل إجتماعي و من خلالها ينسج الرابط الإجتماعي واعتراف فئات المجتمع ببعضها البعض و تشكيلها الملاذ الذي تأوي إليه كل تلك خاصة الشرائح الإجتماعية المهمشة، فهذه المؤسسة التي تمت ولادتها من رحم التجربة الدينية الإسلامية التي تفاعلت مع تركيبة الفضاء السوسيو ثقافي للمجتمع الإسلامي و حسب حاجاته و متطلباته تنوعت وظائفها لذا سنتطرق في هذا المبحث إلى الأسباب والحاجيات المختلفة التي تجعل الناس يلجئون إليها .

هناك مجموعة عوامل و أسباب تجعل الأفراد يترددون على الزوايا و يلجئون إلى شيوخها و كذلك قباب السابقين منهم و حتى أضرحة الأولياء و الإعتقاد فيهم و من مجمل الدوافع التي تؤدي إلى هذه الممارسات سواء بالنسبة للذكر أو الأنثى إقتصرنا عرض ما تحصلنا عليه من خلال إستمارة البحث و كما توضح لنا نتائج الجدول الخاص بالسؤال حول أهم المواضيع التي تجعل الفرد يستعين بالزوايا :

جدول يبين أهم المواضيع التي تجعل الناس يلجئون للزوايا

الجنس		التبرك	الزواج	العلاج	الوساطة	الراحـة و الترفيه	دور متعدد	المجموع
ذكر	التكرار	18	10	15	16	21	20	100
	%	18.0%	10.0%	15.0%	16.0%	21.0%	20.0%	100.0%
أنثى	التكرار	23	10	11	6	14	36	100
	%	23.0%	10.0%	11.0%	6.0%	14.0%	36.0%	100.0%
المجموع	التكرار	41	20	26	22	35	56	200
	%	20.5%	10.0%	13.0%	11.0%	17.5%	28.0%	100.0%

* من خلال الجدول حاولنا إستنتاج المواضيع المتنوعة للزيارة و صغناها على شكل تخصصها في العناصر التالية :

1- الدوافع الديـــنيـــــة :

إن إقْبال الأفراد على الزوايا حسب الجدول مرده في ولايتهم و بركتهم التي هي فوق الطبيعة تصدر من الشيخ الذي يمنحها لمن يشاء من زائريه فالراحة النفسية التي يتحصل عليها الذكور بنسبة عالية إلى جانب التبرك بنسبة 18.0% تجعلهم يعاودون البحث عنها إن لزمهم الأمر لذلك أما بالنسبة للإناث فنسبة إلتماس البركة 23.0% و البحث عن الرضا ومن يزكي حياتهن هي التي تحسم أمر ذهابهن قبل طرح موضوع لجوئهن فالباحثة عن الزواج إذا تحقق حلمها سوف تعود لتكافئ الشيخ و تجلب معها الزوج الذي هو بدوره ستبدأ علاقته من تلك اللحظة مع الزاوية و شيخها في رحلة الإنتماء أو التعلق فقداسة الشيخ هنا تساعده على التأثير في المتردد الجديد.

كما أنه لاحظنا أن حب الإستماع لقراءة القرآن الكريم الجماعية يوم الجمعة تجلب الزوار أكثر للتمتع بهذه اللحظات و الحضور للجلسات الدينية المتنوعة و محاولة المشاركة فيها كما للإستشارات المتعلقة بالأمور الدينية و المختلفة حسب المشاكل و حاجات الزوار تجعلهم يرتبطون بالزاوية و التعود على اللجوء لها .

2- الدوافـــــــع النفسية :

تمثلت الدوافع التي لها علاقة بشخصية الإنسان و حاجته في ممارسة ما يريح باله كوسيلة للراحة و الترفيه خاصة عند الذكور بنسبة 21.0% ليحتل الدافع هذا السبب الرئيسي للزيارة فالتردد على فضاء الزاوية أو أضرحة الأولياء و التبرك بهم أمام تعقد مشاكل الحياة الإجتماعية جعل الكثير من الناس يلجئون إلى هذه هي الفضاءات للترويح عن النفس و هذا الذي يذكره العديد من الباحثين حول الإعتقاد بالأولياء في المجتمعات العربية فليس من العجب أن تلجأ الطبقات

المحرومة إلى الأولياء، بحثا عن حلول لمشاكلها اليومية النفسية و حتى الإقتصادية و تجاوز عجزها، في حين أن الحاجة إلى الوسيط والشفيع السبب الثاني المهم لدى الذكور بالنسبة 16.0% حيث أن الوساطة و الشفاعة في القديم كانت لدى العبادات مرتبطة بما هو وثني, و بعد الإيمان بالإله الجديد ظل هناك نوع من الفراغ و الفجوة التي تفصل بين البشر و الإله خاصة بعد انتهاء فترة الرسول صلى الله عليه و سلم و بعد فترة الصحابة ليحل زمن التصوف و أقطابه الروحانيين لتلتحق بعدهم مباشرة مؤسسات الزوايا و التعود على زيارة شيوخها كممارسة حلت محل عبادة الآلهة و الأسلاف و ظهور كذلك ما يصطلح عليه بالشفيع أو الوسيط الذي كان يتجسد في شخص صالح يتحسس مآسيهم ويحل مشاكلهم و يتكلم لغتهم ,فبدل الدعاء للرب يتجهون إلى الدعاء لنبيه إلى حفيد نبيه سليل بعيد من أهل البيت إلى ولي أو شيخ صالح .

وقد توصل إرنست غلنر Arnest gellner في الدراسة التي قام بها حول الصراع القائم في الإسلام بين الدين الرسمي و الدين الشعبي " أن هناك قطبين قطب التوحيد و السنة و الوحي و المساواة في الإيمان و قطب الإعتقاد بالأولياء و الإختيار و الحدس و التدرج في علاقة المؤمن بالله، و رأى كذلك أن المجتمعات تنتقل من التعددية إلى التوحيد ثم إلى التعددية من جديد عندما يصبح مفهوم الله شديد التجريد فيحتاج المؤمن إلى وسيط حسي يصل بينه و بين الله"[1].

إن الأوساط الشعبية الريفية و الحضرية تتجه نحو زيارة الزوايا عند الحاجة لها فتتضرع إلى شيوخها لتحقيق أمانيها و هذا ما يظهر في جدولنا خاصة عندما يتعلق الأمر بمواضيع الزواج و الطلاق و الإنجاب و كذلك الذهاب من أجل علاج الأمراض المختلفة ، ففي الإعتقاد السائد لدى الزوار من الريف كانوا أم من

1- بلعربي خالد : ظاهرة زيارة الأولياء في المجتمع الجزائري ،" دراسة أنتروبولوجية تاريخية للولي سيدي عبد الله بن منصور الحوتي ،رسالة لنيل شهادة ماجستير، 1999-2000 ،ص64 -65.

المدينة ثقافة الإيمان بالأولياء المدفونين منهم و الأحياء المتمثلين في شيوخ الزوايا و مدى قدرتهم على شفاء المرضى بالنسبة للذكور أو الإناث معا تجعلهم يلجئون إلى الشيخ لتخفيف الأمراض إما عن طريق الرقية أو كتابة الحجب و عادة يلجأ الناس للشيخ أو إمام مسجد الزاوية أو الطالب للإستشارة في المرض و طلب العون قبل اللجوء للعلاج العلمي و هناك أمراض يعجز الطب الحديث عن فهمها مثل المس و الجن فتتوجب اللجوء إلى تلك الأماكن المذكورة للعلاج و نجد هناك أيضا تخصصات في هذا المجال فأحيانا نسمع ونعرف عن الولي أو المرابط الفلاني متخصص في علاج مرض العيون و آخر فيما يخص العقم و غيره رقيته تنفع للزواج و هكذا ،و في هذا الصدد يؤكد طوالبي في دراسته على أن للطالب كفاءة علاجية فائقة لا يضاهيها الطب النفسي بل اعتبر هذا الأخير أنه مجرد بدعة حديثة[1].

* نلاحظ هنا أن الدوافع النفسية تنافس الدوافع الدينية أو هي مكملة لها فالفرد من المدينة في أيام عطلاته يبحث عن الراحة و بذلك هو بحاجة لخروجه منها إبتعادا عن الضوضاء و ما يجلب له القلق و من بين الأماكن التي يفضلها تكون موجودة في الريف و بالإضافة إلى ذلك تكون فضاء ديني و هذا ما جعل الدافعين مكملان لبعضهما البعض .

3 – الدوافع الإجتماعية و الثقافية :

تتعدد و تتنوع الدوافع التي تجعل الفرد يتردد على الزاوية و كونها مؤسسة ساهمت في تنشئة العديد من الأجيال فهي مازالت مستمرة و تقاوم الحداثة بتطوير منشآتها و أفكارها فهي المعلمة للقرآن و تفسيره و الأحاديث النبوية لتكون مـــنهج الفرد في حياته فهناك العديد من الأشخاص من يرجعون الفضل لها في تـــوبتهم و تخليهم عن المعاصي كما قال لي المبحوثين " هـــي أرجعتنـــي إلـــى الطريـــق و

[1] -نور الدين طوالبي،مرجع سابق،ص43 .

احتوتني من الشارع و بفضلها تخلصت على عادة السرقة و بلوة الخمر و كل هذا لم تستطع عائلتي فعله لي أو المقربين لي إذن أنا مدين للشـــيخ و أفـــراد زاويتـــه بحياتي و أفعل كل ما يطلبوه مني " و هناك العديد من هذه الحوادث التي حـــدثت مع أشخاص و بعدها أصبحوا أتباع للزاوية كما أنها المسرح الثقافي أيضـــا عبـــر حفلاتها و إحيائها للمناسبات الدينية و الوطنية و الملتقيات الوطنية و العالمية لعدة مواضيع مهمة بالنسبة لأفراد المجتمع ، فلفرد عندما يرى أن هذه المؤسسات تخدم صالحه فهو سيلجأ لها لا محال .

4- الدوافـــــــع السياسية :

إنها من بين الدوافع التي نرى أنها تجعل من الزوايا مقـــرا لهـــا ومكانـــا للممارسة السياسية بها رغم أن شيوخ الزوايا ينكرون هـــذه الممارســـة إلا نجـــد العديد من أتباع يمارسون السياسة و أحيانا يستغلون مواضعهم و من أهـــم تلـــك المواقف نستنتج حسب الجدول العناصر التالية :

جدول يبين سبب لجوء السياسيين للزوايا

الجنس		قوة التأثير	استغلال الشعبية	إنجاح الانتخابات	جمع الأصوات	وساطة الشيخ	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	15	15	12	31	11	7	91
	%	16.5%	16.5%	13.2%	34.1%	12.1 %	7.7%	100.0 %
أنثى	التكرار	19	12	8	22	7	10	78
	%	24.4%	15.4%	10.3%	28.2%	9.0%	12.8 %	100.0 %
المجموع	التكرار	34	27	20	53	18	17	169
	%	20.1%	16.0%	11.8%	31.4%	10.7 %	10.1 %	100.0 %

تمكنت السلطة في العديد من المواقف و الظروف من إستعمال الدين لمصلحتها خاصة عندما يتعلق الأمر بإخضاع الشعوب و إلهائها باللجوء إلى الزوايا و تفويض أمورهم لها بدلا من مواجهة الواقع و الإعتماد على طاقاتهم الخاصة من خلال تجنيد المؤسسات الدينية الشعبية و على رأسها الاهتمام بالأولياء و تشييد القباب على أضرحتهم و الإهتمام أكثر بشيوخ الزوايا و تشجيع الأوساط الشعبية على زيارتهم فهنا يعتبر الدين كسلاح في يدها لتدعيم وجودها ، و هكذا يظهر موقف السلطة من هذه الممارسات حيث أن العديد من المؤسسات الحكومية تساهم بشكل غير مباشر و أحيانا مباشر لتكريس مكانة الزوايا عن طريق دعمهم بالمادي و المعنوي و الإشراف عليها بحجة تنظيمها دون أن تضع خطة للتخلص منها تدريجيا أو لتحويلها من مهرجان للخرافات و الشعوذة إلى مهرجانات إجتماعية و إقتصادية أكثر تقدمية ،فهناك السلطة تحاول حصر التفكير و إغراق الأوساط الشعبية في تفويض أمورها لشيوخ الزوايا حتى لا تحدث هذه الأوساط أي تغيير في مجتمعاتنا فلا يكون لهم برنامج لبناء مجتمع جديد وهذه السياسة إتبعها الإستعمار الفرنسي في تجهيل الشعب حيث ساهمت في نشر العادات و التقاليد البالية و نشر الخرافات مستهدفة في ذلك إنحطاط المجتمع الجزائري .

فالدولة نجدها تمون الزوايا من خلال البرامج التي تجعلها من مسؤوليتها و بمبالغ مالية تحصل عليها كونها من بين الجمعيات التي تخدم المجتمع، فبنسبة 34.1% للذكور الذين يعتبرون أن الزوايا فضاء لجمع الأصوات لما تمتاز به من شعبية كبيرة لدى أفراد المجتمع ، أما عن قوة تأثيرها فنسبة النساء تمثلت بـــ : 24.4% كون أن الجنس الأنثوي ربما أدرى بمسائل التأثير لأننا لاحظنا خلال ترددنا على زاوية سيدي عبد الكريم الجازولي أن نسبة المترددين على الزوايا ترتفع لدى النساء عن الرجال، و في فترة الحملات الانتخابية كانت رئاسية أو محلية فنجد أن هذا الفضاء يستغل فكسب الشيخ من إحدى أطراف المترشحين

يعني كسبه رهان فوزه خاصة الأوساط التي يقطن بها أبناء الشيخ أو أنسبائه أو الأتباع الموالين له و المعروفين عندهم ،فلا ننسى أن هذا الشخص المترشح هو بذاته سيذهب للحصول على البركة و التمني بالنجاح و طلب الإعانة في الأول كأي شخص عادي ثم تبدأ تلك العلاقة التي تعتمد على خصوصية معينة تميزها نوع الطلبات و كذلك مدى التضحيات التي تقدم من أجل تحقق الرغبة.

المبحـــــث الثاني : الممارسات الثقافية و الزيارات

1- زيارة الزوايا و الطقوس المتعلقة بها :

إن زيارة الزوايا تتطلب ممارسة طقوس متنوعة من طرف المترددين عليها سواء كانوا رجال أم نساء بصفة فردية أو منها ما يمـــارس بشـــكل جمـــاعي ، و كـــل الطقوس التي سنتحدث عنها لها علاقة بالمستوى التعليمي للفرد الزائر كمـــا هـــو ملاحظ م من خلال الجدول التالي :

جـــدول يبين طقوس الزيـــارة

المستوى الدراسي		لا أمارس	النية	الصلاة+القرآن	وضـــــع النقود	نشـــــايع بالحرم	أخرى	متعدد	المجموع
أمي	التكرار	2	3		1	3	3	1	13
	%	15.4%	23.1%		7.7%	23.1%	23.1%	7.7%	100.0%
جامع	التكرار	3	2	1	1	1			8
	%	37.5%	25.0%	12.5%	12.5%	12.5%			100.0%
إبتدائي	التكرار		1			3	5		9
	%		11.1%			33.3%	55.6%		100.0%
متوسط	التكرار	3	3	4	3	3	2	2	20
	%	15.0%	15.0%	20.0%	15.0%	15.0%	10.0%	10.0%	100.0%
ثانوي	التكرار	10	4	8	6	3	9	5	45
	%	22.2%	8.9%	17.8%	13.3%	6.7%	20.0%	11.1%	100.0%
جامعي	التكرار	26	7	13	10	5	6	6	73
	%	35.6%	9.6%	17.8%	13.7%	6.8%	8.2%	8.2%	100.0%
المجموع	التكرار	44	20	26	21	18	25	14	168
	%	26.2%	11.9%	15.5%	12.5%	10.7%	14.9%	8.3%	100.0%

أ– الطقوس الفردية :

حسب المقابلات التي قمنا بها خلال ترددنا على الزاوية تكررت لدينا المعطيات التالية بخصوص التحضير للزيارة بدءا من ضرورة عقد النية على الذهاب للزاوية (أو قبة ما) و هي مرتفعة عند الذين لهم علاقة بالتعلم في الجوامع كحفظة القرآن بنسبة 25.0% ثم عند الأميين بالنسبة 23.1% اللذين لهم علاقة كبيرة بالزوايا و المرابطين و كذلك عند ذوي المستوى المتوسط بنسبة 15.0% لنستنتج أنه كلما تدنى المستوى التعليمي للفرد مورست النية كطقس هام للزيارة و إلى جانبها نضيف كذلك أخذ " الجاوي، الشموع، البخور"، و بشعل الشموع ترمز إلى أنه إضاءة المكان في القبة و كذلك إذابة الهموم التي تثلج الصدر كما قالت لي أحد المبحوثات التي مارست هذا الطقس أمامي و كنت قد طلبت منها الإستفسار بهدف الإستعانة في حل مشاكلي، و قد انتشرت ظاهرة إشعال الشموع على أضرحة الأولياء في القرى والمدن حيث ظل الناس يعتقدون أن نذورهم سبب يقربهم من رضا الولي و يعتبر هذا الفعل تعبد كبعد أنثروبولوجي يمثل عمق الزيارة حيث أنه يضفي صفة النور على هذه الزاوية و يتمنى الزائر من الولي أن يجعل أيامه ضاوية خالية من كل بلاء أو ظلام .

فإضافة إلى أن الزيارات تكون يومية في العادة أو في أيام العطل الأسبوعية بالأخص فيكون الإقبال كبير من طرف النساء اللائي يلجأن إلى الشيخ و أضرحة أجداده للتبرك و الدعاء بالتضرع أملا في تحقيق أمنية أو تجاوز محنة فطلب الفتاة العزباء التي طال إنتظارها للزواج و كذلك المرأة العاقر طلبا الإنجاب هي التي تفرض نوع الطقس المفيد و غيرها من الممارسات ومن بين الطقوس الفردية المهمة الخاصة بالثناء و الشكر على ما تحقق من رغبات ، فارتباط النساء بالطقوس مؤشر ثقافي يعكس أساليب تفكيرهن و اتجاهتهن نحو المحافظة و

الممارسة الغزيرة لها، فالنساء تمثل الرأسمال الثقافي للمجتمع و خزان قيمه وهويته كما قالت فاني كولونا.

1- إشعال الشموع و جلب قطعة قماش خضراء اللون : هي ممارسة طقسية تدل على قوة الإيمان بالأولياء و الإعتقاد الراسخ في ولايتهم و كراماتهم تدفع الزائر إلى أن يحمل مختلف الهدايا إليه و قد تكون أحيانا عبارة عن نذور من بينها إشعال الشموع آملين في ذلك شفاء من مرض أو سلامة للمال،و في هذا يقول نور الدين طوالبي" يعتبر إشعال الشموع و إستمرار إقامتها إحدى العادات و المعتقدات الشعبية التي لازالت مترسخة لدى أفرادها فهي تسعى من خلال هذا السلوك الطقوسي إلى التقرب من الضريح و التماس بركاته، وهذا الطقس أو الممارسة ما هو في الحقيقة إلا الشعور بالارتباط والتبعية و إلتزام إتجاه الولي، وقد أصبحت هذه العادة راسخة في نفوس الناس و شكلت بالنسبة إليهم جزءا من ثقافتهم التقليدية "[1]،كما أن الشمعة هي هدية خاصة للأولياء الصالحين فهي تدل على طلب بداية حياة جديدة مشرقة ومنير كنور الشمعة،" فحضورها مستلزم وهي بحد ذاتها تقوم بوظائف متنوعة في حياة الفرد الجزائري حين يحيي كل أفراحه"[2].

- و تعد هذه الممارسة الشعبية مرفوضة و باطلة في الدين الإسلامي، فما ينذره المسلمون اليوم من نذور للأولياء يعد وسيلة غير مشروعة من أجل التقرب إليه و قضاء الحاجات فهو شرك محرم و هذا ليس من عقيدة المسلمين .

2- التقرب بالدعاء:

في المعتقدات العامة فإن الولي حينما يموت تظل روحه تنتقل في كل مكان بحرية وعلى الزائر أن يستنجد باسمه ليتم قضاء حاجته و يكون ذلك بالدعاء و العطايا والنذور فالزائر يعتقد بأن الدعاء واسطة بين الله و خلقه في جلب

[1]-نور الدين طوالبي : مرجع سابق،ص146 .
[2]-جريدة الجمهورية :2010/12/23 ،الشمعة في معتقدات الجزائريين،ص27 .

المحبوب ودفع المكروه، فيتجه الزائر نحو الولي أثناء وقوع المصائب و يستنجد به " سيدي فلان و مولاي فلان خذ بيدي و كن لي كذا و ادع الله لي بكذا ...." و كذلك الإستنجاد بالشيوخ في حل مشاكلهم و قد أدى الإعتقاد فيهم بأنهم يضمنون للزائر مما يستهوي حاجاتهم و هم الذين يغضبون عن آخرين و يتوعدونهم بحلول النقمة في هذا يقول مبارك بن محمد الميلي " فإذا رضي عن أحد ضمن له ما يشتهي من حاجات من الدنيا ومن نعيم الآخرة، و إذا غضب عن آخر توعده بحلول النقمة و رضاه و غضبه تابعان لمطامعه في ما يؤذي الناس "، فالزائر يعتقد بأن الولي له كرامة الإطلاع على الغيب وهو ما يدفعه إلى التوجه إليه و مطالبته بالدعاء للشفاء من مرض ما و غير ذلك و ما يثبت أنك إذا حاولت أن تقنع أحدا بأن ذلك لا تأثير له إلا الله سبحانه وتعالى أجابوك " بأن الولي مقبول عند الله ... و أنه لا حجاب بينه و بين ربه و أن الدعاء في ضريحه مستجاب " قد جربتها مع أشخاص قريبين مني و لم أفلح في تغيير فكرتهم أيضا .

ويبدو من خلال الملاحظة كذلك أن المستوى الفكري المحدود و العقلية البسيطة لدى الزائر هي التي تجعله يعتقد أن في الولي النفع و الضرر و الزائر يبذل كل ما في وسعه لينال رضا الولي ، وقد أنكر الدين الإسلامي الدعاء لغير الله و اعتبره شركا به و يوجب له الخلود في جهنم لأن الزائر بدلا من الدعاء لله وحده فإنه يقوم بواسطة و هو الولي الميت أو الشيخ و هذا باطل حيث لم يشرعه الإسلام لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم :"إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة و مأواه النّار و ما للظّالمين من أنصار" [1] صدق الله العظيم.

[1]- القرآن الكريم : سورة المائدة ،الجزء السادس ،الآية 72 .

3- الصلاة و قراءة القرآن : هذه الممارسة التي تعد ممارسة و طقس سليم من الناحية الدينية يمارس بكثرة كلما كان المستوي العلمي مرتفع فهو عند الجامعيين كفئة مهمة تلجأ للزوايا بنسبة 17.8% و هي نسبة مهمة جدا حيث نرى أن العديد من الأفراد هناك يستعينون بالملاحظة لتعلم الطقوس المختلفة و تقليدها.

4 - تقبيل الجدران :

يعتبر تقبيل الجدران من إحدى الممارسات الطقسية التي يلجا إليها الزائر لدى زيارة الزوايا أو الأضرحة الموجودة بها فيقوم بتقبيل قبته و التمسح بحيطانها و هو يعتقد في ذلك بأنه يجلب البركة حيث يقول مبارك بن محمد الميلي : " ومن مظاهر هذا التبرك الإستمدادي تقبيل الجدران و التمسح بالحيطان و كل ما يضاف إلى ذلك المكان" .

و هذه الممارسة الطقسية ما هي إلا محاولة الإستعانة بالولي من طرف الزائر للحصول على بركته فيعتقد فيه دفع الضرر و جلب الخير .

و يعد السبب الرئيسي في إقامة هذه الطقوس هو إعتقاد الزائر في الولي و كرامته و معجزاته ففي نظر بعض الجاهلين كانوا يرون الأولياء أفضل من الأنبياء و الرسل في المعجزات، ومن هنا نلاحظ أيضا مدى تأثير الأولياء في الأرض بعد موتهم على بعض الناس الذين يستعينون بهم في قضاء حاجاتهم و هو في إستمرارية مع شيوخ الزوايا حاليا الذين في يوم ما هم أيضا سيصبحون مثلهم و تضل الكرامة التي يدعونها و هم أحياء باقية و مستمرة بعد وفاتهم .

5- الإغتسال بالماء الموجود في الزواية :

يعتبر هذا التصرف من بين الممارسات التي يقوم بها الزائر للولي باحثا عن الشفاء من مرض ما و هذا الإعتقاد سائد إلى يومنا هذا بدل اللّجوء إلى الطبيب يلجأ إلى الولي معتقدا في قدرته على شفاءه من مرضه، مثلا وجود حمام داخل زاوية سيدي عبد الكريم الجازولي و هو يحمل إسم " حمام البركة " جعل كل من يزور يغتسل به و إذا لم تصح الفرصة له يكتفي بالأخذ معه القليل ليستعمله في المنزل و نرى أن كل شيء يحيط بالزاوية من شجر ، أو حجر و ينابيع في اعتقادهم هي تحمل بركات الزاوية و يستعملها الزائر المريض للبحث عن الشفاء.

6- المشايعة بالحرم :

هنا في هذا الطقس الذي يرجع تاريخه إلى ظهور هذه الأماكن حسب إستنتاجاتي فهو يشبه تحية السلام فإذا كان التحية للشيخ تتم عبر تحية الإسلام " السلام عليكم" و بعدها تقبيل الرأس كاحترام و تقدير و إجلال و تحية القباب بالتسليم على حيطانها فالتحية المخصصة عند دخول الزوايا هي المشايعة بالحرم "مسلمين مكتفين" و بمخالفة الأيدي بوضع اليد اليمنى فوق اليسرى ثم تعاد العملية بالعكس اليسرى فوق اليمنى، وهذه الممارسة الطقوسية هي الأخرى نجدها تكرر عند ذوي المستوى التعليمي المنخفض لتكون عند الأشخاص الأميين بنسبة 23.1% وعند الذين تلقون تعلمهم بالمساجد بنسبة 12.5% و كذلك عند ذوي التعليم الإبتدائي بنسبة 33.3% وهذا مرده أن أصحاب المستوى التعليمي المنخفض نجدهم يميلون إلى المحافظة على تقاليد الزيارة وبالتالي مهتمين بمسألة الحفاظ على العادات و التقاليد كما هي أي سلامة تأديتها بالكامل.

7- وضع النقود :

في هذا الطقس تكثر الإحتمالات حول المبالغ التي تكفي بالغرض و كذلك حسب الطلب المقترح من طرف الزائر إلى الشيخ و كذلك الإعانات التي يفضل الزائرين مساعدة الشيخ و زاويته بها فهذه الممارسة نجد نسبتها مرتفعة عند كل من لهم المستوى الثانوي في التعليم بنسبة 13.3% و كذلك عند الجامعيين بنسبة 13.7% حيث يفضلونها عن الممارسات الطقوسية الأخرى .

* ملاحظة : إن نسبة الذين لا يمارسون أية طقوس مرتفعة و تقدر بـــ : 26.2% ذلك لسببين إما لعدم الإقرار حقيقة بأنهم يمارسون طقوس يعرفون بأنها بدع و ممارسات غير حضارية أو لكونهم مقتنعين حقا بعدم أهمية ممارستها، أما عند الجامعيين فهي ترتفع بنسبة 35.6% لكونهم متعلمين و لهم مستوى يجعلهم حقا مصرين على عدم ممارستها أو كونها بدع خلقت لتستمر و عليهم الكف عنها لتقل.

ب- الطقوس الجماعية :

جدول يبين نوع الأنشطة المقامة بالزاوية

الجنس		الاحتفال السنوي	مناسبات الدينية	الملتقيات	حلاقات الذكر	تجمع الفقرات	الطقوس العيساوية	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	19	13	3	4	2	4	2	47
	%	40.4%	27.7%	6.4%	8.5%	4.3%	8.5%	4.3%	100.0%
أنثى	التكرار	13	5	4	2	1	8	2	35
	%	37.1%	14.3%	11.4%	5.7%	2.9%	22.9%	5.7%	100.0%
المجموع	التكرار	32	18	7	6	3	12	4	82
	%	39.0%	22.0%	8.5%	7.3%	3.7%	14.6%	4.9%	100.0%

ننتقل للحديث هنا عن الطقوس التي تؤدى جماعة و التي تكون سببها الزيارات الجماعية أسبوعية كانت أو سنوية يؤديها خاصة أهل الزاوية الذين يقطنون بعيدا عنها أو العشائر(على حسب الألقاب العائلية) أو سكان المدن المجاورة أو أحباب الزاوية و الأتباع من مختلف الولايات لتشكل تلك المناسبة فرصة لنحر الأضاحي إكراما للولي "الأب الروحي للزاوية " إضافة إلى إعداد الكسكسى لإطعام الزائرين و عابري السبيل و تتنوع الإحتفالات لهذا الغرض ، و سنستج ذلك حسب الجدول التالي الموضح لهذه الطقوس :

إن هذه المشاركة الجماعية لممارسة الطقوس تكسب هذا النوع من الطقس قيمة تعبيرية إجتماعية ومن بين هذه الطقوس المقدسة و التي تكون جماعية نجد : الوعدة ، النشرة ، الحضرة .

1- الوعدة :

فكلمة وعدة في اللغة العربية مشقة من فعل و عد أي تعهد بشيء و عليه بتطبيقه, و تعتبر الوعدة احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الولي و التابعون له و هنا يقوم الرجل بالنذر على نفسه بصوم أو بذبح شاة إذا تحقق له شيء ما, و أن يأخذ المؤمن على عاتقه أمام الخالق تنفيذ الوعد و يلزم بتنفيذها إذا تحققت أمنيته وتعد كفارة، وقد تغير مفهوم الوعدة في الوقت الحاضر بتغير الممارسة الشعبية لها فهم ينذرون حاليا للأموات والمزارات وغيرها، فإذا حصل مريضهم على نتائج جيدة إزدادوا تعلقا بمن نذروا إليه وصار الناس مع مر الزمن يعتقدون أن إقامتهم لها يجلب الخير ويدفع الشر و يتوجب إتباع تسلسل منتظم في الاحتفال بالوعدة, فيتمثل اليوم الأول على التضحية بكبش وتقديم الطعام إلى الوافدين على الوعدة أما اليوم الثاني بعد الظهر يتم نحر الخراف المقدمة كهبات, ومن لا يستطيعون على ذلك يقدمون المال، وتعتبر الوعدة أنها تجمع شمل الجميع و تعمل على تدعيم التماسك الاجتماعي للأفراد والحفاظ على الكثير من الطقوس

الإسلامية كالضيافة و الكرم ومساعدة اليتامى, فعن طريقها يلم الشمل وتحل بعض المشاكل الاجتماعية التي تطرح أثناء التجمع للنقاش فيها.

* إن الوعدة كالظاهرة تعكس بحق عادات و تقاليد و قيم المجتمع الجزائري ، فالشعور لدى المشاركين فيها هو أن الناس للناس حيث يقول نور الدين طوالبي " إن التطبيق لشامل للطقوس العامة ليس قبل كل شيء سوى برهان إضافي على التعلق الشعبي بالدين فهو مقبول شرعيا باعتباره إرادة جماعية تسعى نحو إعادة الإعتبار و التقاليد....."[1]

فالوعدة هنا في الجدول متمثلة في تجمعات الفقارات و كذلك في حفلات خاصة لممارسة الطقوس العيساوية الخاصة ، التي نجد النساء فيها دائما تحاول الحضور و مهتمة بها لتبين ذلك نسبة المتعلقة بها والمقدرة بـــ 22.9% أما عن الذكور فنجدهم بنسبة ضئيلة نوعا ما عن الإناث و تقدر نسبة مشاركتهم بـــ 8.5% و ذلك كونهم يفضلون أنشطة أخرى عليها .

ففي الوعدة يجد البعض فضاءا يرددون فيه التهليل والتكبير وتلاوة القرآن و كذا تلتقي فيه فرق فلكلورية لممارسة الفروسية ، إذن الوعدة المقامة على شرف الولي هي فضاء من خلالها يلتقي الأحباب و تدل على تمسك مجتمع بعاداته و مماراساته وللحفاظ على الذاكرة من النسيان كما أشار الكاتب كلود ديبار في كتابه المعنون بـــ: أزمة الهويات

Claude Dubar : LACRISE DES IDENTITES

[1]-نور الدين طوالبي : مرجع سابق :ص125.

2- النشرة :

لغة هي مشتقة من فعل نشر أي أشاع فهي عبارة عن طعام يتخذ على ذبحية من الدجاج" عادة يكون ديك أسود" و هي غالبا ما تقدم " تقربا إلى الجن ولا يذكرون عليها اسم الله إرضاءا له "[1] فهي إذن تعتبر تعويذة خاصة يعالج بها المريض وتطلق عليها أيضا عند العامة من الناس حل السحر عن المسحور , فهي نوع من الطب الخاص بالشعوذة فهي معدة لشفاء أمراض متنوعة و محاربة للعين الشرير كما ذكرنا سابقا ولها حكم التمائم و الحجب عند العامة .

فالنشرة ينصح بها عادة من يكون مسكون كما يقال التي يتضح الأمر بعدة الرقية من طرف الطالب ، كما أنه للنشرة وظيفة تنحصر في كونها طبية سحرية توحي إلى سعادة الفرد في المخلية الجماعية و ذلك بإيحاءاتها لإضعافها قوى الكون المعادية و الشريرة .

3 – الحضرة :

تعرف على أنها جمع بين عمليتين الحزب و تلاوة القرآن و الصلاة على الله و رسوله عليه الصلاة و السلام ,و يسمى أيضا بالذكر و الجذبة و هي عبارة عن صلاة طقسية يجتمع فيها أعضاء الطريقة ويرددون اسم الله طويلا حتى يصلون إلى درجة من الانجذاب و الوجد و تكون بقيادة المقدم, و يصاحب هذا الذكر رقصات دائرية و المدح مع إيقاع الطبول و المزامير و يعتبر هذا الرقص من الطقوس العامة للطريقة و تكون في رفع الجسد بواسطة حركة لإحدى الأرجل وترك الجذع على الآخر, والرقص بانتظام مع الوزن الإيقاعي و عن طريق تكرار هذه العمليات يحدث الإغماء أو ما يسمى بالنشوة الصوفية[2].

[1]-نفس المرجع:ص128

[2]-طريقة الحضرة :رويت لي من طرف المقدم الشيخ النوالي أحد العيساويين.

و هنا نشهد الحضور المكثف للرجال بنسب مرتفعة كون أغلبها تحدث ليلا و لوجود الزاوية في منطقة ريفية منعزلة تكون عائق دائما في إنخفاض نسب المشاركة فيه لكلا الجنسين .

4- المناسبات الدينية :

كما نعلم إننا مجتمع إسلامي محافظ على إحياء عاداته و تقاليده و نحاول بأقصى جهودنا عدم تفويت أي فرصة كهذه ، فالمناسبات الدينية كالأعياد و المولد النبوي الشريف هي الوحيدة التي بقيت تساهم في لم شمل العائلات و لو أنها تضاءلت في الوسط الحضري، فإحياء المولد النبوي الشريف أو ليلة القدر المباركة هناك من يفضل قضائها إلى جانب العائلة في أماكن دينية كالمساجد أو الزوايا و تتنوع في هذه الليلة البرامج المخصصة لهذه المناسبة و تظهر نسبة ذلك عند الذكور 27.7% فمازلنا نرى نوع من التمسك بالتقاليد و ممارستها بشكل جماعي و لا ننسى بالطبع أنه في هذه المناسبة يأخذ الآباء الأطفال معهم عمدا لترسيخها في أذهانهم، ذكرت لي إحدى المبحوثات من مدينة بني صاف و هي تعمل قابلة في مستشفي بولهاصة " أنها دائما تذهب في المناسبات الدينية كالأعياد لتزور الشيخ و تقدم له الحلوى التي صنعتها لأنها ترى فيه وليها الثاني بعد أباها و أنه هو حاميها مادامت هي تعمل هناك و الفضل يعود له في نجاحها في حياتها الشخصية و العملية فرضاه مهم لها " إذن نسبة مشاركة النساء في هذه المناسبات و البالغ 14.3% مهم جدا خاصة و انه هنا تكون الممارسات جماعية و حتما ستحدث لقاءات متنوعة و تكوّن رابط إجتماعي مبني على التآخي و التوحد و بالتالي التوصيات على الإستمرار بين محبي الطريقة و الزاوية.

5 – الإحتفال السنوي : مجمل الطرق في إحيائها للإحتفالات الدينية أو إحتفالاتها السنوية التي تقوم بها على شرف الطريقة لا تكتفي بقراءة الأذكار و المدائح بل تقوم أيضا في هذه المناسبة و غيرها بأعمال يعتبرها بعض الناس سحرا و شعوذة و يعتبرها بعضهم الآخر كرامات دالة على بركة شيوخ الطرق و أتباعهم، مثل السعدية و الرفاعية و العيساوية، و أغرب ما يظهرونه من قدرات مناعتهم ضد الحرق و إنعدام تأثرهم بالأدوات الحادة الجارحة و مناعتهم ضد السموم كلدغات الأفاعي و عدم تضررهم من دوس الخيول،و في هذا الصدد و إنطلاقا من وصف إميل دوركايم لحفل بدائي في إحدى القبائل الأسترالية يقول ريمون آرون:" فلنتخيل جمهورا في حفل هو في آن واحد إحتفال و عبادة، أفراد تجمعهم ممارسات جماعية و أفعال موحدة، يرقصون و يصرخون، فالإحتفال وهو نشاط جماعي يخرج الفرد فيه من ذاته و يجعله يشارك في قوة الجماعة و تعطيه الشعور بشيء ليس له مثيل في الحياة العادية و التي يجرها بملل و هذا الشيء الخارق و السامي في نفس الوقت هو القوة الجماعية و هو أيضا شيء مقدس ..."[1]

و هذه الطقوس التي جعلت أيضا الفقهاء أو أهل الظاهر ينكرونها على الصوفية لأنه حسب رأيهم أنها بدع لا أصل لها في القرآن و السنة، و لكننا لا حضنا من خلال الجدول أنها تجلب أنظار العديد من الناس فالمشاركة في هذه الإحتفالات مرتفعة بالنسبة لذكور و التي تقدر40.4% و هي دليل على إهتمام هذه الفئة بهذه النشاطات و هم يتنقلون حتى من ولايات أخرى لمشاهدة الإستعراضات العيساوية و كذلك هي بالنسبة للإناث حيث كانت النسبة 37.1% و هي غير بعيدة عن الجنس الآخر و سنستعرض أهم الملاحظات فيما يخص الحضرة العيساوية التي تحصلت عليها من طرف الحاضرين لها و كذلك عن طريق أشرطة فيديو مسجلة للحفلات .

[1] - Raymond Aron ,les étapes de la pensée sociologique,op.cit, p347-357.

ج- الحضرة العيساوية :

ظهرت الطريقة العيساوية كما ذكرنا سابقا بمكناس و لها تفرعات ليس فقط بشمال إفريقيا و إنما في مصر و سوريا و الحجاز و قد أسسها الشيخ الهادي بن عيسى و أصلها شاذلي و جازولي في نفس الوقت و هي من الطرق الصوفية السنية، و تكتسي الحضرة أو العمارة في هذه الطريقة أهمية أكبر من حيث الأفكار أو الزهد و الهدف منها هو الوصول إلى الفناء بفقدان الوعي و هذا بواسطة حركات إيقاعية عنيفة و مستمرة و مع هذا فإن الحضرة يسبقها الذكر و هي تسمى بالموسم أيضا، و الحضور فيه يكون من مختلف البلدان التي يتواجد بها أتباع هذه الطريقة و البعض منهم له قدرة علاجية و بالخصوص علاج الشلل البسيط (paralysie) بواسطة وضع اليد على المكان أو التفل عليه أو الدّلك بذكر الله و الصلاة على رسول الله و ذكر الأولياء الصالحين كما روى لي أحد المجربين كما أنهم يروضون الأفاعي مدعين العلاج بها و منح الوقاية من لسعتها عن طريق كما يسمى" السقي"، كما أنهم يقومون أيضا بإخراج العارض من السحر و المس الذي يصيب الإنسان و في الآخر لهم عادة تكمن في منح لكل مريد جديد اسم حيوان و يطلبون منه أن يقلد سلوك هذا الحيوان أثناء الحفل .

*و يقام دائما هذا الحفل السنوي بزاوية سيدي الجازولي و في المسجد تقام طقوس الاستقبال الحضرة النبوية و تتم هذه العملية بنشر بساط أخضر يجلس حوله المريدون و يمضون وقتا طويلا في الذكر و السماع و تقوم الحضرة و هي مخالفة للطريقة التي تقوم بها الحضرة الممشاوية فيخرج المريدون إلى الساحة الشاسعة التي تتوسط فضاء الزاوية و كل فرقة تقوم بحضرة خاصة لها و سنذكر أهم الملاحظات التي ذكرت لي و التي جرت في إحتفال سنة 2007[1] :

1-أستخلصت الملاحظات من أقوال بعض المشاركين في الإحتفالات و السكان القاطنين بالزاوية و كذلك الاستعانة بأشرطة مسجلة لبعض الهاويين و أحفاذ الشيخ الجازولي.

- فهذا مريد صدره عار يقوم بحضرة فردية و عيناه مغلقتان هو من الأتباع الموجودين بالعاصمة يسعى إلى إخراج العسل من أصابعه و يبقى الصدر عاريا لكي لا يتهم بإخراجه من كم قميصه .

– و في جهة أخرى جماعة متكونة من ثلاث مريدين أرجلهم حافية ينتظرون ساعة حول النار مشتعلة و بعد وقت معين يدوسون الجمرات بدون أن تحترق أرجلهم و كأن الإحساس مخدر عندهم و هناك من يقوم بوضع الجمر على لسانه فلا يحدث له شيء .

– و في مكان آخر تقوم جماعة أخرى بحضرة خاصة بتحريك السيف و بعد وقت وجيز يضرب أحدهم ساقه بالسيف فتجرح رجله بجروح واسعة و يمرر لسانه على كف يده اليمنى ثم يمررها على الجرح فيختفي كأنه لم يكن حدث و يقوم أيضا بضرب السيف في بطنه و لا يحدث شيء.

– و هناك جماعة أخرى تستعمل البندير و الدف و أحدهم يعزف على المزمار و يروضون على إثر أنغامها أنواعا من الأفاعي ثم يأخذ كل واحد منهم أفعى و يجعل رأسها و فمها مفتوحا أمام لسانه فلا تفعل له شيئا و هو يداعبها .

– و تمضي هكذا الليلة أحيانا حتى الصباح و يفترق الجمهور الحاضر على طعام الكسكسى المحضر للمناسبة من طرف النساء المحبات للطريقة .

* لقد تعرضنا لأهم الطقوس التي تقام على شرف الولي الصالح الموجود بالزاوية أو شيخها الحالي سواء كانت الممارسة لها فردية أو الجماعية حيث أن الزائرين الذين يقصدون الزاوية يتقدمون إليه بصلواتهم و عطاياهم ووعودهم مقابل تنفيذ طلباتهم, هذه الطقوس تشكل بالنسبة للعديد من الزائرين فرصة اللقاء و التآخي و التأليف بين الأهالي من الريف مع سكان المدن و من جهة هذه الطقوس تمارس لتخليد روح و مآثر الشيخ و سبب اللجوء إليه و قد لاحظنا أن الطقوس مرتبطة كذلك بالمستوى الثقافي للزائر فالطبقة الدنيا تلجأ إلى الولي كوسيلة للتنفيس و

الوصول إلى الخشوع و تجاوز متاعب الحياة , بينما الطبقة المتوسطة فتعتبر زيارة الزوايا دافع يخفف من حدة التناقص الوجداني و هذه الطبقة من الطبقات المعاصرة لكن ليست المعاصرة التي تؤدي إلى فقدان هويتها إذ أنها أكثر ارتباطا بالأصالة أو النظام الثقافي التقليدي، أما الطبقة العليا فتنظر إلى زيارة الشيوخ و الزوايا بنظرة محافظة, فهي على المستوى الشعوري ترفض هذه الظاهرة لأنها تحول بين التقدم و التطور و على المستوى اللاشعوري فهي تلجأ إلى الزيارة خوفا من فقدان الذات و الهوية.

2- اختلاف الزيارة بين الجنسين :

جدول يبين نسبة اختلاف الزيارة الزاوية بين الجنسين :				
الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	60	40	100
	%	60.0%	40.0%	100.0%
أنثى	التكرار	52	48	100
	%	52.0%	48.0%	100.0%
المجموع	التكرار	112	88	200
	%	56.0%	44.0%	100.0%

إن الأخذ في الإعتبار التنوع العريض بالنسبة للإعتقاد الديني المتعلق بالزوايا كمؤسسات دينية و الطقوس التي تحدث داخلها أثناء زيارة الناس لها وكذالك الممارسات المشتركة بين الجماعات التي نجدها تختلف بين الجنسين داخل المجتمع الواحد حيث نجد أن هذا التباين له أهمية كبرى حيث قدرت نسبة الذين أكدوا على وجود هذا الإختلاف من كلا الطرفين بـــ 56.0% و هي نسبة تعبر

عن مدى محاولة الجنسين إبقاء دائما مجالات و ممارسات رجولية و أخرى أنثوية ليتكررالتأكيد على أننا دائما نجد ذلك الانقسام إلى عالمين و لو في المجتمع الواحد و لو كان ديني الذي لا يفرق بين المرأة و الرجل و لكن الحتميات اليومية هي التي تصوغ و تكون العلاقات المتنوعة والأهداف بالنسبة للطرفين حيث أننا نستنتج مثلا أن الطقوس الصوفية كالسماع و الحضرة لها عدة وظائف مهمة للمجتمع و للفرد بفتح مجال الفسحة و الفرجة للترويح عن النفس لدى الزوار بالنسبة للجنسين خاصة القاطنين بالمدن و تقوية الروابط بين المريدين و بين الزاويا و عامة الناس الذين سيحاولون الإهتمام بهذه الأمور إضافة إلى نيل البركة كما يرون و قضاء الحوائج، و لا ننسى طبعا العلاج لأنواع من الأمراض التي يعجز الطب عن علاجها كعملية الرقية بالطريقة الشرعية و سنحاول إبراز أهم الفروقات في العناصر الآتية .

1.2- من حيث طقوس الزيارة الممارسة :

جدول يبن إختلاف طقــوس الزيـــارة بين الجنسين

الجنس		لا أمارس	النية	الصلاة +القرآن	وضـــع النقود	نشـــايع بالحرم	أخرى	متعدد	المجموع
ذكر	التكرار	20	8	18	12	3	11	6	78
	%	25.6%	10.3%	23.1%	15.4%	3.8%	14.1%	7.7%	100.0%
أنثى	التكرار	24	12	8	9	15	14	8	90
	%	26.7%	13.3%	8.9%	10.0%	16.7%	15.6%	8.9%	100.0%
المجموع	التكرار	44	20	26	21	18	25	14	168
	%	26.2%	11.9%	15.5%	12.5%	10.7%	14.9%	8.3%	100.0%

إن إختلاف ممارسة طقوس الزيارة بين الجنسين ليست متباينة كثيرا حسب الجدول المخصص لها على غرار تباينها حسب المستوى الثقافي الذي كلما كان عالي امتنع المتحصلين عليه من ممارسة أي طقوس أو سلوكات تخل بمستواهم العلمي فنجد أن كلا الجنسين سواء الذكور بالنسبة 25.6% أو الإناث بنسبة 26.2% يمتنعون عن ممارسة أي طقس حتى و إن كان له حق الجواز أي بمعنى ليس له علاقة بالبدع، أما فيما يخص الممارسات الأخرى فإننا نجد أنه لدى الذكور أهمية في اللجوء إلى الزوايا مع تفضيل الصلاة ركعتين في المسجد الموجود بالزاوية قبل الدخول عند السيخ و كذلك قراءة القرآن بالمكان و يكون ذلك بنسبة 23.1% من المبحوثين الذين يفضلون هذه الطرق لتأتي بعدها الإعانات عن طريق المبالغ المالية كسلوك يدل على الكرم لدى الزائر بنسبة 15.4% و كذلك التأكيد على إدخال مواكب الأعراس التي تجرى بالمنطقة إلى الزاوية هذه هي أبرز الممارسات التي يفضلها الذكور أما عن الإناث فإننا نلاحظ أن وجوب النية التي هي شرط أساسي للزيارة تمارس بشكل كثيف و أحيانا ضروري لتكون زيارتها رسمية و تتحصل على نتائج مرغوب فيها بنسبة 13.3% و تأتي بعدها التحية الخاصة بالأماكن التي لها علاقة بالقداسة المشايعة بالحرم بنسبة 16.7% لتكون بذلك تجاوزت المرحلتين الرئيسيتين في عملية الزيارة و بعدها المرور عند شيخ الزاوية بطقس آخر تكون ممارسة مشروطة بهدف من الزيارة بدءا بالدخول بالرجل اليمنى و يقول نور الدين طوالبي في توضيح هذا الأمر على حد كبير مهمة الطقس و مجمل الطقوس الكامنة بشكل عام في إنشاء علاقة حميمة معقولة " عالم الحياة العادية و عالم الأجداد و عالم الألوهيات الأسطوري " .

2.2- من حيث غرض الزيارة :

جدول يبين إختلاف الزيـــــارة بين الجنسين من حيث غرض الزيارة :										
الجنس		التبرك	الزواج	الصلح	العلاج	المشاكل	الوساطة	العمل	الترفيه	المجموع
ذكر	التكرار	12	6	9	7	6	7	6	7	60
	%	20.0%	10.0%	15.0%	11.7%	10.0%	11.7%	10.0%	11.7%	100.0%
أنثى	التكرار	6	11	7	11	8	2	2	5	52
	%	11.5%	21.2%	13.5%	21.2%	15.4%	3.8%	3.8%	9.6%	100.0%
المجموع	التكرار	18	17	16	18	14	9	8	12	112
	%	16.1%	15.2%	14.3%	16.1%	12.5%	8.0%	7.1%	10.7%	100.0%

ننتقل بعد التعرض للإختلاف الموجود في طقوس الزيارة إلى المواضيع التي تجعل الناس يلجئون إلى الزوايا فنجد النساء تلجأ بالدرجة الأولى من أجل الزواج كسبب رئيسي فالمتأخرة فيه و كذلك التي تحدث لها عراقيل في إتمام هذا الموضوع بنسبة 21.2% وكذلك من أجل العلاج سواء للعاقر التي تبحث عن حلول للإنجاب و كذلك الأمراض المتعلقة بالسحر و المس الجني و غيرها بنسبة 21.2% و كلها تعالج إما بالرقية الشرعية من طرف الشيخ أو بالماء الموضوع فيه التراب و يخلط و يتفل فيه أو بالتمائم و كذلك اللجوء من أجل البحث عن الحلول لمشاكل مختلقة مثل المشاكل الزوجية و قضايا الطلاق بنسبة 15.4% فإنها تمثل مدى تفضيل هذه المؤسسة من طرف النساء في إستشارة الشيخ في قضايا عديدة تخص حتى حياتهم الشخصية، لننتقل بعدها إلى الجنس الآخر و أهم مواضيعه التي تجعله يتصل بالزاوية و من بينها مسألة التبرك التي تحتل المرتبة الأولى بنسبة 20.0% كسبب رئيسي في ذهابهم ليضاف إليها قضايا الصلح بنسبة 15.0% إما مشاركين في عملية الصلح لمختلف المشاكل و حل النزاعات أو

كطرف هو بذاته يبحث عن الصلح أو حل مشكل عمل قضية إرث و غيرها ، ثم بعد ذلك نجد أنه كل من الوساطة و البحث عن عمل و البحث عن الراحة و الترفيه مواضيع مميزة للجوء إلى شيخ الزاوية لأنه في هذه الحالة نرى أن الفئة متوسطة العمر هي التي تحاول التقرب بهذه المواضيع للزاوية ،كما أنه موضوع العلاج يبقى القاسم مشترك المهم بين الجنسين لكون أنه أيضا يأخذ العنصر الرجالي للرقية .

3.2- من حيث يوم الزيارة :

جدول يبين إختلاف الزيـــــارة بين الجنسين من حيث يوم الزيارة :

الجنس		السبت	الخميس	الجمعة	كل أيام الأسبوع	وقت الفراغ	أيام العطلة	المجموع
ذكر	التكرار	10	11	13	12	6	8	60
	%	16.7%	18.3%	21.7%	20.0%	10.0%	13.3%	100.0%
أنثى	التكرار	7	7	15	13	7	3	52
	%	13.5%	13.5%	28.8%	25.0%	13.5%	5.8%	100.0%
المجموع	التكرار	17	18	28	25	13	11	112
	%	15.2%	16.1%	25.0%	22.3%	11.6%	9.8%	100.0%

اليوم المفضل للزيارة هو أيضا فارق مهم في إختلاف الزيارة بين الجنسين رغم أننا نلاحظ أن اليوم المفضل لكلا الطرفين و بنسب متقاربة و هي متمثلة بالنسبة للذكور بـــ21.7% و الإناث بـــ28.8% هو يوم الجمعة كونه يوم عطلة الأسبوع و كذلك اليوم الوحيد الذي تكون فيه الأسرة مجتمعة لذا تكون الزيارة جماعية فأغلب المبحوثين صرحوا لي بأنهم يفضلون صلاة الجمعة بحضور الشيخ و مشاركة أهل الزاوية هذه الصلاة و كذلك كثرة الزوار بهذا اليوم و هو مهم للتعارف إضافة إلى كون هذا اليوم مبارك و هو مقدس كونه عيد المسلمين و كذلك العديد من الزوار يفضلونه لأنه يوم تقضى فيه الحاجات و هو عادة مهمة

في أصل الزيارات، أما عن الأيام الأخرى فنجد أن الرجال يفضلون كل من الخميس بنسبة 18.3% كونه يمثل كذلك يوم عطلة فيما سبق و يوم السبت بنسبة 16.7% لأنه حاليا أصبح يوم راحة و لكننا نضيف أنه في هذا اليوم الزيارات قليلة و ربما هناك من يفضله لعدم الإختلاط .

أما بالنسبة للعنصر النسوي نجدهن يفضلن بنسبة كبيرة يوم الجمعة أو إنهن يلجأن للزاوية كل أيام الأسبوع و التي تتمثل نسبتها بـــ 25.0% و تعني أنه كلما طرأ مشكل أو رغبتهن في الزيارة هي التي تحدد اليوم و أحيانا لا يسعهن الإنتظار حتى يأتي يوم الجمعة كما أنه هناك التي تأتي للزيارة عبر موعد محدد كما أنه هناك من تفضل قضاء حوائجها في السر و أيام الثلاثاء و الأربعاء مناسبين لعدم كثرة الزوار .

4.2- من حيث وقت الزيارة :

جدول يبين إختلاف الزيـــــــــارة بين الجنسين من حيث وقت الزيارة :

الجنس		صباحا	مساءا	غير محدد	وقت الفراغ	حسب الغرض	المجموع
ذكر	التكرار	13	12	14	12	8	59
	%	22.0%	20.3%	23.7%	20.3%	13.6%	100.0%
أنثى	التكرار	20	8	10	7	7	52
	%	38.5%	15.4%	19.2%	13.5%	13.5%	100.0%
المجموع	التكرار	33	20	24	19	15	111
	%	29.7%	18.0%	21.6%	17.1%	13.5%	100.0%

يختلف وقت الزيارة بين الجنسين كون وقت الزيـــارة متعلـــق بموضـــوع اللجوء للزاوية فإذا كنت فقط تريد الذهاب من أجل التبرك أو التعرف على الشيخ و زاويته فهذا غير مهم و يمكنك الذهاب وقت ما تشاء فالرجال يصرحون بـــأنهم وقت الزيارة غير محدد بالنسبة لهم 23.7% لأن وقت الفراغ هو كعامل مهـــم و هو الذي يتحكم في وقت الزيارات التي تكون وقت ما يشاءون في المساء فـــي الليل أو النهار مع تفضيل أحيانا الصباح بنسبة 22.0% و لكـــن تبقـــى أحيانـــا المناسبات هي التي كذلك تفرض عليك وقت الزيارة فإذا كان مثلا الإحتفال فلا بد أن تذهب منذ الصباح للحضور .

أما عن النساء فنجدهن يفضلن لا محالة الصباح في رحلة الزيـــارة بنســـبة مرتفعة عن الجنس الآخر و التي قدرت حسب الجدول بـــ 38.5% متخذين حجة " ألي بْغ الدنيا يبكر و ألي بغ الآخرة يبكرْ " و هنّ يستعملن هذه الحكمة في جميع المجالات لقضاء حوائجهن حسب ما صرحت لي إحدى المبحوثات ، كمـــا أنـــه توجد فئة منهن تشير أن وقتهن غير محدد بنسبة 19.2% و أنه عنـــدما ترغـــب بالزيارة المهم أن تثبت نيتك هذه أغلب السمات التي تحدد وقت الزيارة

5.2- من حيث مدة البقاء في الزاوية :

جدول يبين إختلاف الزيـــــارة بين الجنسين من حيث مدة البقاء في الزاوية :

الجنس		يوم كامل	نصف يوم	ساعات	مدة قصيرة	حسب الرغبة	المجموع
ذكر	التكرار	8	7	17	20	8	60
	%	13.3%	11.7%	28.3%	33.3%	13.3%	100.0%
أنثى	التكرار	9	11	14	11	7	52
	%	17.3%	21.2%	26.9%	21.2%	13.5%	100.0%
المجموع	التكرار	17	18	31	31	15	112
	%	15.2%	16.1%	27.7%	27.7%	13.4%	100.0%

إن مدة البقاء في الزاوية تتداخل فيها عدة عوامل لتتحكم بها مثل موضوع الزيارة و المدة التي تكفي في حل المشكل أو قضاء الغرض فعند النساء تتباين بين قضاء يوم كامل بنسبة 17.3% لأنهن أحيانا يذهبن جماعات لقضاء يوم نسوي للزيارة و تحدث التعارفات المختلفة فيه و كذلك هناك من تفضل الإغتسال بالحمام الموجود بالزاوية لذلك تقضي كل اليوم ليكفيها الوقت و كذلك نجدها أحيانا تكتفي بقضاء نصف اليوم الذي لوحظت نسبته المبينة في الجدول بـــ 21.2% إذا لم يكن لديها إنشغالات عديدة و إذا لم يكن كذلك يتوفر لها الوقت .

أما عند الرجال فنجدهم يقضون بالزاوية إما ساعـــات محدودة تقدر بنسبـــة 28.3% و هنا نلاحظ أن هذه الزيارات تسمى الزيارات الخفيفة أو فقط لمدة قصيرة متمثلة بنسبة 33.3% و هي كما ذكر لي أحد المبحوثين تسمى الزيارات التفقدية للشيخ دون أن نجد طلبات خاصة.

لكن نلاحظ أيضا من خلال نتائج الجدول أنه كلا من الجنسين يعتمدون على الرغبة كعامل هام في تحديد مدة الزيارة و البقاء في الزاوية فنجد النسبة المتعلقة بالطرفين متقاربة فعند الذكور هي 13.3% و عند النساء هي 13.5% ، إذن إنهما يشتركان فهذا العامل خاصة إذا كانوا الزوار عبارة عن عائلات أو تجمعات نسوية كالرحلات ، أو موكب عمل خاص ،أو الجمعيات التي أحيانا تتوافد على الزاوية .

6.2- من حيث الأشياء التي تؤخذ للزيارة :

جدول يبين إختلاف الزيـــــارة بين الجنسين من حيث الأشياء التي تِؤخذ للزيارة :

الجنس		المال	إعانات متنوعة	أضحيات	الخضر و الفواكه	قارورات الماء والمشروبات	وسائل البخور	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	13	17	6	8	7	3	6	60
	%	21.7%	28.3%	10.0%	13.3%	11.7%	5.0%	10.0%	100.0%
أنثى	التكرار	7	15	6	9	3	7	5	52
	%	13.5%	28.8%	11.5%	17.3%	5.8%	13.5%	9.6%	100.0%
المجموع	التكرار	20	32	12	17	10	10	11	112
	%	17.9%	28.6%	10.7%	15.2%	8.9%	8.9%	9.8%	100.0%

تختلف اللوازم و الأشياء التي تؤخذ للزيارة هي الأخرى بين الجنسين لكن بنسب متقاربة حتى لدرجة أننا نستطيع القول أنه لا يوجد فرق في هذا العنصر حيث إننا نجدها تتنوع من حيث الغذاء و لوازم السياحة و كذلك لوازم الإستعمالات المختلفة، كما أننا نستخلصها في مايلـــي :

فكل الزائرين اللاجئين للزاوية نجدهم يعتبرون أنفسهم و كأنهم ضيوف من نوع خاص و نرى بأنهم يحاولون أخذ لوازم الضيافة التي تؤكد عليهن النسوة متنوعة في إعانات متنوعة بنسبة 28.8% و متمثلة في الحلويات تصنع في المنزل السكر و القهوة و الشاي وأكياس الكسكس لمساعدة الزاوية في تحضير الطعام للضيوف و كذلك الخضر بنسبة 17.3% لتحضير الكسكسى يوم الجمعة و تضيف إلى كل هذا و سائل البخور من جاوي و شموع و غيرها بنسبة 13.5% فهي الفارق الوحيد بينها و بين الجنس الآخر .

عند الذكور نجدهم يميلون إلى أخذ مختلف أنواع الأضحيات لمساعدة الزاوية و إكرام الضيوف بنسبة 10.0%، كما أنهم يساعدون بالخضر و الفواكه و كذلك قارورات الماء و المشروبات المتنوعة بنسبة تمثلت في 11.7% إضافة إلى إعانات أخرى متنوعة .

* هذه هي أهم الملاحظات فيما يخص إختلاف زيارة الزاوية بين الجنسين و بالأخص ممارسة الطقوس التي ترجع بالأساس كون هناك طقوس خاصة للنساء و غير مرغوب فيها عند الرجال و هناك طقوس هامة بالنسبة للذكور لكن تشاركهم فيها الإناث أحيانا كالصلاة داخل المسجد و قراءة القرآن .

3- الزوايا و علاقتها بـــ "البدع و الخرافات" :

إن الزوايا كمؤسسات دينية مهمة في تنظيم المجتمع و كذلك وظيفتها في خلق الأشكال المختلفة للتضامن و التلاحم بين لمنتميين إليها و اللاجئين إليها من كل الفئات، فهي قامت منذ نشأتها بأدوار متنوعة و التاريخ يشهد لها بذلك، أما فيما خص علاقتها بموضوع البدع و الخرافات الذي تمثل في كون العديد من الممارسات التي تحدث في مجالها فهي التي جعلتها موضع شك و ريب كون العديد من الطقوس لها علاقة بخرافات أسطورية حيث يقال أن "البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية، و إنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع و إليه يضيفها صاحبها، تضاهي الشريعة كونها تشابه الطريقة الشرعية "[1] ، إذن البدع كانت دائما تظهر بجانب الأمور الدينية و تبرز خاصة في الممارسات غير شرعية،

[1]- محمد رضا: الإسلام و المدنية، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، 1976 ، ص 21 .

و قد إنتشرت البدع في الدين و المجتمع الإسلامي مع أن الشرع يحرمها و سبب إنتشارها تكاثر المعاصي و نجد أيضا تفشي الجهل في الأمم وهو يعد سبب الرئيسي لكل بدعة و ضلالة، و الحقيقة أن هذه البدع و الخرافات سواء كانت في الأمم الإسلامية أم أمم أخرى نشأت منذ زمن طويل و ظلت بمضي السنين تتسع إلى أن بلغت حدا من الرسوخ في النفوس "ولا يمكن إستأصاله، ومن تعرض لمقاومتها و إبطالها، عرض حياته للخطر أو السخط من طرف العوام،.....، إذ يعتبر الطاعن فيها كالطاعن في الدين نفسه"[1]

* كما لا يخفى علينا أنه هناك من ينتفع بانتشار هذه البدع و العادات المنسوبة للدين خاصة تلك تمارس في الإطار الديني و تحت مشروعيته مثل ما يحدث في الزوايا من ممارسات ليست لها صلة بالدين كتقديم الأضاحي من طرف الزائرين و تقديم الهدايا المتنوعة و كذلك الإستنجاد بالشيخ كوسيط في عدة أمور، و كذلك تفضيل يوم الزيارة و الوقت و غيرها من المحدثات البدعية ، و من أجل هذه الخرافات هناك من يرفض زيارة الزوايا أو يمنع أفراد عائلته بالذهاب إليها و لو للاكتشاف ، و هناك آراء مختلفة حول أهمية الزاوية و كذلك علاقتها بالبدع التي يظهرها الجدول التالي :

[1]- محمد رضا: نفس المرجع السابق ، ص23 .

جدول يبين رأي اللذين يعتبرون الزوايا من البدع و الخرافات

الجنس		إنسان واعي	إنسان جاهل	ليست كلها	ينكرها	حسب الاعتقاد	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	28	32	11	5	24		100
	%	28.0%	32.0%	11.0%	5.0%	24.0%		100.0%
أنثى	التكرار	17	36	11	8	21	7	100
	%	17.0%	36.0%	11.0%	8.0%	21.0%	7.0%	100.0%
المجموع	التكرار	45	68	22	13	45	7	200
	%	22.5%	34.0%	11.0%	6.5%	22.5%	3.5%	100.0%

كان تساؤلنا هنا مطروح بغرض معرفة رأي المبحوثين حـــول الزوايـــا و الذين يعتبرونها من الأماكن التي لها علاقة بالبدع و الخرافات فلاحظنا من خـــلال الجدول أنه تنوعت المواقف و الآراء حيث أنه كلا الجنسين رفضوا إعتبار هـــذا المكان مقر البدع و أنه من يوافق على هذا الأمـــر فهـــو إنســـان جاهـــل بنســـبة 32.0% للذكور و الإناث بـــ 36.0% فهو جاهل لـــدورها و أهميتهـــا و كـــذلك وظيفتها الحالية و يمكن اللجوء لها لكن ذلك يكمن حسب الإعتقاد فيها و ما هـــي نوايا الزائر و كذلك ممارساته و قد تمثل هذا الرأي بنسبة 24.0% للـــذكور، أو إنه إنسان واعي لأنه حكم عليها بما رآه فيها من سلوكات غير حضرية ، و كذلك اشتركا الجنسين بإعطاء رأي حولها بنسبة 11.0% أي لا يمكن إعتبـــار جميـــع الزوايا أوكار للبدع لأنها تساهم بشكل في الحفاظ على مقومات المجتمع و عاداتـــه و تقاليده .

المبحث الثالث : مكانة زاوية سيدي الجازولي عند الزوار

1- مكانة الشيخ :

جدول يبين مكانة شيخ الزاوية									
الجنس		رجل دين	قاضي عرفي	إنسان حكيم	راعي المنطقة	قدوة المجتمع	شخص عادي	آخر	المجموع
ذكر	التكرار	24	6	9	10	18	7	14	88
	%	27.3%	6.8%	10.2%	11.4%	20.5%	8.0%	15.9%	100.0%
أنثى	التكرار	23	12	6	11	20	11	7	90
	%	25.6%	13.3%	6.7%	12.2%	22.2%	12.2%	7.8%	100.0%
المجموع	التكرار	47	18	15	21	38	18	21	178
	%	26.4%	10.1%	8.4%	11.8%	21.3%	10.1%	11.8%	100.0%

تتمثل مكانة الزاوية في المجتمع بمكانة شيوخها و الوظائف التي يقومـــون بها على مر العصور فهم دائما يحضون بإمتيازات خاصة كونهم يمثلون الســـلطة الدينية التقليدية و كما خصص فيبر جـــزءا كبيـــرا مـــن أعمالـــه لتوضـــيح دور "الكاريزما" كقوة أساسية و دافعة للتغير الاجتماعي، و كنقطة بداية نقول أن فيبـــر ميز بين ثلاث أنساق قيمية أو إعتقادات و التي تحدد بدورها سمات الســـلطة و شرعية القوة التي تسمح بالتغير.و أول هذه الأنساق أو الاعتقادات هو الســـلطة التقليدية و التي تأخذ شرعيتها من قدسية التقاليد و نسق القيم القـــائم تحـــت هـــذه السلطة، فشيخ الزاوية كما قال عنه Jean Copans في دراسة حول الإسلام فـــي السنيغال، أنه الرئيس التقليدي و حوله تتكون الخلفية السوداء لتنظيم المجتمع "[1]

[1] - Jean Copans, Les Marabouts de l'Arachide ,l'harmattan, paris ;1988,p33.

فإن صفات التي يتحلى بها الشيخ من صلاح و تقوى هي التي تبرر وساطته مـــع الله في التمثلات الشعبية، فاعتباره رجل دين و قدوة المجتمع و الإنســـان الحكـــيم تضفي عليه المزيد من المكانة و المرتبة العالية في المجتمع ليكون قاضيه و وليه ، ففي الدراسات التي قام بها كل من نور الدين طوالبي و عبد الرحمن موســـاوي حول الموضوع بالجنوب الجزائري لاحظ في إحدى القرى أن دافـــع الإخـــلاص للأولياء هو الذي يحركهم و يقويهم و يدفعهم للجوء إليهم و التمـــاس وســـاطتهم ، فأغلبية المستجوبين أكدوا على زيارتهم للولي لا يمكن التخلي عنها و أن الولي في نظرهم هو الممثل الشرعي لله ....." إذن هو الممثل الرسمي للدين في المجتمع .

2- مكانة الزاوية :

جدول يبين مكانة الزوايا في نظر المبحوثين

الجنس		أماكن مقدسة	أماكن التبرك	أضرحة الأولياء	تراث ديني و ثقافي	مؤسسات إج وسياسية	بدع وخرافات	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	15	10	9	23	21	9	12	99
	%	15.2%	10.1%	9.1%	23.2%	21.2%	9.1%	12.1%	100.0%
أنثى	التكرار	18	9	10	21	23	6	7	94
	%	19.1%	9.6%	10.6%	22.3%	24.5%	6.4%	7.4%	100.0%
المجموع	التكرار	33	19	19	44	44	15	19	193
	%	17.1%	9.8%	9.8%	22.8%	22.8%	7.8%	9.8%	100.0%

سنعالج في هذا العنوان تمثلات و آراء المبحوثين حول مسألة الزاوية و ماذا تعني لهم و كيف يتصورونها، حيث أعتبر العديد من أفراد المجتمع الزوايا من المؤسسات الإجتماعية و الثقافية و السياسية و هذا ما تؤكد عليه النسب حسب الجدول و المتمثلة في 24.5% للوظائف التي تقوم بها داخل المجتمع كما أنه كذلك تعتبر تراث ديني و ثقافي لدى المبحوثين بنسبة 23.2% لما خلدته من مآثر على مر نشأتها، لكنها تعتبر أيضا أماكن مقدسة التي تتجلى في فضائها الممارسات الدينية المحضة خاصة داخل المسجد الذي يستمد قدسيته من مبدأ الطهارة الأرض في الإسلام لقوله تعالى" في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها إسمه، يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال"[1]،كما أن الجدول يبرز شكل آخر من المقدسات جملته الاعتقادات الصوفية من تراث الثقافات الإنسانية القديمة و كان للمخيال الشعبي إسهاما في بلورة ملامحها إنها أيضا أضرحة الأولياء سواء كان حاضرا أو بعد مماته ليصبح مزارا يتطلب الطهارة الروحية و الجسدية حسن النية و طقوس خاصة تكون ضرورية لإتمام الزيارة و من الإسنتاجات أيضا التي خلصنا إليها من خلال الجدول و المقابلات التي أجريتها مع المهتمين بهذه المؤسسات فلاحظنا أنه قد تفاوتت أنظار الناس إلى العلاقة الموجودة بين الزاوية و المجتمع فذهب بعضهم إلى أن الزاوية بالنظر إلى قدسيتها و طهارة محلها وسمو رسالتها مثلها مثل المسجد ينبغي أن لا يدنس بآفات الزمان و أن لا يتدخل في شؤون المجتمع و مشاكله .

" فالمجتمع غدا له نظام مستقل تسيره مؤسسات دستورية شرعية و أخرى إجتماعية تتكفل بالتسيير و السياسة و شؤون المجتمع الأخرى كون لا يمكنها أن تتجاوز المؤسسة التربوية و برامجها حتى لا يحدث خلل في تعلم أفراد المجتمع و لا المؤسسة الصحية و هي تقوم بحملات التوعية الصحية و لا نتصورها و هي

[1]- القرآن الكريم: سورة النور، الجزء الثامن عشر،الآية .36

تصلح ذات البين إلا و هي تستحضر قوانين الجمهورية في إصلاح الخصومات و فض النزاعات"[1] فالعديد من قال بأنه " يجب خلق تكامل بين المؤسسات ليحدث التكافل الإجتماعي فموقف الزوايا من الإعتداءات الإرهابية و كذلك المشاركة في معالجة عدة مشاكل إجتماعية يجعلها تطالب بالإهتمام بها .

كما أنها تحضى بقدر كافي من الآراء و نصنفها نحن إلى فئتين :

الفئة الأولى : تنظر إلى مختلف الزوايا على أنها جميعا أوكار البدع و الخرافات و معاقل العادات السيئة التي تجعل الإنسان متعلق بالخرافات و تلصق به التخلف كالجهل و الخوف و الخضوع و التواكل فالزوايا التي هي على غير قصد نبيل و من خلالها تمارس أنواع من الشعوذة و الدجل و الخداع و غيرها و في هذه الحالة القائمون عليها يستغلون ضعاف العقول فيتفننون في أساليب المكر و الخداع الاحتيال عليهم.

الفئة الثانية فهي تراها جميعها مراكز الإشعاع الروحي و العلمي و الثقافي في الإسلام و منابع الهداية و الفضيلة و الأخلاق و فضاء لحماية العقيدة الإسلامية ، وقد قيل في هذا الصدد " إن الذين يتلقون تعليمهم في الزوايا أنفع للعباد و البلاد ممن يتعلمون في المدارس لأنهم موقع الثقة لناس و إحترامهم لما هم عليه من الأخلاق و الحرص على الدين بالإضافة إلى أنهم لا يدرسون لنيل الشهادات رغبة في المناصب بل تقربا إلى الله لنفع الناس و طمعا في الثواب عند الله " .[2]

فالزوايا هي الفضاءات التي أنشأت لعبادة الله تعالى و تحفيظ كلامه و الحديث الشريف و تعليم الدين الإسلامي الحنيف و نشر القيم و الفضائل الإسلامية و مؤسسوها هم شيوخ كانوا أصحاب الرسالة الإسلامية .

2- مجلة رسالة المسجد ، مقدمة المجلة ،السنة السابعة – العدد الأول ،جانفي 2009 ،وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، ص 5 .

1- مجلة رسالة المسجد : د. نذير حمادو : دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية و الوطنية، السنة الثامنة – العدد الثاني ،فيفري 2010 ،وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، ص77.

3-الزوايا و إستمراريتها :

إستمرت الزوايا كمؤسسات و فضاء مغاربي هام منذ نشأتها و يرجع سبب ذلك لعدة عوامل من بينها أدوارها التاريخية و خدماتها الثورية و الإجتماعية و مشاركاتها السياسية و أنشطتها الثقافية من أجل أفراد المجتمع و ما سر إستمرارية زياراتها من طرف أفراد المجتمع إلا دليل على تمسكهم بهذه المؤسسة التقليدية و الحديثة في نفس الوقت خاصة و أنها تواكب التطور بتحديث برامجها وتنويعها لتبقى في خدمة المجتمع و تتداخل أيضا عوامل أخرى ساعدت على إستمراريتها مثل :

أ- ذهاب الأطفال إلى الزوايا :

تمثل نسبة العائلات التي تأخذ معها الأطفال إلى الزوايا بـــ : 73.8% و أغلب الاقتراحات ترد من طرف النساء(أنظر الجدول بالملاحق) و حسب الجدول التالي سنبين لماذا؟ تأخذ العائلات أطفالها إلى الزوايا ؟

جدول يبين سبب أخذ الأطفال للزوايا

الجنس		التبرك و الرقية	الإقتداء بالشيخ	التعود عليها	ضمان الاستمرارية	التعرف و الترفيه	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	5	11	11	9	6	4	46
	%	10.9%	23.9%	23.9%	19.6%	13.0%	8.7%	100.0%
أنثى	التكرار	11	10	9	11	11	7	59
	%	18.6%	16.9%	15.3%	18.6%	18.6%	11.9%	100.0%
المجموع	التكرار	16	21	20	20	17	11	105
	%	15.2%	20.0%	19.0%	19.0%	16.2%	10.5%	100.0%

إن علماء النفس و الإجتماع في محاولتهم لفهم شخصية الإنسان و العوامل المحددة لها فقد حاولوا تفسيرها بدراسة أثر كل من العوامل البيولوجية على الشخصية " أثر الوراثة، و التكوين البدني، وطبيعة تكوين الجهاز العصبي و الجهاز الغددي و ما يفرزه من هرمونات متعددة " و في العوامل و الإجتماعية و الثقافية" تأثير خبرات الطفولة خاصة في الأسرة و طريقة معاملة الوالدين " كما إهتموا بتأثير الطبقات الإجتماعية و الثقافية مثل" المدرسة، المؤسسات الإجتماعية و الدينية" الجانب الروحي " و كذلك جماعات الرفاق و الأصدقاء في الشخصية .

ففي الجانب الديني نركز على تعليم الأسر لأطفالها الممارسات الدينية بدءا من تعليمهم حفظ القرآن ثم محاولة تعريفهم بالمسجد الذي يرغب العديد من الأطفال الإنخراط فيه لحفظ القرآن، ثم بعدها تعودهم على الذهاب إلى الزوايا برفقتها و ترغبهم في هذه الأماكن فالكثير من المبحوثين من لهم الرغبة في أن أطفالهم يقتدون بشيوخ الزوايا و هذا ما مثلته النسبة 23.9% إضافة لمسائل العلاج و الرقية و كذلك التعرف و الترفيه في نفس الوقت و كل ذلك من أجل ضمان إستمرارية هذه الأماكن .

ب- الدعوة إلى زيارة الزوايا :

جدول يبين قنوات التوجيه للزيارة الزوايا

الجنس		العائلة	الأقارب	الأصدقاء	متعدد	المجموع
ذكر	التكرار	25	16	26	23	90
	%	27.8%	17.8%	28.9%	25.6%	100.0%
أنثى	التكرار	35	15	22	14	86
	%	40.7%	17.4%	25.6%	16.3%	100.0%
المجموع	التكرار	60	31	48	37	176
	%	34.1%	17.6%	27.3%	21.0%	100.0%

تتنوع الدعوات و الإقتراحات للذهاب إلى الزوايا لكنها تختلف بالنسبة للجنسين فالذكور على سبيل المثال يفضلون الذهاب مع الأصدقاء أو زملاء العمل و هذا ما توضحه النتائج في الجدول فنسبة 28.9% تدل على أن الذكور لهم حرية الاختيار و تفضيلهم مرافقة أصدقائهم أما عن الإناث فنجد العائلة بنسبة 40.7% هي التي تلعب الدور الكبير في توجيه هذه الفئة و مرافقتها للزوايا فإننا نلاحظ أن ممارسات الفاعلين الاجتماعيين سواء كانوا أفرادا أو جماعات هي التي تؤول العلاقات الإجتماعية التي يشاركون فيها سواء عن طريق إستعمال الصداقة أو غيرها،" فأي حركية ملازمة للنسق الإجتماعي تؤثر في شروط تشكيله لإعادة إنتاجه بهدف ضمان إستمراريته ، و تدعمها القوى المحافظة "[1]

ج- تشجيع العائلة على الزيارة :

جدول يبين آراء المبحوثين حول ذهاب أسرهم للزوايا

الجنس		أوافق	أرفض	أحرار	بتحفظ	لا نؤمن بهم	تقليد متوارث	آخر	المجموع
ذكر	التكرار	33	7	17	7	10	8	7	89
	%	37.1%	7.9%	19.1%	7.9%	11.2%	9.0%	7.9%	100.0%
أنثى	التكرار	33	8	13	11	5	8	12	90
	%	36.7%	8.9%	14.4%	12.2%	5.6%	8.9%	13.3%	100.0%
المجموع	التكرار	66	15	30	18	15	16	19	179
	%	36.9%	8.4%	16.8%	10.1%	8.4%	8.9%	10.6%	100.0%

1- عبد العزيز راس الماء : المعروف المحدد بالمجال ، الجزائري و أسطورته ، م.و.ب.م.ا.ت ، الجزائر،2003 ،ص 31

طرحنا هذا السؤال في إستمارتنا بهدف التأكد ما إذا كان الأفراد بحق يسمحون لعائلاتهم بالذهاب إلى الزوايا خاصة بالنسبة للذكور غير أننا تحصلنا على نسبة 37.1% من الذين يوافقون على اللجوء إلى هذه الأماكن لكن بتحفظ و بنسبة 12.2% الذي يتمثل في الاعتقادات و الممارسات الطقوسية و كذلك عدم الإكثار من التردد عليها لكي لا تصبح عادة فهي تبقى في إطار تقليد ما ورثوه عن أجدادهم فقط و لا بد من الحفاظ عليه و مكان للتثقف في عدة أمور دينية ، كما أن حرية التصرف التي يمنحها الذكور بنسبة 19.1% لعائلاتهم دليل على عدم تمكن الأفراد من الابتعاد على هذه الأماكن و تبقى الزاوية الملجأ الديني و الثقافي و الإجتماعي لجميع أفراد المجتمع فاستشارة الشيخ في عدة أمور ضرورية و الحصول على البركة التي بها نسير أمورنا الحياتية كما ذكر أحد المبحوثين، و هنا من جعل منها أماكن التنزه و الترفيه، أما عن الذين لا يؤمنون بالزوايا فنسبتهم قليلة بين المبحوثين مثلهم مثل الذين يعارضون بنسبة 8.4% لكلا الجنسين كونهم يعتبرونها عادة سيئة و يمكن أن تتحول لعبادة و رمز لضعف الوازع الديني ،خاصة ونحن في عصر التطور و التمسك بها يجعلنا متخلفين ثقافيا.

* هذه أهم النقاط التي تجعل الفرد يستمر في ذهابه للزاوية و هي بذاتها ستحاول مواكبة التطور من أجل خدمة الفرد ،هذا الفضاء التقليدي الذي اخترق عدة مجالات حضارية و أجوائها الثقافية و حاول التكيف مع أفرادها دون إلغاء خصوصياتها الإثنية و الثقافية و الإجتماعية .

المبحث الرابع : تأثير الزاوية على الممارسات الثقافية لسكان المدينة

1-تأثير الزاوية على المترددين عليها :

جدول يبن نسبة تأثير الزاوية على الزوار				
الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	72	28	100
	%	72.0%	28.0%	100.0%
أنثى	التكرار	70	30	100
	%	70.0%	30.0%	100.0%
المجموع	التكرار	142	58	200
	%	71.0%	29.0%	100.0%

تتوزع القوى التأثيرية لزوايا كونها كانت منظمة و احتوت المجتمع ككل حتى تحولت إلى قوة دمج أساسية و مرجعية تنشئة دينية و إجتماعية مهيمنة لما لها من ينابيع التأثير في النفوس و العقول إما من خلال ذكرياتها التاريخية التي أنتجت نصوصا و صارت تراثا معرفيا تقاس على أساسه الأفكار التصوف الجزائري و كذلك من خلال الأساطير الشفهية التي إنتشرت هي بدورها و تواترت حفظا و ذكرا من شيوخا و من عاصروهم لتصبح طقوس الحضرة و الوعدة و الإحتفالات الأسبوعية و الموسمية و غيرها من مظاهر تأثير الزوايا على المترددين عليها فقد مثلت نسبة المبحوثين الموافقين على أن الزاوية تؤثر على المترددين عليها بـــ 72.0% عند الذكور و هي نفسها متقاربة عند الإناث فنتيجة ذلك أنها تجعل الأفراد الذين يترددون عليها بكثرة إما من أتباع الزوايا أو أحبابها أو مريديها أو من المهتمين لأمرها و لكننا نرى هذا التأثير للمؤسسات

الدينية أيضا في مجالات أخرى حيث " وبالرغم من إستقلال الأنظمة الاقتصادية و السياسية عن الدين في المجتمعات الحديثة إلا أن الدين مازال يمارس تأثيرا واضحا على هذه الأنظمة و قد يأخذ هذا التأثير الشكل الرمزي أو ظهور حركات تحاول تعبئة القيم الدينية المتوارثة و تحديثها لتقابل المشاكل الاقتصادية و السياسية المعاصرة[1].

و من بين المواضيع التي تؤثر الزاوية بها على زوارها تلك التي تظهر من خلال الآثار التي تدل عليها و سوف نستنتج أهمها من خلال الجدول التالي :

جدول يبين مظاهر تأثير الزاوية على المترديين عليها

الجنس		الناحية النفسية	التعلق بالخرافات	قوة الاعتقاد و الاستمرارية	عادة و عبادة	التوبة و التبعية	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	10	11	13	12	6	8	60
	%	16.7%	18.3%	21.7%	20.0%	10.0%	13.3%	100.0%
أنثى	التكرار	7	7	15	13	7	3	52
	%	13.5%	13.5%	28.8%	25.0%	13.5%	5.8%	100.0%
المجموع	التكرار	17	18	28	25	13	11	112
	%	15.2%	16.1%	25.0%	22.3%	11.6%	9.8%	100.0%

نحن نعلم جيدا أن مختلف الديانات عبر العصور قد قدمت مجموعة شعائر مارستها ضمن الوظائف التي كانت تؤديها من خلال مؤسساتها بغرض توفير

[1]- محمد أحمد بيومي : علم الإجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،مصر، 2008 ،ص 341 .

الراحة النفسية للأفراد كما أنها أنتجت عدة إعتقادات و فرت لتقوية الروابط بينها و بين المنتميين إليها كما أنها ساعدت أيضا على تقديم تفسيرات فكرية عامة أسهمت في تكوين حياة الأفراد، و في الوقت الحالي رغم التحضر الذي نعيشه إلا أننا مازلنا نرى الأفراد يستعينون في حياتهم بالمجال الديني أكثر من العلمي ، فنجد أن الدراسات السيكولوجية الحديثة قد أدركت أهمية و وظيفة العبادة في ضمان و تحقيق الصحة الدينية و الروحية للأشخاص، فمن بين المظاهر التي تدل على تأثير الزوايا على المترددين عليها اعترافاتهم و كذلك قوة الإعتقاد فيها و بضرورة إستمراريتها التي تظهرها نسبة 28.8% من طرف النساء فهذا الإلحاح الذي يتمثل عندهن في إلزامية الرجوع إلى الزوايا في مناسبات متنوعة و من أجل قضايا مختلفة عبر الإعتقاد الزائد بها و ضرورة التقيد و كذا الإقتداء بالشيخ من طرف الرجال بنسبة 21.7% ناتج عن الإنتماء لطبقة مهمة في المجتمع و الحصول بذلك على امتيازاتها كالحماية و الاحترام والتقدير وكما ورد عند أحد المبحوثين بقوله في هذا الإطار " تصحب شيخ عارف بالمسالك يقيك في طريقك المهالك"، وبعد هذه التصرفات نجد أن الزوايا قد تحولت عبر ذلك الإعتقاد إلى محل عادة الناتجة عن التقليد الأعمى لممارسات ثقافية متنوعة و من خلال التكرار ستصبح عبادة بنسب غير متفاوتة سواء للذكور بـــ 20.0% و خاصة عند الإناث بـــ 25.0%، التي تدل على ممارسات مختلفة مثل الوساطة و الطلب من الشيخ بالدعاء لتحقيق رغباتهم، و كذلك الوساطة للحصول على وظائف، التدخل لصالح أشخاص في المسابقات، و غيرها من القضايا التي تجعل شيخ الزاوية محل عبادة و التعلق به خاصة إذا تحققت الأماني فيقال أنه " من شبّ على شيء شاب عليه".

أما عن الراحة النفسية التي يدّعون أنهم تحصلوا عنها بنسب متفاوتة خاصة عند الرجال بـــ 16.7% و عند النساء بـــ 13.5% فمجرد خروج الزوار من عند

الشيخ نلاحظ على وجوههم الابتسامة و الفرحة و هم على كامل الثقة في أنفسهم بأنهم إرتاحوا نفسيا و هنا نحن نستغرب أليس الخروج فقط من المنازل عند بعض النساء يندرج في إطار الشعور بالراحة النفسية و كذلك بمجرد الإستماع للقرآن في أي مسجد موجود بمنطقة سكنك يتولد عليه شعور أفضل و كذلك إذا وجدت أي شخص عادي يصغي إليك و أنت تسرد مشاكلك و تفرغ ما في صدرك يشعرك بالراحة كذلك إذن لماذا يرفضون اللجوء إلى الطبيب النفسي رغم أنه أدرى بعلاج هذه الحالة و بطريقة سلمية التي لا تجعلك تعاود الكرة عنده وفي المقابل الراحة النفسية ناتجة عن الشيخ و محيط الزاوية التي تمنحهم الثقة و التوازن في الأفكار هي فقط نسبية في بعض الحالات ،التي هي كلها أحاسيس ارتبطت بذلك الفضاء عبر ممارسات خرافية التي تظهر في الجدول من خلال النسب التالية من جهة الذكور عبرت عنها بنسبة 18.3%أما بالنسبة للإناث فقدرت نسبتها13.5% و التي صرح احد المبحوثين عليه بأنها تصرفات تعرقل و تعترض الحداثة و العصرنة و هي سلوكات غير حضارية فالإدمان عليها في حل مشاكلهم دليل على تمسك الأفراد بالعلم التقليدي و رفضهم التخلي عنها رغم تمسكهم بالحداثي و المطالبة بتنمية مؤسساته فالإحساس بالتبعية لهذه الأماكن خاصة عند النسوة بنسبة 13.5% ناتجة عن إقرارها بأهمية الزوايا و كذلك خدمتها لأفراد المجتمع فقول الزائرات للشيخ " إنك شيخي و ولي أمري ساعدني في حل مشاكلي ، فأنا من خدامك و بفضلك أصبحت على هذا الحال ..." إن هذه التشكرات المتنوعة خاصة عند الرجال بعد توبتهم، المجرمون مثلا اللصوص، المدمنون على الخمر و المخدرات و العديد من منهم يرجع فضل تسوية أمور حياته للشيخ الزاوية و العديد منهم من أصبحوا أتباع لزوايا، فالحفاظ على العادات و التمسك بالتقاليد خاصة زيارة الزوايا التي تعتبر من أهم الموروثات عبر

الأجيال و التي تنتج من خلال اتساع دائرة تأثير الزوايا في شتى المجالات و عبر أزمنة تواجدها .

2-التأثير و علاقته بسن التردد على الزوايا :

جدول يبين سن بداية التردد على الزاوية و علاقته بمكان الإقامة							
مكان الإقامة		.... – 10	20 – 11	30 – 21	40 – 31	41 -	المجموع
داخل المدينة	التكرار	33	39	25	9	2	108
	%	30.6%	36.1%	23.1%	8.3%	1.9%	100.0%
خارج المدينة	التكرار	9	18	7	4	3	41
	%	22.0%	43.9%	17.1%	9.8%	7.3%	100.0%
المجموع	التكرار	42	57	32	13	5	149
	%	28.2%	38.3%	21.5%	8.7%	3.4%	100.0%

من بين مظاهر تأثير الزاوية على سلوكات المترددين عليها نجد أيضا عامل السن الذي هو مهم في مدى التأثير لأن السن يضفي كذلك سمات خاصة إذا تعلق الأمر بأفراد المترددين من المدن، فنحن نعلم أن حياة الفرد و الجماعة في المجتمع تتأثر بمعان مختلفة تتعلق بنظرته إلى الأشياء والتصرفات التي تمارس أمامه و الأعمال و الظروف التي تحدث في حياته والموضوعات التي تعالج بطرق متنوعة أمام مرأى عينيه و المبادئ التي يتحلى بها أفراد أسرته بوصفها حسنة أو سيئة, و القيم و العادات و التقاليد و المعتقدات التي تتداخل في تكوين شخصيته, كلها قد تكون خبرة الإنسان بالحياة الإجتماعية و التي تؤدي إلى إعتقاده بمعان معينة و متنوعة ترتبط بأمور دينية أو إجتماعية أو ثقافية أو سياسية و حتى الإقتصادية .

إننا نلاحظ حسب الجدول أن سن التردد على الزوايا مهم لها حيث تكون بداية تأثيرها فإذا قررت العائلات أولا على أخذ أطفالها إلى تلك الأماكن فنعدها

على أصحاب الزوايا أن يتموا العملية بترغيبهم فيها بطرق متنوعة و سنركز هنا على المترددين من المدينة فالصغار منذ الولادة حتى سن العاشرة و كما توضح النسبة 30.6% تأخذهم عائلاتهم و تبدأ تعريفهم بالشيخ أولا بالحصول على البركة و ثانيا التأكيد على الولاء بأن الشيخ هو الأب الروحي و الجد للطفل الرضيع خاصة إذا المرأة أنجبت بسبب يعود للشيخ فعليها أن تجلب له الحفيد ليحصل على بركة الزاوية و كذلك التمنيات من الطرف العائلة بأن يكبر الطفل و يصبح مثل الشيخ و كلما صحت الفرص سوف يجلبونه للإقتداء به، ففي زيارتي للزاوية كنت دائما أسئل الأطفال من أين أتوا؟ و مع من؟ و لماذا؟ فكنت أحصل على إجابات متنوعة فأغلبهم يأتون مع عائلاتهم يعني الأب و الأم و هناك أيضا من تجلبهم أمهاتهن فقط و هناك أيضا من تتحمل مسؤولياتهم الجدات كون الأب و الأم ليس لهما الوقت أو الأم يرفض زوجها ذهابها لكن تجلبه الجدة و غالبا ما تكون أم الأب، أما عن الغرض فيقول الأطفال"جيت نشوف الشيخ و يقرالي باه نكبر أو نتعلم و باش نولي كيفه" يعني أنهم أدرى بما يفعلون و يحاولون التركيز على الشيخ خاصة إذا كان الطفل المريض فهو يشعر بالأمان و الراحة إذا لمس الشيخ رأسه و أعطاه الماء المرقى فيه .

– أما عن سن الذي يبدأ من الحادي عشر إلى غاية العشرين و التي تمثل نسبتهم 36.1% و هي النسبة المرتفعة عن باقي الفئات، فزيارة هذه الفئة تحمل معاني عديدة فمنها من يذهب مع عائلته للتبرك و التعرف على الزاوية و الدعوة للنجاح أبنائهم كما أننا لاحظنا كذلك ذوي هذا السن يقومون بإمتحانات للتحصل على شهادة الإبتدائي أو المتوسط أو البكالوريا فنجد البعض منهم يذهبون بمفردهم كالذكور مثلا فنجدهم يلجئون لشيخ الزاوية من أجل الرقية أو كتابة الحجب من أجل النجاح أو أخذ الأقلام التي سوف يجتازون بها الإمتحانات لكي يرقي الشيخ لهم فيها و العديد من السلوكات الأخرى .

– أما عن السن الذي يبدأ من الواحد و العشرين إلى غاية الثلاثين فهنا هذه الفئة هي في سن الرشد و التي تمثلت بنسبة 23.1% وكما أنها هي حرة و مسئولة عن تصرفاتها، إذ يعتبر لجوئهم للزوايا من إختيارهم و لا يفرض عليهم الذهاب الذي يكون إما في إطار زيارات عائلية أو فردية مع جماعة من الأصدقاء أو زملاء العمل و غالبا ما تكون أسباب الزيارات بالنسبة للبنات التي تتنوع بين مواضيع الزواج و العلاج و قضايا السحر و الإنجاب و غيرها أما بالنسبة للذكور من هذه الفئة فنجد أن المواضيع التي تجعلهم يلجئون إلى الزوايا و شيوخها تكون لها العلاقة بالبحث عن الوساطة في العمل و المشاكل العائلية و النزاعات الإرثية المختلفة و غيرها و طبعا لا ننسى التبرك الذي هو طقس مهم قبل الخضوع في طرح أي موضوع.

– أما عن الزيارات للفئة التي تضم الأشخاص الكبار و الشيوخ و التي لاحظنا من خلال ترددنا أنا تقل بالمقارنة مع الفئة الشبابية ماعدا بعد الأشخاص ذوى العلاقات الخاصة التي تكون إما على أساس قرابة أو نسب أو لأعيان مناطق عدة فهي تدخل في إطار الحاجة الملحة لضرورة الزيارة أو التفقد و قليلة كون هذه الفئة أصبحت تقل عندهم المشاكل المرتبطة بحياتهم .

* هذه أهم الملاحظات التي تمكنا من الحصول عليها خلال ذهابنا إلى الزاوية كما أننا نرى أنه لعامل السن الأهمية كذلك في تأثير الزوايا على سلوكات الأفراد التي كلما تحكمت بالأطفال و هم صغار سوف يلجئون إليها وهم كبار حتى و إن كانوا ذو مستوى تعليمي عالي فلن يستطيعوا التخلى عنها كون لها فضل عظيم الذي تشهد عائلاتهم عليه و تردده على مسامعهم في كل خطوات حياتهم .

3- أشكـــــال الإنتفاع من الزيارة :

جدول يبين الأمور المنتفع منها بعد الزيارة									
الجنس		البركة و الدعاء	حفظ القرآن	قضاء الحوائج	التزود بالإيمان	الراحة النفسية	معرفة المتنوعة	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	7	8	8	8	19	23	12	85
	%	8.2%	9.4%	9.4%	9.4%	22.4%	27.1%	14.1%	100.0%
أنثى	التكرار	8	3	7	4	19	17	16	74
	%	10.8%	4.1%	9.5%	5.4%	25.7%	23.0%	21.6%	100.0%
المجموع	التكرار	15	11	15	12	38	40	28	159
	%	9.4%	6.9%	9.4%	7.5%	23.9%	25.2%	17.6%	100.0%

إن الإنتفاع من الزيارة للزوايا خاصة إذا تحصلنا على النتائج التي كنا نرغب فيها تجعلنا نرتبط أكثر بالزوايا و شيوخها و قد تتنوع الإستفادة من الزيارة بعدة أمور و في مجالات متنوعة، و مع الاستعانة بالجدول نبدأ هذا الإنتفاع مركزين في الحصول على المعارف المتنوعة كأعلى نسبة 27.1% لدى الذكور كالتعرف على تاريخ الزوايا و الدور الذي قامت به، قصص مشايخها، الحصول على الموعظة و الإرشاد في الأمور الدينية و التزود بالإيمان، التعرف على المنطقة المتواجدة بها كما قال لي أحد الزائرين" فلولا وجود الزاوية بها لما سمعت ربما عنها" ثم إن الزاوية أصبحت تساعد في نقل العديد من القيم الدينية و الأخلاقية و قواعد السلوك الإجتماعي إلى الأجيال عبر تنشئتها الخاصة .

لننتقل بعدها إلى الإنتفاع من الراحة النفسية التي يبحث عليها كل أفراد المجتمع خاصة الفضاء الحضري و التي تمثلت نسبتها عند النساء 25.7% فإذا كانت الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في أنه يشرح و يفسر كل ما هو غامض في حياة الإنسان إلى جانب دوره في إعادة شعور الطمأنينة و الراحة من خلال بعض

طرقه و أساليبه في التغلب على المشاكل عموما و التعامل مع الأمور المجهولة في الحياة كما تقترح ذلك الدكتورة منال عبد المنعم فهناك عدة ممارسات صوفية لها دور كبير في تحقيق الطمأنينة و التخلص من التوتر و الانفعال و مقاومة اليأس و القنوط خاصة أن وظيفة الذكر الرئيسية داخل الزوايا هي التي تبعث الطمأنينة في القلوب و كما جاء في القرآن الكريم: " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " و كما ورد في الحديث النبوي الشريف:" ألا في الجسم مضغة فإذا صلحت صلح الجسم كله ألا و هي القلب " فقول إحدى المبحوثات لي أنني كلما أتيت للزاوية و أحيانا لا أرى الشيخ "لكن بمجرد سماع الطلبة يقرئون القرآن و يرددون الأذكار و الأدعية فإن قلبي يرتاح و تزاح الغمامة الموجودة به" .

إضافة إلى مسألة التبرك الذي هو العنصر الرئيسي في الزيارة و الإنتفاع منها و كذلك القضاء الحوائج حيث نرى بأنه كلما تحققت الرغبات و قضيت الحوائج كلما إرتفع معدل التردد على الزاوية و شيخها و بالتالي مستوى التأثير في الأفراد يرتفع كون الزاوية ستصبح تتحكم في مشاعرهم .

4- التأثير و علاقته بأسباب التـــــردد على الزوايا :

جدول يبين أسباب التردد على الزاوية

الجنس		تحقـــق الرغبات	الشيخ و عائلته	الراحـــة النفسية	المـــدائح الدينية	حفظـــة القرآن	المنطقـة الريفية	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	13	12	15	9	11	11	14	85
	%	15.3%	14.1%	17.6%	10.6%	12.9%	12.9%	16.5%	100.0%
أنثى	التكرار	15	9	12	5	7	11	16	75
	%	20.0%	12.0%	16.0%	6.7%	9.3%	14.7%	21.3%	100.0%
المجموع	التكرار	28	21	27	14	18	22	30	160
	%	17.5%	13.1%	16.9%	8.8%	11.3%	13.8%	18.8%	100.0%

إن التردد على الزاوية يكون نتيجة عوامل جعلت الفرد الزائر يعاود لجوءه إليها و إلى شيخها و من الأمور التي تتداخل في تكرار هذا الفعل نجد إلتماس البركة فإن إقبال الأفراد على الزوايا حسب الجدول مرده في ولايتهم و بركتهم التي هي فوق الطبيعة تصدر من الشيخ الذي يمنحها لمن يشاء من زائريه و الذي بدوره سيحظى بمحبة وإحترام الزائد من طرف الزوار كنتيجة لمعاملته لهم ونصائحه التي يقدمها لهم مع الدعاء دائما لهم بالنجاح و الفلاح في حياتهم،فالراحة النفسية التي يتحصل عليها الذكور بنسبة 17.6% تجعلهم يعاودون البحث عنها إن لزمهم الأمر لذلك أما بالنسبة للإناث فنسبة تحقق رغباتهن 20.0% هي التي تحسم الأمر في عودتهم فالباحثة عن الزواج إذا حقق حلمها سوف تعود لتكافئ الشيخ و تجلب معا الزوج الذي هو بدوره ستبدأ علاقته من تلك اللحظة مع الزاوية و شيخها في رحلة الإنتماء أو التعلق بها،أو العاقر التي إذا أنجبت لابد و أن تجلب إبنها لهذا المكان و هذه المرة ليس فقط للشكر وحصول البركة وإنما كذلك التأكيد على الإنتماء والتبعية لتقول للشيخ هذا ابنك و سيكون في خدمتك و تعوده على زيارتها في كل مراحل كبره و تذكره دائما بأن شيخ الزاوية هو جده ثم بعد ذلك يصبح شيخه و الأمثلة كثيرة عن هذه الأحداث التي تدل على التمسك أفراد المجتمع بالزوايا التي هي معقل عادات و تقاليد الأجداد كما أنها تمثل هوية الفرد الجزائري كما أننا نستنتج عناصر أخرى لها دور في معاودة الزيارة للزاوية كونها كذلك تقع في منطقة ريفية وتظهر هذه النسبة لدى الإناث14.7%بالمناظر الخلابة و المساحات الخضراء للأراضي الزراعية نقطة جلب للزوار خاصة في فصل الربيع الذي تتكاثر به الزيارات العائلية وبنسب مرتفعة و بذهابك في العطلة الربيعية سوف تتفاجئ برؤية الناس مكونين جماعات متناثرة بالقرب من الزاوية و قد جلبوا معهم لوازم متعددة لقضاء اليوم من أفرشة وأطعمة جاهزة وأخرى تحضر في المكان، فالبعض منهم يقوم بعملية الشواء،و تجمع آخر من النساء يقمن بالتطبيل و الغناء

وكذلك بترديد المدائح الدينية و هناك من تحاول إقامة علاقات عن طريق التعرف سواء العائلات مع بعضهم البعض أو العلاقات الفردية التي تحدث بين الشباب ذكور و إناث و الكثير من العائلات من تدخل الشيخ في البحث لهم عن أزواج أو زوجات من المترددين عليه،فهناك العديد من العائلات من أثارت إعجابها المنطقة المتواجدة بها الزاوية و أصبحت بفضلها تتردد عليها، كما أننا نلاحظ أيضا أن الرجال تستهويهم في عودتهم النشاطات الدينية و الثقافية و الإجتماعية التي تقوم بها الزاوية وقد كانت نسبتها 12.9% فالحفلات الدينية التي تقوم بها الزاوية الخاصة بإحياء المناسبات الدينية و الجلسات التثقيفية منها الدينية و الخطب التي تحث فيها على الموعظة و الإرشاد أيام الجمعة كانت دافعا هاما لعودتهم و إعجابهم بهذا الفضاء، بالإضافة الإحتفال السنوي التي تقوم به الزاوية تبعا لطريقتها المنتهجة و الاستعراضات لمختلف أشكال الطقوس العيساوية التي كانت محل إعجاب الكثير لمن يحضرها خاصة و أنه أصبح لها العديد من المهتمين بإحيائها دائما و قد اتسعت دائرة الإعجاب بهذا الفن التقليدي كما لاحظنا خلال المهرجان الذي خصص لها هذا العام في المدية و قد حضره شخصيا شيخ الطرقة العيساوية سيدي عبد الكريم الجازولي كما تتبعنا أحداثة في الإذاعة الوطنية و كذلك جريدة الخبر التي نقلت أهم الأحداث التي جرت في من خلال المقالات التي خصصتها له من أجل التعريف به و لدى المهتمين به.

* هذه مجمل الأسباب التي تجعل الفرد يتردد على زاوية سيدي عبد الكريم الجازولي وهي كذلك تدل على مدى تأثيرها على ممارسات المترديين عليها من المدن حيث "يتضح أن التعاون مع رجال الله و زواياهم ضروري بالنظر إلى الإندماج الثقافي القوي الذي تحققه مذاهبهم وسياساتهم إضافة إلى الممارسات الولائية التي نشرتها حركتهم في كل مجتمع"[1] .

[1]-عبد الله حمّودي :الشيخ و المريد،دار توبقال ، المغرب،1999،ص112.

5- أثر الحضرة في نفسية الممارسين و الحاضرين :

ننتقل هنا إلى عنصر هام آخر في التأثير على سلوكات الأفراد و مواقفهم فنجد الحضرة التي تقام خلال الإحتفالات بالزاوية و أحيانا في الأيام العادية من أجل أشخاص يطالبون بها وفي ذلك تقول دكتورة منال عبد المنعم : " إن للحضرة أثرا فعالا في الشفاء من الأمراض البدنية المختلفة و إن كان هذا يتوقف على صدق المريد و إعتقاده .....بالإضافة إلى كثير من الحالات التي تحدث عنها المريدين كالشفاء من الصداع و ضيق النفس (الربو) و كثير من آلام البطن و غيرها من الآلام التي تصيب الإنسان و قد انتهت تماما بانتهاء الحضرة"[1]

و الكثير من الزائرين من يفضل التردد على الزوايا و منهم من يأخذوا مرضاهم فيختارون الأيام التي تقام بها الاحتفالات الدينية و قيام الحضرة فيدخلونه داخلها مقتصدين هذه الحلقة و ذكر الله قائما و بسر الذكر و النية الصالحة يرجون أن يقوم المريض معافى .

و للحضرة كما نلاحظ و نسمع الأثر الكبير على النفس و قد يفوق أثرها على عدة جوانب من شخصية الإنسان و قد تشكل في الكثير من الأحوال الصحية غذاء للروح بالنسبة للمريد و المريض، إذا أنه قد تكون "بمثابة شحن للبطارية " كما قال لي أحد المريدين " لذلك لها أثر فعال في تهدئة النفس و الطمأنينة و تجديد الحال لدى المريد لتقويته من حين لآخر عن طريق الغذاء الروحي الذي لا غنى عنه فالحضرة للمريد من أهم وسائل الوقاية من كافة الأمراض البدنية و النفسية كما أنها بمثابة الدواء الشافي من كل داء ....."[2]

[1]- منال عبد المنعم : التصوف في مصر و المغرب ، منشأة المعارف،الإسكندرية ، 1997، ص244

[2] - نفس المرجع و الصفحة.

و الجدير بالملاحظة أن هذا الأمر متداول في أقوال المريدين و أن بعضهم يرون أحوالا عديدة في التخلص من مشكل عويص أو مرض عضال يتعسر على الطب العادي معالجته و الغريب في هذا الأمر بالنسبة لي ليس موقف من يثق في هذا النوع من العلاج الروحاني و إنما الغريب حقا في من ينكره و يجد دوما تفسيرات تلاءم ميوله ألا ديني أو الصوفي كأن يقول مثلا: " لقد شفي المريض لأنه اعتقد نفسيا في علاجه بهذه الوسيلة " و لو قال : " لقد شفي المريض لأن نيته في العلاج صادفت كفاءة روحية في العلاج " لكان أقوم و قد استفسرت عن هذا الأمر عن طبيبة نفسانية و ذكرت أن ذلك النوع من العلاج يندرج في الإطار الديني كون الحلقة تقوم على ذكر الله ونحن نعلم أن بدن الإنسان أحيانا يتأثر عند سماع هذه الأذكار و تذهب بعقله لدرجة اللاوعي.

– إذن للحضرة تأثير بما أنها غذاء روحي أيضا لكل من يحضرها فهو يحصل على نشوة التمتع، إذ أنها تعمل على تهدئة النفس و الأعصاب و تجعل الفرد يحس بالسكينة و الطمأنينة و هو في كامل استقراره النفسي هذا ما أكده غالبية من كانت لهم فرصة المشاركة وحضورها خاصة أثناء فترة الذكر إن كان في الليل و يشترط هنا تغميض العينين ، ففيها يتم نوع من التطهير النفسي عن طريق محاولة إخراج كل الانفعالات و الاضطرابات، فقد تبين لنا أيضا من خلال البحث الميداني و باستعمال أسلوب الملاحظة بالمشاركة مع الحاضرين و المشاركين و كذالك الإستعانة بالأشرطة المسجلة لبعض الحضرات و مقدمي حلقات الحضرة أو العمارة على أهمية دورها الذي يكمن في توفير الراحة النفسية و الاطمئنان للفرد فأثنائها يحاول التخلص من لحظات والأحداث غير مرغوب فيها و من كل الشواغل الدنيوية بالاحتشاد النفسي و العصبي عن طريق التعلق بالله و برسوله (ص) و محاولة الذوبان في معانيها و صفاتها, فهي بهذا تعمل على جلاء القلوب و تصفية النفوس من الأكدار, " فمنهج الذكر في الحضرة وسيلة هامة لتزكية

النفس و تطهير القلب بالتخلص من كافة الهموم و الشواغل الدنيوية و جميع الغيار و نقائص النفس و به أيضا يمتلئ القلب بالأنوار و الإشرافات الإلاهية "[1]

* نستنتج إلى أنه بجانب العناصر المذكورة سابقا أضفنا الحضرة كعنصر مهم في الثقافة الدينية للطرق و الزوايا و رأينا أنه لها أثر كبير على نفسية الحاضرين و الممارسين لها خاصة من الناحية الإجتماعية و النفسية و الثقافية لهم من حيث مكان إنعقادها الذي تضفي عليها صفة الجواز والقداسة ، و قال الدكتور محمد طيبي "أن الدين ليس سوى إسقاطات إجتماعية تفرزها التطورات المتعاقبة للوعي الجماعي ،و لذلك فالمجتمع نفسه هو الذي يصنع دياناته و معتقداته و يبدلها حسب تطور وعيه الإجتماعي ،و الحياة القدسية هي التي تعطي للحياة الدينية حيويتها و إتجاهها "[2].

[1]- منال عبد المنعم : مرجع سابق ،ص238 .
2-محمد طيبي:العرب القرابة المقدس و السلطان ،أطروحة دكتوراه الدولة في السوسيوأثروبولوجيا،ج1،جامعة وهران، جوان2000.،ص 259.

خلاصـــــــــة الفصـــــــــل

و على هذا يبدو من كل العوامل السالفة الذكر و المواضيع المختلفة التي تؤدي بالفرد إلى زيارة الزوايا كلها مرتبطة بالمستوى الثقافي للزائر و الذي يلعب دورا كبيرا في تحديد درجة وعيه بالشيء الذي يقوم به و هذا هو الذي يقوم بتحديد إتجاه الطبقة داخل المجتمع فتقبل طبقة ما زيارة الزوايا باعتبارها فضاء يمثل رمز للهوية الوطنية و فيها يتم الحفاظ على الثقافة التقليدية و إستمرار الممارسات الثقافية المرتبطة بالماضي و الممزوجة بخصائص الحاضر رغم أنها تواجه الرفض من طرف آخرين بدعوى أنه معيقة للحياة الحضرية و التقدم و التي ستكون مقاومة للمستقبل لأنها تمثل العمق اللأنتروبولوجي للمجتمع الجزائري، كما أننا تطرقنا إلى الفروقات التي تحدث في الممارسات الطقسية بين الجنسين خلال الزيارة و التي استنتجنا من خلال المعطيات الميدانية التي تحصلنا عليها من خلال الجداول أنه توجد منها ماله علاقة بالجنس الذكوري الأخرى مرتبطة بالجنس الأنثوي كممارسات خاصة به ،كما أننا تطرقنا غلى مكانة الزاوية نموذج مقاربتنا و اكتشفنا أن مكانته هي التي تدعم مكانة الزاوية في المجتمع و مدى إستمرارية هذه المؤسسة التقليدية ضمن العصر الحديث، أما عن تأثيرها على المترددين عليها من خلال تأثيرها على ممارساتهم توصلنا إلى مظاهر هذا التأثير و المدى الذي تتمتع به كقوة في معالجة الأمور و الحفاظ على شعبيتها داخل المجتمع.

الخاتمة العامة

الخـــــــاتمـــــــــة

نستخلص من خلال ما قدمناه في مقاربتنا و محاولة كشـــف بعـــض مـــن الأسرار التي تربط الزوار بالزوايا و شيوخها هذه الظاهرة التي تؤكـــد علـــى أن الزاويا تمثل العمق الأنتروبولوجي للمجتمع الجزائري باعتبارها مؤسسة خاصـــة ظهرت مع تكونه، فتعدد الطرق الصوفية و تشعب إنتماءات الأفراد و توجهـــاتهم إليها لم يزد المجتمع إلا حيوية و إندفاع و تنظيم ، ذلك أنه حاول أن يحافظ بتلك المؤسسة على تماسكه و سلامة نسيجه الإجتماعي ولم تفلح كل التدابير و السياسة الإستعمارية كما رأينا في تفكيك بنيته و طمس شخصيته و معالمها الحضارية، ثم إن الطرقية في الجزائر مثلت دائما الإطار الثقافي المستجيب للتـــدين الشـــعبي، و هي الظاهرة التي عمت أجزاء واسعة من العالم الإسلامي فمن خـــلال القـــراءات العديدة حول الموضوع إستنتجنا أن الباحثين دائما أبدوا ملاحظات فيما يخص أن الزوايا ظهرت كمؤسسات موازية للدولة و السلطة الرسمية و منفصلة عنها هـــذا إن لم تكن أحيانا مؤسسات مضادة لها و منافس خطير لسيادتها كونهـــا يمكـــن أن تكون كبديل سياسي و إجتماعي لها كما ذكر عبد الله حمودي في كتابه الشـــيخ و المريد .

فلقد استطاعت بعض المقاربات الأنثروبولوجية أن تؤسس منظومة معرفية غنية حول ظاهرة الزوايا في المجتمعات العربية و الإسلامية في طورها التقليدي إنطلاقا من فضاءها و أبعادها كالأبحاث الأنثروبولوجة الكولونيالية خدمة لتلـــك الفترة و كذلك طورها الحداثي من وظائفها و مهام تقدمها للمترددين عليها و كـــذا مشاركتها لبعض مؤسساته الحديثة التي تحاول من خلالها تلك الوظـــائف الحفـــاظ على مكانتها و هيبتها فـــي المجتمـــع و الواقـــع كالأبحـــاث الأنثروبولوجيـــة و السوسيولوجية الحديثة بإختصاصاتها التي تحاول تأسيس مقاربات ومعارف علمية

بهذا المجال لقول عبد القادر لقجع في ملتقى وهران 2002 حول علم الإجتمـــاع و المجتمع " أن السوسيولوجيا قد بلغت سن الرشد" و هذا ما يجعلنـــا نتأكـــد أنـــه بمقدورنا القيام بمقاربات سوسيوأنثروبولوجة حول مجتمعنا للمشاركة في تنميته و بأبحاث جزائرية محضة و التي تقع مسؤوليتها على الأنثروبولوجيين الجزائريين بالدجة الأولى بإحياء هذه المعارف العلمية المرافقة للتغير و التطور في بلادنا .

و في إطار هذا العمل تشير الأبحاث إلى أن الطـــرق الصـــوفية ســـلطة حاكمة تأمر وتنهي و تتسع صلاحيات هذه السلطة و تقـــوى بحســـب الظـــروف الإجتماعية و السياسية لقول G.Balandier " أن السياسي موجـــود فـــي كـــل التنظيمات الإجتماعية و ليس مقصورا على المؤسسات السياسية للدول الحديثـــة و ما علينا إلا إكتشاف حقله الحقيقي " ، كما تقوى الزوايا بحسب مـــا تملـــك مـــن مؤيدين و أتباع و أموال و بحسب شخصية الشيخ أو المؤسس و أعماله و آثـــاره التي يتركها في زاويته لخدمة أحفاذه من بعده.

و ما نلاحظه اليوم في أعقاب الألفية الثالثة هو إستمرار هذه الممارســـات أي زيارة الزوايا و القباب و الأضرحة و غيرها و التردد عليها بشكل مكثـــف ، حيث كان يعتقد أن تيار العولمة و الحداثة قد يقضي عليها إلى الأبد لكنـــه حـــدث عكس ما كان متوقع فقد عمت في الأرياف الجزائرية و الحواضر بنسب متقاربـــة كما رأينا، و قد ساهمت وسائل الإعلام بشكل مباشر في تبيان دورهـــا الحقيقـــي بعرض الأشرطة التاريخية لها وكذا النقل المباشر لبرامجهـــا خـــلال المناســـبات الدينية فقط ، بل إنها أدت دورا كذلك بذلك في التـــرويج لهـــا و إســـناد القيمـــة التبريرية لها .

كما أننا لاحظنا و بشكل مؤكد أن عملية الإعتقاد في شيوخ الزوايا و مـــدى معالجتهم للأمور هي التي تدل التأثير الذي يمارسونه في المجتمع و يظهر ذلـــك من خلال التردد المستمر لكلا الجنسين إلى هذا المكان لقضاء حاجياتهم لكنهـــا عند العنصر النسوي بكثرة على إعتبار أن هذه الظاهرة و التـــي وصـــفها عبـــد الحفيظ غرس الله بالإسلام المعاش و هي نوع من الديانة النسوية التي تحاول مـــن خلالها إثبات ذاتها و فرض هويتها و المشاركة في إستمراريتها بحيث تعتبر نفسها المسؤولة الأولى في الحفاظ على الممارسات الثقافية المتعلقة بهذا المجال، كما أن الإعتقاد يترسخ أكثر عند الكبار في السن لأنهم الأقرب إلى الثقافة الشعبية في حين الشباب قد يجدون فيها نوعا من قيم التقليد وحتى الجهل خصوصـــا مـــع تفشـــي العولمة في جميع المجتمعات و لكن رغم ذلك نجد منهم مـــن يمارســـها بـــدوافع إعتقادية و إيمانية كما أن عامل المستوى الثقافي قد يلغى أمام بعـــض الظـــروف التي تستدعي تدخل المعتقدات ولكن مهمى إختلفت العوامل يبقى الدافع من الزيارة هو المحرك الأساسي وراء الزيارات المختلفة للجنسين و تبقى النية كمفهوم هـــي الأساس الذي تعتمد عليه المعتقدات الشعبية و لا يخلو أي مجتمع مهما بلغ درجـــة التحضر من التراث الشعبي الذي يمثل جزءا من مكونات الحيـــاة اليوميـــة مـــدام الإنسان يخضع لحمل ثقافة معينة في تفكيره و شعوره و تصرفاته لسلطة المجتمع سواء كانت مورثة أو مكتسبة منه ولكن الإختلاف يمكن في شـــدة تطبيـــق هـــذا التراث من مجتمع لآخر أي من الريفي إلى الحضري و تعتبر الفئة النسوية أحـــد الفئات المدافعة كما رأينا و بشدة و الحامية لعناصر الثرات الشعبي مـــن خـــلال ممارسة الطقوس و الشعائر كممارسات ثقافية لأن كل ثقافة تحمل بداخلها نموذجا لتفسير نظم الحياة الاجتماعية فهي الإطار الواسع الـــذي يتشـــكل مـــن الرمـــوز، المعتقدات والقيم والطقوس هذه الأخيرة التي تعد عنصرا هاما في تفسير مجتمعنا.

نحن نعلم جيدا أن كل ثقافة مجتمع لا تخلو من التـــراث الشـــعبي و مـــن عناصر حاملة و ممارسة لهذا التراث فالمدن هي أيضا و مهما بلغت من عناصر التحضر لمظاهر الحداثة و مهما تطورت فيها الثقافة الرسمية فهي بدورها تحمـــل هذه الثقافة الشعبية، فالفرد المتمدن أي الحضري بها لازال يعتقد في بعض الأشياء التي تمثل لديه نوعا من المقدسات و التي تساهم بقدر واسع في بناء التفاعـــل و التماسك الإجتماعي لديه و لأن الزوايا فضاءات و إن كانـــت لا تقربهـــا الثقافـــة الرسمية من ناحية و بقائها فضاء حكرا على الثقافة الشعبية التقليديـــة إلا أنهـــا تساهم و بقدر كبير في بلورة الهوية و صياغة الرباط الاجتماعي داخـــل المـــدن مثلها مثل الأرياف من خلال ما تقدمه للفرد من أدوار دينية إجتماعية ، سياسية و أمنية .

كما أننا سجلنا كملاحظة هامة محاولات شيخ الزاوية إحتواء الأفـــراد و ضمهم إليه من خلال محاولته الوقوف معهم في حياتهم اليومية بالبحث عن حلول لمشاكلهم و غيرها فهو الأذن الصاغية لمن ليس له ملجأ، كالفقراء ، الضالين مـــن أجل التوبة ، المرضى للعلاج ،السياسيين ، و كذا السلطات المحلية و الولائيـــة و حتى الوطنية من خلال زيارات الوزراء و الرؤساء لها.

فليس بالغريب إذن أن يحظى الأولياء و الصلحاء و شيوخ الزوايا بكل ذلك التقدير و تلك الهيبة داخل المجتمع ، وقد شكل مفهوم البركة و التقديس في هذا الإطـــار منبع سلطة هؤلاء كسلطة روحية و في هذا السياق يمكن فهم الدلالات العميقة لهذا المفهوم، بالإحالة على ذات المرجعية الصوفية التي تجعل من البركة كعطية إلهية يمنحها لأوليائه الصالحين ، كما تجعل من هؤلاء بمثابة وسائط بين الله و البشر ، وهو نوع آخر من التأثير .

فإطار البحث هذا دفعنا إلى إستغلال المعرفة المتعلقة بالمستوى المحلى المتواجدين به لمعالجة إشكالية هذا البحث التي تأسست على مدى نجاح هذه المؤسسة الدينية في تأطير الحياة الروحية و الثقافية للأفراد المجتمع و احتوائها قضايا و شؤون الجماعات، و مساهمتها في استتباب الأمن و النظام و الخضوع للسلطة القائمة و كيف حاولت العديد من المؤسسات الحلول مكانها كأحزاب لقول محمد حربي و الجمعيات دون نجاح و هذا ما جعلها تؤثر على الممارسات الثقافية للأفراد خاصة اللاجئين إليها من المدن لتوسيع شعبيتها.

كما أننا نفترض أن عودت الزاوية بنفس جديد قادر على المساهمة في إعادة تمتين و تقوية الروابط الإجتماعية التي تعرضت للكثير من التفكك ، و جلب الأمن الإجتماعي المفقود و التأسيس للأصول التي يمكن في ضوئها إزاحة ما يسميه أوهام خاصة في الظروف التاريخية العصيبة التي كانت تمر بها الجزائر فترة الإرهاب و مشاركتها في الإصلاحات الوطنية ، بحيث كان هناك إقبال كبير للناس نحو الزاوية طالبين الحماية و البركة الإلهية التي تسمح بالاقتراب من الله .

و في الأخير نأمل أننا نكون قد توصلنا إلى تحقيق بعض من أهداف هذا العمل و أن نقتنع بالنتائج التي توصلنا إليها و أن نحاول مستقبلا التعمق أكثر حول الأمور التي لم نستطع المساس بها في فضاء الزاوية و وكذا التحليل المكثف لعلاقتها بالمجتمع و أفراده من أجل تكوين معرفة علمية معمقة بهذا المجال لأهمية إتجاهه و فائدته لخدمة المجتمع و تكوين مادة علمية خام سواء كانت أنثروبولوجية أو سوسيولوجة و كذلك خلق نوع من الرغبة لدى الباحثين الجدد للخوض و ممارسة هذه الأبحاث مستقبلا .

المراجع

المـــراجـــــع باللغة العربيـــــة :

- الكـــــــــتـــــب :

1- نليلي سلامة العامري: الولاية و المجتمع، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس،2001.
2- الدكتور أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (16-20 م) ،ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1981.
3- إيفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة1830-1880،دار القصبة،الجزائر، 2007 .
4- محمد أحمد بيومي: علم الإجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2008.
5- أبو بكر البناني : تحفة أهل الفتوحات و الأذواق مطبعة التراث ، بدون تاريخ الإصدار
6- صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، دار البراق ،بيروت،2002
7- وقائع الملتقى: أي مستقبل الأنتروبولوجيا في الجزائر؟ ، crasc ، نوفمبر 1999 .
8- لطيفة الأخضر : الإسلام الطرقي ،دار سراس ،تونس، 1993.
9- الشيخ أحمد الخليفي:الأنيس الجليل في طريقة و مناقب سيدي محمد بن عيسى ،مطابع الشمال،طنجة ،1990 .
10- محمد سيد فهمي : الرعاية الإجتماعية الإسلامية ، دار الوفاء، الإسكندرية ، 2006 .
11- نور الدين طوالبي :الدين و الطقوس و التغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، منشورات عويدات ط1 1988.
12- حسين مؤنس: دراسات في السيرة النبوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1990.
13- إبن خلدون : المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ،2004 .
14- الشيخ مصطفى السنوسي: كتاب المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا و رجالاتها العلمية عبر العصور و الأيام ، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران ،2002 .
15- عبد الله حمودي: الشيخ و المريد ، ط3 ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 2003 .
16- جاد الله منال عبد المنعم: التصوف في مصر و المغرب، ، منشأة المعارف،الإسكندرية 1997.
17- عبد الله حمودي :الشيخ و المريد،دار توبقال ، المغرب،1999.
18- أبو بكر محمد الكلابادي:التعرف لمذهب أهل التصوف ،ط3 ،المكتبة الأزهرية للتراث ،القاهرة،1992 .
19 – مجموعة من الباحثين: أمجاد الصوفية،مديرية الثقافة لولاية عين تموشنت ،الجزائر، 2010 .
20- الشيخ مصطفى السنوسي: المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا و رجالاتها العلمية عبر العصور و الأيام ، ط 2، دار الغرب ،الجزائر،2002 .
21- عبد العزيز راس الماء : المعروف المحدد بالمجال ، الجزائري و أسطورته ،م.و.ب.م.ا.ت الجزائر،2003 .
22 - محمد نسيب: زوايا العلم و القرآن بالجزائر، دار الفكر الجزائري، سوريا، 1988.
23- بودواية بلحيا :التصوف في بلاد المغرب العربي،دار القدس العربي، 2009 .
24- مجموعة من الباحثين:المجتمع الريفي و الحضري و البدوي، الشركة العربية المتحدة +جامعة القدس المفتوحة، القاهرة، 2010 .

25- حسن الخولي :الريف و المدينة في مجتمعات العالم الثالث، ط1،دار المعارف،القاهرة، 1982
26- محمد رضا: الإسلام و المدنية، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1976.
27- غنيم محمد أحمد: المدينة,دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1987,ص 165.
28- الجوهري محمد : الدراسة العلمية للعادات و التقاليد الشعبية ، مكتبة القاهرة الحديثة ،1970.
29- الإمام عبد الله محمد بن سليمان الجازولي:دلائل الخيرات،ط1 ،1997.

- **المعـــاجـــم :**

1- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط 2، 2001.
2- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2003.
3- ابن منظور: لسان العرب، ج10، دار صادر بيروت، ط 1، 1990.
4- ر.بودون و ف.بوريكو: المعجم النقدي لعلم الإجتماع،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، ط1 ،1986 .
5- مالك شبل : معجم الرموز الإسلامية، دار الجبل بيروت،ط1، 2000 .
6 - دينكن ميتشيل : معجم علم الإجتماع ، دار الطليعة ، بيروت ،ط1 ،1981 .
7- معن خليل العمر : معجم علم الإجتماع المعاصر، دار الشروق ،عمان، 1986 .
8- فاروق مداس: قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني، الجزائر، 2003.
9- محمد يوسف رضا: معجم العربة و الكلاسيكية المعاصرة، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 2006.
10- بياربونت و ميشال إيزار: معجم الإثنولوجيا و الأنتروبولوجيا، المؤسسة الجامعية للدراسات،الجزائر،2006.

- **الجـــرائـــد:**

1- الجمهورية:2010/12/23 ،ص11، 27 .
2- الجمهورية:2010/12/26 ،ص11 .
3- الجمهورية : 2011/01/18 ،ص.19
4- الشروق : العدد 3282، 2011/05/03 ،ص.5
5- الخبر : 2011/06/12 ، ص25 .
6- الخبر: 2011/06/14 ،ص25 .
7- الخبر : 2011/06/18 ،ص.21
8- الخبر :2011/06/19 ، ص23.
9- مقال بعنوان تجذير الخطاب الديني و الروحي و الإجتماعي،2008/10/31 ،من: http://elsayedrazek.maktoobb log.com
10 - مقال بعنوان أضواء على الطريقة العيساوية الجازولية من : www.elhadath.net.htm

- **المجلات و الرسائل :**

1- مجلة المواقف ، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي – معسكر –العدد الأول ديسمبر2007.
2- مجلة رسالة المسجد،السنة السابعة-العدد01،جانفي 2009،وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر.
3- مجلة رسالة المسجد،السنة الثامنة–العدد02، فيفري 2010،وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر.
4- مجلة تافنة،كانت تصدر عن ولاية عين تموشنت،2002/2001.
5- مجلة الأثر : مديرية الثقافة لولاية بشار ،العدد الثالث ، أفريل 2009.
6- مجلة المواقف ،منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر،العدد الأول، ديسمبر.2007
7- مجلة المواقف،منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطنبولي، معسكر،عدد خاص أفريل 2008.
8- بشار قويدر وحساني مختار : مخطوطات ولاية أدرار،مطبعة عمار قرفي ،باتنة ،1999 .
9- إنسانيات : المقدس و السياسي ،عدد 11 ، CRASC ،أوت 2000 .
10- مجلة الأكاديمية: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، العدد23، 2006.
11- محمد طيبي:العرب القرابة المقدس و السلطان ،أطرحة دكتوراه الدولة في السوسيوأثروبولوجيا، ج1،جامعة وهران ،جوان2000.
12- الحسنية أمتير: مذكرة ماجستير بعنوان : السماع الصوفي و الحضرة في الزاوية الممشاوية بتلمسان– دراسة تحليلية وصفية- جامعة تلمسان ،2003-2004.
13- بلعربي خالد :ظاهرة زيارة الأولياء في المجتمع الجزائري،" دراسة أنتروبولوجية تاريخية للولي سيدي عبد الله بن منصور الحوتي ،رسالة لنيل شهادة ماجستير، 1999-2000
14- إسعد فايزة :المدينة و المقدس،مذكرة ماجستير،جامعة وهران،2007/2006 .
15- بن علي نصيرة : مذكرة ماجستير :رسالة شيخ الزاوية من خلال تصورات و طقوس الزوار،دراسة أنتروبولوجية بمنطقة الدراويش معسكر، جامعة وهران ،2006-2007 .
16- غرس الله عبد الحفيظ :رسالة ماجستير :المؤسسة التقليدية و التحديث الزاوية العلوية نموذجا، جامعة وهران ،2000-2001 .

المراجع باللغة الفرنسية :

- الكتب :

1- SOSSIE Andezian :Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine CNRS, Paris, 2000.
2- ERIC Geoffroy: Initiation au soufisme, Fayard, France, 2004.
3- MUMFORD Lewis : La cité a travers l'histoire, traduit par (Guy et Gerard Durand, édition le Seuil, 1961.
4- ALAIN Cambier: Qu'est-ce qu'une Ville, édition VRIN, France, 2005.
5- Yankel fijalkow: Sociologie des villes, la Découverte, Paris, 2007.
6- LEFEBVRE Henri: La révolution urbaine, Gallimard, France, 1970.
7- COPANS Jean : Les Marabouts de l'Arachide,l'harmattan, Paris,1988
8- COLONNA Fanny: les tolba dans une commune rurale de l'Aurès, CRAPE, Oran, 1980.
9- COLONNA Fanny :des intellectuels à la périphérie, CRAPE, Oran, 1983.
10- MOUSSAOUI Abderrahmane :Espace et sacré au Sahara ,CNRS , Paris, 2002.
11- MOUSSAOUI Abderrahmane: Structure Des Champs Religieux En Algérie, U.R.S.C, Oran.1988.
12- CAILLOIS Roger: l'homme et le sacré ,Ed Gallimard, Paris. 1963.
13- BERQUE Jacques: Ulémas fondateurs insurgés du Maghreb, Sindbad, Paris, 1982.
14- BERQUE Jacques : OPERA MINORA II ,histoire et anthropologie du Maghreb, bouchene, France,2001.
15- MAROUF Nadir: la relation Ville Campagne,2éme édition,O.P.U, Algérie,1981.
16-QUIVY Raymond CAMPENHOUDT Luc Van : Manuel de Recherche en sciences sociales, 2éme édition, DUNOD, Paris, 1995.
17- 19-GELLNER Ernest et VATIN J-Claude :Islam et politique au Maghreb ,CNRS, Paris,1981.
18-OLIVIER DE SARDAN J. Pierre: Anthropologie et Développement ,Karthala, Paris,1995.
19-LAKJAA Abdelkader :Sociologie et société en Algérie ,Casbah,Algerie,2004.

المعاجـــــم :

1- SOURDEL Dominique et Janine : Dictionnaire Historique de l'islam, Puf, Paris, 1996.
2- CHEURFI Achour :L'encyclopédie maghrébine, casbah, Algérie, 2007.
3- Encyclopédie de l'islam: tome 2, Maisonneuve et La rose, Paris, 1977.
4- Dictionnaire des sciences humaines : sociologie/anthropologie, NATHAN, Paris, 1994.

5- RUSS Jacqueline et BADAL-Leguil Clotilde : Dictionnaire de Philosophie , BORDAS, Paris, 2004.

6- La rousse: Dictionnaire de Sociologie, France loisirs, Paris, 2001.

الملاحق

- **<u>بعض الجداول المهمة التي لم تدرج في المذكرة :</u>**

جدول يبين نسب مرافقة الأطفال عائلاتهم إلى الزوايا				
الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	46	24	70
	%	65.7%	34.3%	100.0%
أنثى	التكرار	59	21	80
	%	73.8%	26.3%	100.0%
المجموع	التكرار	105	45	150
	%	70.0%	30.0%	100.0%

جدول يبين الهدف من مرافقة الأطفال لعائلاتهم									
الجنس		العلاج	التبرك و الدعاء	الاحتفالات	ضمان الاستمرارية	الترفيه	أفضل من أماكن أخرى	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	8	8	7	11	6	12	12	64
	%	12.5%	12.5%	10.9%	17.2%	9.4%	18.8%	18.8%	100.0%
أنثى	التكرار	7	13	3	6	12	17	14	72
	%	9.7%	18.1%	4.2%	8.3%	16.7%	23.6%	19.4%	100.0%
المجموع	التكرار	15	21	10	17	18	29	26	136
	%	11.0%	15.4%	7.4%	12.5%	13.2%	21.3%	19.1%	100.0%

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزوايا الموجودة بالولاية		
الإجابات	التكرار	النسبة %
نعم	165	%82.5
لا	35	%17.5
المجموع	200	%100

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزوايا الموجودة خارج الولاية		
الإجابات	التكرار	النسبة %
نعم	116	%58
لا	84	%42
المجموع	200	100

جدول يبين نسبة المبحوثين الذين يعرفون الزاوية		
الإجابات	التكرار	النسبة %
نعم	183	%91.5
لا	17	%8.5
المجموع	200	%100

جدول يبين علاقة أتباع الزوايا بالوسط المتواجدين به							
الجنس		تمثيل الزاوية	فاعلين نشطين	احترام متبادل	معاملات خاصة	أخرى	المجموع
ذكر	التكرار	8	8	19	4	9	48
	%	16.7%	16.7%	39.6%	8.3%	18.8%	100.0%
أنثى	التكرار	13	8	10	8	8	47
	%	27.7%	17.0%	21.3%	17.0%	17.0%	100.0%
المجموع	التكرار	21	16	29	12	17	95
	%	22.1%	16.8%	30.5%	12.6%	17.9%	100.0%

جدول يبين نسبة معلومات الفرد حول مدينته		
الإجابات	التكرار	النسبة %
معلومات تاريخية	29	%14.5
معلومات ثقافية	14	%7
معلومات اجتماعية	8	%4
معلومات اقتصادية	20	%10
معلومات متنوعة	16	%8
أخرى	14	%7
المجموع	101	%50.5
الغير المعبر عنها	99	%49.5
المجموع	200	%100

جدول يبين رأي المبحوثين في مشاركة الزوايا في المجال السياسي				
الجنس		تؤيد	تعارض	المجموع
ذكر	التكرار	30	70	100
	%	30.0%	70.0%	100.0%
أنثى	التكرار	39	61	100
	%	39.0%	61.0%	100.0%
المجموع	التكرار	69	131	200
	%	34.5%	65.5%	100.0%

جدول يبين تأييد ومعارضة لجوء المترشحين السياسيين إلى الزوايا				
الجنس		تؤيد	تعارض	المجموع
ذكر	التكرار	28	72	100
	%	28.0%	72.0%	100.0%
أنثى	التكرار	34	66	100
	%	34.0%	66.0%	100.0%
المجموع	التكرار	62	138	200
	%	31.0%	69.0%	100.0%

جدول يبين نسبة دور الإعلام في الشعبية التي اكتسبتها الزوايا				
الجنس		نعم	لا	المجموع
ذكر	التكرار	69	31	100
	%	69.0%	31.0%	100.0%
أنثى	التكرار	66	34	100
	%	66.0%	34.0%	100.0%
المجموع	التكرار	135	65	200
	%	67.5%	32.5%	100.0%

جدول يبين نسبة المتتبعين الحصص و الأشرطة التلفزيونية حول الزوايا و علاقتها بالسن

السن		نعم	لا	المجموع
30 – 18	التكرار	43	46	89
	%	48.3%	51.7%	100.0%
44 – 31	التكرار	32	24	56
	%	57.1%	42.9%	100.0%
59 – 45	التكرار	20	15	35
	%	57.1%	42.9%	100.0%
.... – 60	التكرار	15	5	20
	%	75.0%	25.0%	100.0%
المجموع	التكرار	110	90	200
	%	55.0%	45.0%	100.0%

جدول يبين تعليق الفرد حول أشرطة الزوايا التي يقدمها التلفزيون

الجنس		أشرطة توعية	أشرطة إشهارية	شيء أخر	المجموع
ذكر	التكرار	28	15	8	51
	%	54.9%	29.4%	15.7%	100.0%
أنثى	التكرار	29	20	11	60
	%	48.3%	33.3%	18.3%	100.0%
المجموع	التكرار	57	35	19	111
	%	51.4%	31.5%	17.1%	100.0%

دليـل المقابلـــة

- السن
- المستوى التعليمي
- الحالة الإجتماعية
- مكان الإقامة
- الأصل الجغرافي (مكان الولادة)
- طبيعة عملك ؟ ومكان الوظيفة ؟
- هل تعودت على زيارة الزوايا ؟ و لماذا ؟
- متى كانت أول زيارة لك (السن) ؟ و مع من ؟
- ما هي الزوايا المعتاد زيارتها ؟
- مع من تفضل الزيارة ؟
- ماذا تعني لك الزيارة ؟
- ماهي طقوسك الخاصة ؟
- ماذا تمثل لك زاوية سيدي الجازولي ؟
- ماذا يمثل لك شيخ الزاوية ؟
- ماذا تمنح الشيخ كهدية عند دخولك إليه ؟
- هل سبق لك و أن زرت زاوية ما من أجل غرض معين و حقق لك؟
- ما هي الأشياء التي تجلبها معك عند الزيارة ؟
- ما رأيك في الإحتفال السنوي الذي يقام في الزاوية ؟ و هل سبق و أن شاركت فيه؟
- ما هي الأمور التي تجعلك تكرر الزيارة للزاوية ؟
- هل بإمكانك أن تحدثنا عن كيفية تعرف على هذه الزاوية ؟
-

جامعـــة وهـــــران
كليـــة العلـــوم الاجتماعيـــة
قسـم علـــم الاجتمـــاع

استمارة بحـــــث بعنوان :

دور الزاوية في المدينة

مقاربة سوسيوأنتروبولوجية لزاوية سيدي الجاز ولي بولهاصة

في إطار تحضير مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير حول موضوع " دور الزاوية في المدينة "

أرجو ملأ هذه الاستمارة بوضع علامة X في خانة الاختيار الذي يناسبكم مع الانتباه لمقترحات كل سؤال

و كذلك الإجابة على بقية الأسئلة بكل وضوح ودقة و عناية .

و أحيطكم علما بأن كل هذه المعلومات ستحظى بالسرية و لا يتعدى استعمالها إلا في إطار البحث العلمي.

و أشكركم على التعاون معنا و جازاكم الله خيرا .

1- الجنــس : ذكر ☐ أنثى ☐

2- الســـن : .....

3- الحالة المدنية : أعزب / عازبة ☐ متزوج (ة) ☐ أرمل أو مطلق (ة) ☐

4 - المستوى الدراسي : أمي ☐ إبتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

5- المهنة : .....

6- القطاع : الصناعي ☐ الخدمات ☐ التعليم ☐ الصحي ☐ آخر.....

7 - مكان الإقامة : داخل المدينة ☐ خارج المدينة ☐

8- سنة إقامتك بالمدينة : .....

9- ولماذا؟ .....

10- المستوى الدراسي للأب : أمي ☐ إبتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

11- المستوى الدراسي للأم : أمي ☐ إبتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

12- في حالة الزواج (المستوى العلمي للزوج أو الزوجة) .....

13- مهنة الأب :.....

14- مهنة الأم :.....

15- في حالة الزواج مهنة (الزوج أو الزوجة) :.....

16- مكان ميلادك : ريف ☐ مدينة ☐

17- مكان ميلاد الأب : ريف ☐ مدينة ☐

18- مكان ميلاد الأم : ريف ☐ مدينة ☐

19- سنة إقامة الوالدين بالمدينة: .....

20- و لماذا ؟ .....

21- ماذا تمثل الزوايا في نظرك ؟

.....

.....

.....

.....

22- هل تقوم بزيارات لها ؟ نعم ☐ لا ☐

23- في حالة نعم من أجل ماذا ؟

.....

.....

.....

.....

24- في حالة لا لمذا ؟ .....

.....

.....

.....

25- ما هي الطقوس التي تقوم بها عند الزيارة ؟

.....

.....

.....

.....

26- من ينصحك أو يوجهك لزيارتها : العائلة ☐ الأقارب ☐ الأصدقاء ☐

27- هل لك علم ببعض الزوايا الموجودة بالولاية (عين تموشنت) : نعم ☐ لا ☐

28- في حالة نعم أذكرها ؟

.....

.....

.....

.....

29- كذلك الزوايا خارج الولاية : نعم ☐ لا ☐

30- في حالة نعم أذكرها لنا :

.....

.....

.....

.....

31- هل تعلم بوجود زاوية سيدي الجازولي بولهاصة : نعم ☐ لا ☐

32- إذا كان نعم كيف تعرفت عليها ؟

.....

.....

.....

.....

33- هل لك معلومات عن تاريخها و عن المكان الموجودة به ؟

.....

.....

.....

.....

34- هل سبق و قمت بزيارة لها ؟ نعم ☐ لا ☐

35- مع من ذهبت : وحدك ☐ العائلة ☐ الأصدقاء ☐ آخر .....

36- ما هو عدد زياراتك : في الأسبوع ☐ في الشهر ☐ في السنة ☐

37- الأيام التي ذهبت بها :

السبت ☐ الأحد ☐ الاثنين ☐ الثلاثاء ☐ الأربعاء ☐ الخميس ☐ الجمعة ☐

38- على أي أساس تختار يوم الزيارة ؟

.....

.....

.....

.....

39- الأوقات التي ذهبت بها : صباحا ☐ مساءا ☐

40- خلال ذهابك للزاوية هل يرافقك الأطفال : نعم ☐ لا ☐

41- إذا كان نعم لماذا ؟

.....

.....

.....

.....

42- أثناء زيارتك للزاوية كم هي المدة التي تقضيها بها ؟ .....

43 - في أي سن بدأت تتردد على الزاوية ؟ .....

44- ما هي الأغراض(الأشياء) التي تأخذها معك أثناء الزيارة و لماذا؟

.....

.....

.....

.....

.....

45- ما هو الموضوع الذي دفعك لزيارتها ؟

.....

.....

.....

.....

46- ما تعليقك حول ذهاب أفراد أسرتك إلى الزاوية ؟

.....

.....

.....

.....

47- هل يوجد في أفراد أسرتك من ينتمون إلى زاوية ما ؟ نعم ☐ لا ☐

48- إذا كان نعم من هم ؟ .....

49- ما هي وظيفتهم داخلها ؟ .....

.....

.....

.....

50- ما رأيك في هذا الانتماء : تؤيد ☐ تعارض ☐

51- إذا كنت تؤيد لماذا ؟

.....

.....

.....

.....

52- إذا كنت تعارض لمذا ؟

.....

.....

.....

.....

53- ماذا يمثل لك شيخ الزاوية ؟

.....

.....

.....

.....

54- هل تستطيع تقديمه لنا ؟

.....

.....

.....

.....

55- ماذا تمنح الشيخ كهدية عند ذهابك ؟ .....

.....

.....

.....

56- بماذا إنتفعت عند قيامك بتلك الزيارة ؟

.....

.....

.....

.....

57- ما هو الشيء الذي يجعلك تتردد على الزاوية ؟(ترجع أكثر من مرة)

.....

.....

.....

....

58- هل سبق و أن شاركت أو حضرت النشاطات المختلفة المقامة بها : نعم ☐ لا ☐

59- إذا كان نعم أذكر لنا بعضها :

.....

.....

.....

.....

60- هل توافق على زيارة أفراد أسرتك للزوايا : نعم ☐ لا ☐

61- في حالة نعم لماذا؟

.....

.....

.....

.....

62- في حالة لا لماذا تعارض ؟

.....

.....

.....

.....

63- في نظرك هل لزاوية الجازولي أهمية على مستوى الولاية : نعم ☐ لا ☐

64- في حالة نعم في ماذا تتمثل أهميتها ؟

.....

.....

.....

.....

65- في حالة لا لماذا ؟

.....

.....

.....

.....

66- في نظرك هل لزاوية الجازولي أهمية خارج الولاية : نعم ☐ لا ☐

67- إذا كان نعم كيف ذلك ؟

.....

.....

.....

.....

68- هل سبق لك و أن وجهت أو دعوت أحدا لزيارتها ؟ نعم ☐ لا ☐

69- في حالة نعم من هو : .....

70- هل هو من : المدينة ☐ خارج المدينة ☐

71- في رأيك هل للزاوية دور في المدينة ؟ نعم ☐ لا ☐

72- إذا كان نعم ما هو ؟

.....

.....

.....

.....

73- في نظرك ما هي أهم المواضيع التي تجعل الناس يلجئون للزوايا هل من أجل :

زواج ☐ علاج ☐ وساطة ☐ الراحة و الترفيه ☐

شيء آخر .....

74- ما رأيك فيمن يعتبرها بدع و خرافات ؟

.....

.....

.....

.....

75- هل ترى أن الزاوية لها دور مهم في المجتمع ؟ نعم ☐ لا ☐

76- في حالة نعم أذكر ما هو ؟

.....

.....

.....

.....

77- كيف تفسر لجوء الناس إلى الزوايا في حل المشاكل المختلفة و النزاعات بدل اللجوء إلى القانون ؟

.....

.....

.....

.....

78- ما رأيك في مشاركة الزوايا في المجال السياسي ؟

.....

.....

.....

.....

79- في نظرك لماذا يلجأ السياسيون إلى رؤساء الزوايا أثناء حملاتهم الانتخابية ؟

.....

.....

.....

.....

80- في نظرك هل تختلف زيارة الزاوية بين الجنسين : نعم ☐ لا ☐

81- مـــن حيـــث :

1- غرض الزيارة : .....

2- اليـــوم : .....

3- الوقـــت : .....

4- مدة البقاء في الزاوية : .....

5- الطقوس : ....

6-الأشياء التي تؤخذ للزيارة:.....

82- في نظرك هل تؤثر زيارة الزاوية على سلوكات المترددين عليها ؟ نعم ☐ لا ☐

83- إذا كان نعم كيف يكون ذلك ؟

.....

.....

.....

.....

84- هل ترى بأن للإعلام دور في الشعبية التي إكتسبتها الزوايا ؟ نعم ☐ لا ☐

85- إذا كان نعم كيف ذلك ؟

.....

.....

.....

.....

86- هل تتابع الحصص و الأشرطة التلفزيونية المقدمة حول الزوايا ؟ نعم ☐ لا ☐

87- إذا كان نعم كيف تجدها : أشرطة توعية ☐ أشرطة إشهارية ☐ شيء آخر.....

88- ماذا تعرف عن تاريخ مدينتك ؟

.....

.....

.....

.....

89- هل توجد زوايا في مدينتك ؟ نعم ☐ لا ☐

90- في حالة نعم أذكرها لنا ؟

.....

.....

.....

.....

91- هل لها دور في مدينتك : نعم ☐ لا ☐

92- في حالة نعم أذكره لنا ؟ .....

.....

.....

.....

93- هل هناك علاقة بين مدينتك و زاوية الجازولي : نعم ☐ لا ☐

94- في حالة نعم في ماذا تتمثل هذه العلاقة ؟

.....

.....

.....

.....

*** ملاحظة :**

يمكن إضافة اقتراحاتكم فيما يخص موضوع البحث و كذاك الاستمارة .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

شكرا لكم

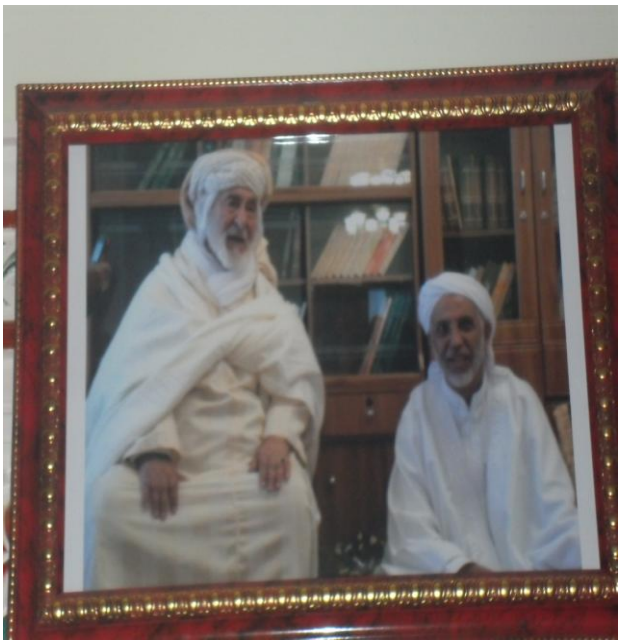

* صورة لكتاب دلائل الخيرات طبع بالمطبعة الثعالبية سنة 1342

و كذلك إحدى الرسائل و المخطوطات القديمة للزاوية و التي تحمل الرد في نفس الوقت

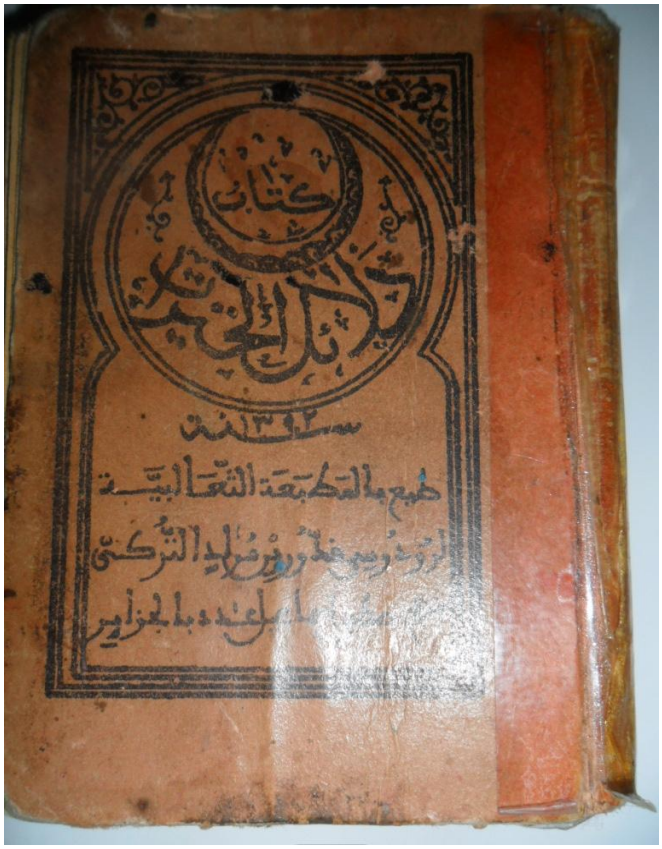

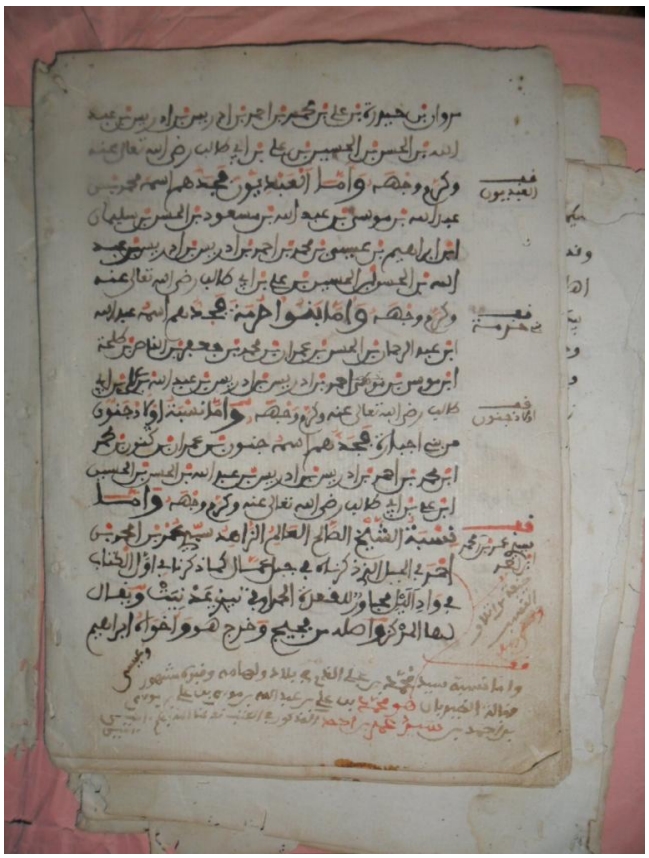

ملخص :

تعتبر الزوايا من المؤسسات التقليدية التي أوجدت داخل المجتمع خدمة لأفراده كونها تستمد مرجعياتها و مفاهيمها من الدين الإسلامي حتى أنها أصبحت تمثل التراث المقدس إلى الجانب المساجد و المدارس القرآنية للقيمة الحضارية و التاريخية التي منحتها لها المجتمعات العربية و الإسلامية عرفانا للدور الذي قامت به كالحفاظ على الهوية الوطنية و الإسلامية , مواجهة الاستعمار , مساهمتها في النشر الوعي الديني , و إلى جانب نشاطاتها الاجتماعية و الثقافية نرى أنها تهتم أيضا بالمجال السياسي من الخلال مشاركتها في الحملات الانتخابية مع الأحزاب و الجمعيات و هي تحاول بهذه الأمور الإبقاء على مكانتها و ضمان استمرارية صيرورتها داخل المجتمع ريفي كان أم حضري .

فعملي هذا كان على شكل مقاربة سوسيوأنتروبولوجية للزاوية كمؤسسة في تفاعلها مع المحيط و تأثيرها عليه بالتركيز على زاوية سيدي الجازولي كنموذج إلماما بطريقتها و سيرورتها و أعلامها و الدور الذي تقوم به في المنطقة المتواجدة بها من خلال الممارسات و الإهتمامات و كذا علاقتها بالمدن المجاورة لها و مدى تأثيرها على المترددين عليها و بالتالي التطرق إلى مسألة الحفاظ على الممارسات الثقافية التقليدية المتعلقة بها وكذا ضمان إستمرارية هذه المؤسسة التقليدية و فعاليتها في الوسط المتواجدة به خاصة المناطق الحضرية رغم ما تحتويه من منشآته العصرية لتبقى ممارسات الأفراد ضمن ذلك في تأرجح بين التغيير و التحفظ.

الكلمات المفتاحية:

الزاوية؛ الشيخ؛ المريد؛ الحضرة؛ المدينة؛ التحضر؛ الممارسات الثقافية؛ سوسيوأنتروبولوجية؛ زاوية سيدي عبد الكريم الجازولي؛ الطريقة الجازولية؛ الطريقة العيساوية .